



ثانِي
كَيُورَانِسْ

سِوَايْتِ

سِرْوَالِ مَنِيرِ

م ٢٠٢٠

سها
للنشر والتوزيع



للنشر والتوزيع

دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية

15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة

تليفون: +202 24517300 - +2 01271919100

email: samanasher@yahoo.com

Web-site: publishing@sama-publishing.com

نادي ديوارس

مروان منير

الطبعة الأولى: يناير

1441 هـ - 2020 م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

دار الكتب المصرية

منير ، مروان

نادي ديوارس

القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2020

320 ص: 13.7×19.5 سم - (نادي ديوارس)

أ. العنوان

رقم الإيداع: 2020/4428

تدمك 6-368-781-977-978

التنفيذ الفني



درج

للاستشارات وخدمات النشر

ali@daraj-eg.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار "سما" للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا

الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير

أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

نادي ديوارس

مروان منير

بسم الله الرحمن الرحيم

أخيراً.. أخيراً تحقق حلمي، حلم لطلما اشتاقت له نفسي، شكراً يا رب، آه لو كان ينفع أصلي ركعتين شكر، كنت عملتها، لكن احنا في القطار، آه القطار، منتظر لحظة ركوبي القطار، بقالي ثلاث سنوات في انتظار قاتل.. صوته، سرعته، والفلنكات اللي بيعدي عليها.

هكذا قال لي خالي (حامد) هو بيركب القطار كتير وكمان بيركب طيارات، أصل خالي بيشتغل في ليبيا من زمان ودايمًا يجيب لي حاجات حلوة كتير، هو اللي جاب لي دي..

(وأشار إلى ساعة رقمية كبيرة من نوعية، ستوب ووتش.. معلقة حول رقبته).

- أبويا، أبويا، امتي يتحرك القطار؟ له وقت طويل واقف مثل التمثال، أنا الآن مستعد، نعم مستعد أني أعد كل أعمدة التليفون اللي يعدي عليها القطار.

- راشد، يا راشد، يا أخويا، يا راشد، هو أنت مش مصدق أني أقدر أعد أعمدة التليفون من هنا لمصر، أيوة من هنا، من أسبوط لمصر.

راشد: أنت مصدق يا عبيط إني دي أعمدة تليفون!! دي أشباح،
واقفة طول الليل والنهار تحرس القطار من اللصوص اللي بيجو يسرقوا
القضبان الحديدية.

سرت رعدة خفيفة في جسد (نادي) النحيل ذي التسعة أعوام حيث
أنه يخاف من اللصوص، هو يعرفهم جيداً، فكم رأيهم في أحلامه!
أقصد كواييسه، وقد سمع أباه ذات مرة (علي الساكت) يحدث أمه
(وداد سعد) قائلاً: «إحنا لازم نسيب البلد دي يا وداد، الحرامية كتروا،
وأنا ما بقتش عارف أحدهم، وهم عارفين أنني ماليش ظهر، إحنا لازم
نسيب البلد.»

فزعت (وداد) عند سماع هذا الحديث وضربت بكفها على صدرها،
أحدث معه صوتاً عالياً مثل طبله قديمة عفا عليها الزمان.
جميل القطار، لكن هل جميل أن تنام الرجال هكذا حيث توضع
الحقائب!؟

اقترب (نادي) من النافذة بعد أن حجز مكانه ملتصقاً بها وذلك بعد
شجار مع أخته التي تصغره بعامين، تدخل الأب وأقنعهما أنهما يمكن
أن يشاركا الوقوف أمام النافذة حيث أن جسديهما النحيلين لا يحتاجان
إلا مساحة صغيرة، أخرج (نادي) يده من النافذة يتحسس أي نسمة هواء
حيث كانت الحرارة مرتفعة وهو المعتاد في شهر يوليو من كل عام،
لكنه تذكر قول أبيه لهم ذات مرة، أن الإسكندرية تتمتع بهواءٍ منعش
نقي.

حرك يديه بحركةٍ دائرية خارج النافذة وما زال القطار متوقفاً، وإذا بيد غليظة خشنة، تمسك بيده وتقبض عليها بشيءٍ من القوة، نظر (نادي) فإذا به رجل كهل يتسم، ذو بشرة سمراء، يعلو وجهه خطوط كثيرة متشابكة فوق جلد سميك تنطق بما بها الزمان.

وأكثر ما تلحظه في وجهه هو كومة ضخمة من الشعر الخشن، بصمت عليه الشمس بلونٍ بنيٍّ مائل للاصفرار، كما تركت عليه الأيام بصمتها، فصبغت الكثير منه باللون الأبيض المائل إلى الرمادي، وتلك الكومة المخيفة قابعة بين أنفه وشفته العلوية، أعتقد يطلقون عليها (شارب).

ظل الرجل ممسكاً بيده وما زال مبتسماً، ربت على كفه قائلاً: «تعمل إيه يا عفريت يا صغير، القطار أوشك أن يطلق وخطأ أن تتدلى يدك إلى خارج النافذة، أنت اسمك إيه؟»

تجمد (نادي) في مكانه، لم يستطع التحرك أو النطق، سمع سؤال هذا الرجل المرعب المبتسم، كيف يكون له سنة مرعبة وبتسم في الوقت ذاته؟! ولماذا يمسك بيدي ولا يتركها؟ هل سأستعيد يدي منه مرة أخرى، أم سيعاقبني أنني أخرجت يدي من النافذة ويأخذها إلى الأبد، وأعيش بقية حياتي بيدي اليسرى فقط؟

دار كل هذا بعقل (نادي) مرتعداً من ذلك المخلوق العجيب ذي الشارب المرعب، ولكنه أثر أن يرد السؤال وإلا ربما يعاقبه على عدم الرد ويأخذ منه يده اليسرى أيضاً، وبعدها يصبح بلا يدين.

(نادي): «أنا اسمي (نادي) ممكن بقى ما تاخدش إيدي الثانية.»

لم يفهم الرجل ولكنه ابتسم ابتسامة أعرض من الأولى وقال: «آخد إيدك؟! ليه بتقول كده؟»

قال نادي: «عشان ماسك إيدي اليمين ومش بتسيبها.»

صمت وعندما بدأت الرهبة تزول من قلب (نادي) أضاف الرجل: «أنا ماسك إيدك اليمين عشان احميها وبعدين احطها جنب إيدك الشمال.»

وضحك ثانيةً.

ابتسم (نادي) على استحياء بعد أن استرد يده اليمنى...

وأضاف الرجل: «أنت باين عليك ولد ذكي.. أنت عارف أنا مين.. وباشتغل إيه؟»

نظر إليه (نادي) بعمق، وجده يلبس حلة خضراء اللون المائل للبني، وعلى الجانب الأيسر العلوي مطبوع ثلاث حروف، (س ح م).

قال نادي: «أنت ضابط المركز اللي بيقبض على الحرامية.»

صمت الرجل أكثر وأكثر، وقال: «لا يا حبيبي، أنا عمك (فواز).. ناظر المحطة، يعني المسؤول عن المحطة والقطار وسلامة الركاب.»

سأله نادي: «دي شغلانة سهلة، وعلى كده بتاخذ فلوس؟»

قال الرجل: «نعم، أكيد، لي راتب شهري.»

ثم قال عم (فواز): «اسمع يا (نادي).. القطار أوشك أن يتحرك، عايزك تاخذ بالك من نفسك ولا تخرج إيدك من الشباك وخلي بالك من أختك.»

«وأشار إلى أخت نادى) ثم قال: «مش البنت الجميلة دي أختك؟!»
وأماً (نادى) وأضاف (فواز): «اسمك إيه يا حلوة.»
أجابت: اسمي (ألفت) وعندي سبع سنين وعازبة أطلع دكتورة
وأعيش في اسكندرية.»

صمت (فواز) بشدة، وقال لها: «أنت كريمة قوي يا (ألفت) سألتك
سؤال واحد عن اسمك، وعرفتيني حاجات كتير عنك، إن شاء الله
تحققي كل أمنياتك.»

وعندها تركهما (فواز) واتجه إلى جرس أسود ضخم ثم حركه وإذا
به يصدر صوتاً إيذاناً ببدء تحرك القطار.

نظر (علي الساك) خارج نافذة القطار مودعاً بلدته التي قضى
حياته بيت أبيه وحده، ذكريات طفولته، شبابه، زواجه، إنجاب له لأولاد،
مسحة حزن على وجهه، وترقرقت عيناه بالدموع، أدار وجهه ليخفي
دموعه حيث لا يجب أن يبكي الرجال، هكذا نشأ وتربى.

اسمه الحقيقي (علي أبو زيد) ولكن الناس أطلقوا عليه (علي
الساك) لكثرة صمته ودوام شروده وطول فترة سرحانه في أمورٍ لا
يعرفها غيره حيث كان يؤمن أن الصمت هو أبلغ لغة يمكن للإنسان أن
يتحدث بها إذا أتقنها، ولكن يرى الكثيرون أن صمته هذا نوع من البلاء
وخواء الفكر.

هو ذاهب إلى المجهول، ترك بلدته بعد أن انتشر بها اللصوص
وتحكموا في طرقاتها، وكذلك انتشرت تجارة المخدرات وأصبحت
الحياة من حوله ما هي إلا أخطار عليه أن يواجهها كل يوم، إما من قطاع

الطرق أو بائعي تلك السموم، خاف على زوجته وأولاده، وفي أول مرة التقى فيها بـ (جيوشي) عند زيارته للقرية، تحدث معه في هذا الأمر وأنه يريد ترك القرية والرحيل.

(جيوشي) يعمل من البناء مع مقاول من بلدتهم نفسها.. وقيم في الإسكندرية، شجعه (جيوشي) على الحجرة والنجاة بنفسه وأولاده إلى مدينة كبيرة، فيها الأمن يسيطر على الأمور، والحياة منظمة والخدمات فيها متاحة، وكذلك مدارس الأولاد والمستشفيات لعلاج زوجته (وداد) والتي تعاني من قرحة في المعدة تسبب لها آلاماً شديداً ونصحها الأطباء إن أهملت في علاجها فستتطور حالتها وتسوء وربما تعاني مشاكل أكبر.

يسير القطار بسرعة، وقد عقد (نادي) خطة حسابية في رأسه عن كيفية عد أعمدة التليفونات من أسيوط إلى القاهرة، هو يعرف أن عددها كبير جداً والمسافة طويلة، وكذلك ساعات السفر، ولن يستطيع أن يظل واقفاً في النافذة طوال مدة الرحلة.

سأله والده عن المسافة بين القاهرة وأسيوط أو أسيوط والقاهرة، فأجابه الأب بينما هز رأسه دلالة على أنه لا يعرف، تجول (نادي) بين الجالسين يسألهم واحداً تلو الآخر، وأكثرهم قال بأنه لا يعرف إلى أن وصل (نادي) إلى الصف الخامس من الكراسي خلف مكان ما يجلسون وكان يجلس هناك رجل في العقد الرابع من العمر، يرتدي بذلة زرقاء اللون بقميص أبيض ناصع البياض، ابتسم الرجل وقال لـ

(نادي): «قبل ما أقولك على المسافة بين أسيوط والقاهرة، قولي الأول ليه بتسأل؟»

أخبره (نادي) أنه يريد معرفة عدد أعمدة التلغراف وأنه تحدى أخاه الأكبر (راشد) أن يعرف عددها دون أن يعدها طول الرحلة حيث أن هذا مستحيل تقريباً، سأله الرجل: «وخطتك إيه؟»

أخبره (نادي) أنه سر، فإذا بالرجل يقول له: «مش هاقولك على المسافة إذا ما قلتش على السردا، تعالى نعقد صفقة، أنا أقولك المسافة وأنت تقولي عن خطتك لعد الأعمدة.»

فكر (نادي) للحظات ومد يده مصافحاً الرجل قائلاً: «ماشي، نعقد صفقة.»

صافحه الرجل وهو سعيد بهذا الطفل النابغة.

قال (نادي): «جاهز لسماع السر؟»

والتفت حوله عن اليمين واليسار وفي الخلف، كان أكثر المسافرين نياماً، ثم قال: سوف أقسم المسافة إلى الكيلومتر الواحد وأحاول من خلال أصغر وحدة للزمن مع سرعة القطار، أن أعرف كم عمود نراه في الساعة الواحدة ثم أقسمه على ١٢ كي أعرف في الخمس دقائق كم عمود نمر عليه، وبالتالي أستطيع أن أعرف عدد الأعمدة طوال الطريق. فغر الرجل فاه غير مصدق أن هذا الطفل النحيل يملك تلك العقلية

الحسابية الفذة، سأله: كم عمرك وفي أي صف دراسي؟

أخبره (نادي) أنه يبلغ التاسعة من عمره وأنه في الصف الثالث الابتدائي لكنه يساعد أخاه الذي هو في الصف السادس الابتدائي في حل جميع مسائل الحساب والرياضيات.

قال الرجل: المسافة بين أسيوط والقاهرة ٣٨٠ كيلومتر.

فسأله (نادي): هل لي أن أسأل سؤالاً آخر، وهذا آخر سؤال.

قال الرجل: تفضل.

قال (نادي): كم هي سرعة القطار في الساعة؟

قال الرجل: حوالي ١٠٠ ك/ ساعة.

شكره (نادي) قائلاً: سأعود إلى حيث تجلس أسرتي، وأفوم بحساب عدد الأعمدة ثم أعود إليك.

عاد (نادي) إلى النافذة بجوار أبيه وأمسك بالساعة الرقمية المثبتة في رقبته وضبط الـ (ستوب واتش) على خمس دقائق.

وأخذ يعد الأعمدة، بعد إطلاق صافرة الساعة الرقمية إيداناً بأن انتهى العد لمدة خمس دقائق، كان (نادي) قد أحصى عدد ١٦ عموداً.

بدأ حسبه حيث ضرب $(16 \times 192 = 3072)$ $\times (380 \text{ كم} / \text{س} \%)$
 $(3,8 = \text{س} / \text{كم} \%)$

ثم ضرب $3072 \times 3,8 = 11673,6$ أي حوالي تقريباً ٧٣٠.

نعم، إذا الرقم النهائي هو ٧٣٠ عموداً في المسافة من أسيوط للقاهرة، خرج (نادي) وأخبر (راشد) أخاه أنه توصل لعدد الأعمدة.

ولكن (راشد) تظاهر أنها مسأله سهله وبسيطة وكان يستطيع أن يعرفها بسهولة، ولكن كان يختبر مستوى ذكاء (نادي)..

وأخبر (نادي) أباه وأمه، قاما بالثناء عليه بابتسامه مشجعة.

وذهب بعدها إلى الرجل الذي يجلس في الصف الخامس خلفهم، تلقفه الرجل بابتسامه وأثنى عليه ثم طلب منه أنه يريد التعرف على أبيه، أخذه (نادي) إلى حيث يجلس أبوه..

أشعل (علي الساكت) سيجارة ونفث دخانها لأعلى مستمراً في شروده يحاول نسيان الماضي القريب، نسيان قريته بمشاكلها ومخاطرها، وكل ما مر به وتحمله إلى أن استطاع إنقاذ أسرته والخروج من أهوال ومخاطر قطاع الطرق واللصوص، حاول التفكير في المستقبل، فيما هو مقدم عليه، وبدت نظرة انكسار في عينيه حين تذكر السبب الرئيسي الذي جعله يتخذ القرار بترك القرية والرحيل، تلك الحادثة اللعينة المهينة والتي تركت داخله أسوأ الأثر، نالت من كرامته وكبريائه، حطمت رجولته، اضمحلت معها فحولته..

لا ينسى ذلك اليوم الأسود من حياته، عندما كان عائداً من عمله في مضرب الأرز، وكان اليوم الأول في بداية الشهر وقد تحصل على راتبه كاملاً من الطرق في المضرب، وبينما هو عائد إلى بيته كي يعطي الراتب كاملاً لزوجته (وداد) وتعطيه (مصروفه) الشهري كالعادة، ظهر أربعة من الملاعين، هكذا كان يسميهم.. ملاعين الطرق أو اللصوص أو قطاع الطرق، وهددوه بالضرب والفضيحة وأخذ ملابسهم وتركه عارياً كيوم ولدته أمه إذا لم يعطهم كل ما في حافظته من نقود، هم يعلمون

ميعاد قبض الموظفين لراتبهم، لذا يكتفون من تواجدهم في أماكن عودة الموظفين إلى منازلهم.

عندها جاء (نادي) وبصحبة الرجل الجالس في الصف الخامس، أبي، أبي، هزه (نادي) كتفه بيده، انتبه الأب، فإذا به يرى بعينه المنكسرة وبدايات الدمع تترقق في عينيه.. (نادي) ومعه رجل غريب، لم يفهم (علي الساكت) عودة ابنه بصحبة رجل غريب، ونهض (علي) من مكانه، مد الرجل يده لمصافحة (علي الساكت).. مد (علي) يده مصافحاً الرجل.

فإذا بالرجل يقدم نفسه قائلاً: أنا (صفوت الجمال) المحامي.

صمت (علي) برهة مردداً: محامي، وماذا يريد المحامي من ابني ومني أنا؟

فهم الرجل ما دار بخلد (علي) وأضاف: أود أن أبدي إعجابي بابنك (نادي) فإنه يمتلك عقلية جبارة، عقلية حسابية، كم أنا مبهور بذكائه!

عندما زال الغموض من عقل (علي) ابتسم وشكر الأستاذ (صفوت). وأضاف (صفوت): أود لو أطلب منك أن تحافظ على هذا الولد، وتساعد في تنمية موهبة الحساب والرياضيات لديه، وإذا احتجت لأي مساعدة أو مشورة لا تردد في الاتصال بي، وهذا هو كارتني الشخصي. مد (صفوت) يده بكارتي شخصي بعد أن أخرجه من حافظته إلى

(علي).. أخذه (علي) وشكره بارتياح وسعادة ثم قال له:

أکید لي الشرف بالتعرف على حضرتك وإن شاء الله نتقابل في الخير.

عاد (صفوت) إلى حيث يجلس ووقف (نادي) أمام النافذة يراقب حركة القطار والمزارع الجميلة التي يمر من أمامها.

بينما عاد (علي) إلى مقعده وإلى شهوده، وكأنه يريد أن يكمل الحكاية المأساوية التي كان يتذكرها، حينما داهمه اللصوص، وخبروه بين أخذ نقوده وراتبه الشهري والذي لا يملك غيره حيث هو لا يدخر شيئاً وليس لديه حساب في أي بنك، وبين أن يأخذوا ملبسه ويفضحوه في القرية بأكملها.

مد يده في داخل جلبابه ووضعها داخل جيب سترته الداخلية ثم أخرج حافظة نقوده، وبينما هو يخرج حافظته، نظر أحد اللصوص إلى يد (علي) وأعجبته ساعته.

أعطاهم (علي) الحافظة، فتحها أحدهم، وأخرج كل ما فيها من نقود، أخذها ودسها في جيبه، ثم أعطاه الحافظة ثانية، قائلاً: لا نريد إلا النقود، أما الأشياء الأخرى من بطاقة هوية أو غيره، فهي لا تلزمننا.

وبينما التقط (علي) الحافظة بيده، أمسك بها أحد اللصوص وقال له: هذه الساعة تعجبني، أريدها، اخلعها، وإلا...

ازداد غضب (علي) ولكنه كتم غضبه خوفاً من تهديداتهم، وخلع الساعة ثم أعطاه إياها وروحه تكاد تغادر جسده بلا رجعة، نقوده كاملة وساعته.. ماذا يحدث لي؟ بعدها تركوه يمر بعد أن ضربه أحدهم بعصاه على ظهره وهو يمر، سار (علي) بعيداً وقلبه يخفق بشدة، ولا يعلم،

هل يفرح بنجاته وعدم تعرضه للفضيحة والظهور عارياً أمام أهل بلدته وأسرته، أم يحزن على ضياع راتبه بالكامل وساعته وضربه على ظهره! كان يمر فوق كوبري صغير يعلو ترعة تشق البلدة والحقول، فكر في أن يقفز من فوق الكوبري إلى الرياح في الترفة ليتخلص من حياته والعار الذي سيحيا به عمره كاملاً.. ولكنه تذكر أولاده، وخاف من عقاب الله له في الآخرة! شعر بانكسارٍ في عينيه والدموع تضغط عليهما تريد الهطول، وضع (الكوفية) الرمادية التي يرتديها، على وجهه، وصار ملثماً كي لا يراه أحد أو بالأحرى لا يرى دموعه وانكسار عينيه، لم يستطع العودة إلى المنزل، جلس على حجر كبير على حافة الطريق يفكر، يريد أن يصرخ، حيث تعرض للإهانة، ولم يستطع فعل الشر، هو ليس ضعيفاً، لكنهم أربعة رجال ومعهم عصي و(طبنجات) وهو وحده وليس مسلحاً، ودائماً الكثرة تتغلب على الشجاعة، هو ليس جباناً، لكنه وحيد، أعزل، ولا يمتلك القدرة على مقاومتهم، كيف يعيش بدون أموال طيلة الشهر؟

وجد نفسه يعود إلى مضرب الأرز إلى عمله، ودعا الله أن يكون عم (عوضين) لا يزال هناك ولم يغادر مع بقية العمال والموظفين..

عم (عوضين) هو رئيس العمال وهو من المقربين إليه..

سار بسرعة كبيرة وكان يسير أحياناً ويركض أحياناً،

وعاد من طريق آخر غير الذي اعتاد عليه خوفاً من رؤية هؤلاء

للصوص مرة أخرى، وعندما وصل إلى المضرب، وجد (عوضين)

خارجاً من الباب...

ركض وراءه، ولم يستطع أن يقص عليه ما حدث، حالت كرامته دون ذلك، ولكن طلب أن يقترض بعض النقود حيث لديه التزامات كثيرة هذا الشهر، وافق (عوضين) وأعطاه المبلغ لكنه أكد عليه أن يرده بداية الشهر القادم.

شعر (علي) بتحسّن، حاول التفكير فيما سيقول لـ (وداد) زوجته عن النقص الشديد في الراتب، حيث أنه اقترض من (عوضين) تقريباً ربع ما كان يتقاضاه.

عاد إلى المنزل، وطلب من (وداد) تجهيز مياه في الحمام كي يستحم، وبينما هو يستحم نظر إلى نفسه عارياً وتخيل أنه كان يوشك أن يسير في طرقات القرية هكذا إذا لم يدعن لأوامر (البلطجية) واللصوص وأحس أنه أحسن صنعاً أن أعطاهم ما يريدون ويتركونه يمضي بلا فضائح، تلاحقه هو وأولاده طيلة حياتهم، عندما خرج من الحمام، لاحظت (وداد) الوجوم على وجهه والحزن يملأ عينيه، سألته: هل حدث شيء؟ قال: نعم، ضاعت حافظة النقود والراتب الشهري كاملاً، وعندما اكتشفت ذلك، توجهت إلى المركز وقمت ببيع ساعتني، وبينما أنا عائد في طريقي وجدت حافظتي ملقاة على الأرض، ولكن بالطبع بلا نقود، فقد أخذوا النقود وتركوا الحافظة.

وأعطاهما (علي) ما معه من نقود والتي اقترضها من (عوضين) وظنت هي أنها ثمن بيع الساعة، ربتت على كتفه وقالت له: دقائق وأحضر الغداء.

أخبرها أنه لا يريد أن يأكل، فقط يريد أن ينام، ودخل إلى سريره ثم سحب الغطاء على جسده ورأسه ووجهه، وأعطى الضوء الأخضر لعينيه أن تفرغ ما فيها، ولدموعه أن تنهمر دون أن يراه أحد، سألت الدموع بلا تحفظ، انطلقت وأخذت طريقها على خد (علي الساكت) وهو صامت صمت القيود، ولكن بداخله كان يستعد للانفجار في أي لحظة.

وهنا، اتخذ قراره بالرحيل من تلك القرية التي شهدت لحظات ضعفه وانكساره، مر الوقت على الجميع بطيئاً وبدأ النعاس يداعب أعين الصغار، استسلم الجميع للنوم وغفلوا في سبات عميق، مع حركة القطار الهزاز والصوت المنتظم الناجم عن حركة العجلات الحديدية فوق القضبان الحديدية أيضاً، وأخذ النعاس وعرف طريق إلى أعين الكبار ثم راح الجميع في نومٍ طويل إلا (وداد) لم تستطع النوم ولم يقدر النعاس على هزيمة أجفانها بالقلق، فلم تغف ولو للحظة، كانت تعاني الأمرين (الفكر والألم).. عقلها لا يتوقف عن التفكير عما هي مقدمة عليه، وعشرات الأسئلة تدور في رأسها بلا إجابات، أين سيعيشون؟ ومدارس الأولاد؟ وهل سيكون لهم أصدقاء وجيران طبيعيين كما كان لديهم في قرية (النخيلة)؟ وماذا سيعمل زوجها (علي)؟ فهو كان يعمل في مضرب للأرز، والإسكندرية كما يصل إلى مسمعها، مختلفة عن حياة الريف وليس بها على الغالب مضارب أرز، فماذا سيعمل ومن أين سيأكلون وهو ليس لديه أي مدخرات؟ وكان مع كل سؤال بلا إجابة، تخرج معه آهة ألم، فكانت تشعر بالآلم في معدتها، وشعور قوي بالغثيان تحاول مقاومته، حيث هي تعرف أن الأنثى لا يجب إلا أن تجلس ساكنة

ولا يشعر بما تعانيه أحد، تتذكر ذهابها إلى (أم عتتر) (الداية والحكيمة) فكانت تعطيها أعشابا لتداوي آلام معدتها، ولكن لم تجد تلك الأعشاب أي نفع، اللهم إلا تسكين مؤقت للألم، ثم يعاود إليهم هجماته الشرسة لتشعر بالألم وحرقة في المعدة لا تعرف لهما سببًا، وكانت تخشى أن تتناول أي طعام كي لا يزيد أوجاعها، وكان الطعام الوحيد المريح لها هو (الزبادي).

فتح الأستاذ (صفوت الجمال المحامي) حقيته وأخرج منها بعض الملفات، قرأ فيها بعض الأوراق وارتسمت على وجهه ابتسامة ثقة وانتصار حيث كانت هذه الورقة هي صورة من قرار الحكم الصادر لصالح موكله الذي تعرض للتعذيب على يد أحد رجال الشرطة، وقام المحامي برفع دعوة على وزارة الداخلية وعلى الضابط بشخصه ووظيفته.

وبعد عدة (تأجيلات) من قبل القاضي في محكمة أسيوط، أخيرًا صدر الحكم لصالح (المدعي) موكل المحامي (صفوت الجمال) بالتعويض ومعاقبة الضابط بالعزل من وظيفته وإحالته للتقاعد، وقام أهالي المدعي بحمل المحامي على الأعتاق والهتاف بحياة القضاء المصري العادل وهذا هو المعتاد، فإذا كان الحكم لصالح أحدهم، يهتف ويتغنى بالقضاء العادل، وإذا لم يكن لصالحه، فهنا يتهم القضاء ويقول بأن الحكم مسيس والقضاء غير عادل ومنتحيز، وكان هذا انتصارًا جديدًا يضاف إلى انتصارات الأستاذ (صفوت) حيث اعتاد على دراسة القضية المقدمة إليه جيدًا قبل أن يقول كلمته، إما بقبول القضية أو

رفضها، فهو يعمل بحس وخبرة المحامي، فإذا وجد ثغرات في القضية وأن القانون يمكن أن ينصف الموكل، يقبلها، وإذا شعر بحسه وخبرته أنه ليس هناك أي فرصة لربح القضية، فهو يعتذر عنها، ومن هنا شاعت سمعته أنه لا يخسر أي قضية.

واستمرت ابتسامته على شفثيه وهو لا يعلم أنه قادم لما هو أقوى وأهم مما سبق حيث سيكون طرفاً في قضية رأي عام يتحدث عنها المجتمع بأكمله.

بدأ القطار في إبطاء سرعته للاستعداد لدخول محطة رمسيس بالقاهرة، وبدأ الركاب يستيقظون ويحدثون إزعاجاً، أدى إلى استيقاظ (علي الساکت) وأسرته، الجميع يحاول التلصص عبر النوافذ والدهشة والانبهار تملأ أعينهم.

سار (نادي) بجوار أسرته على رصيف المحطة بينما يتلفت يميناً ويساراً محاولاً تفحص الأشياء من حوله ومتممًا بكلماتٍ هو وحده من يدرك معناها وينظر إلى أعلى، إلى السقف المرتفع للغاية، سقف محطة قطار رمسيس، وبالسقف فتحات ذات شكلٍ هندسيٍّ جميل، يسمح بدخول الضوء والهواء لداخل المحطة، ثم يجد نفسه في البهو الرئيسي للمحطة، ليشاهد ذلك الشكل الهندسي المخروطي المتدلي من السقف للأسفل، قاعدته ملتصقة بالسقف ونهايته المدببة تعلق رؤوس المارين داخل المحطة بسرعةٍ غريبة، كل إلى وجهته، ويصل إلى مسمعه كل بضع ثوانٍ، صوت المذياع الداخلي، يعلن عن وصول قطار رقم، المتجه إلى، أو إلى مغادرة قطار.

وشاهد مكان حجز التذاكر، وإذا بأبيه (علي الساكت) مخاطبًا إياه هو وإخوته كي يذهبوا إلى دورة المياه، وأشار بإصبعه تجاهها حيث أنه ما زال أمامهم يوم طويل.

تتوالى أحلام (نادي) في التحقق واحدة تلو الأخرى، استقل القطار المتجه إلى القاهرة، والآن هو في أحد أكبر وأعرق محطات القطار في الشرق الأوسط وربما العالم (محطة مصر) ولكنه لا يعلم إلى أين سيتوجهون! هل يستقلون القطار المتجه إلى الإسكندرية أو ربما يستقلون حافلة، أم ماذا؟

توجه بهذا السؤال إلى أبيه الذي كان يتحدث مع أحد العاملين في المحطة، وبعدما فرغ، سأله (نادي): (أبي).. هل تستقل قطار الإسكندرية الآن؟

قال الأب: لا يا ولدي، ستتجه لزيارة الأولياء هنا في القاهرة وغداً نتجه إلى الإسكندرية، وقد كنت لتوي أسأل هذا العامل عن كيفية الذهاب إلى مسجد سيدنا الحسين، والآن دعني أتوجه إلى (شباك التذاكر) لحجز تذاكر الغد للتوجه إلى الإسكندرية.

زادت سعادة (نادي) بدلاً من التوجه إلى الإسكندرية مباشرةً، جاءته الفرصة للتجول داخل شوارع القاهرة ليوم كامل، ورؤية مساجد أولياء الله الصالحين، والتي طالما سمع عنها من أناس كثر وأهمهم أمه (وداد) التي لا تتوقف عن ذكر الأولياء وتدعو الله أن تنال البركة والشفاعة من الأولياء، وأن يمد الله في عمرها لتزور آل البيت.

وفي رحاب مسجد سيدنا الحسين، يشعر الجميع بالسعادة والراحة الداخلية التي تولد سلامًا مع النفس عند الإحساس والشعور بالقرب من ضريح الحسين، حفيد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وابن (علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء).

بينما كان الجميع يعيش لحظات نقاء الروح والتقوى، انشغل (نادي) بالنظر إلى أعلى، إلى جمال المعمار لمآذن المسجد وشدة ارتفاعها، والقبة الرائعة، والزخارف خارج المسجد، وأرضية الشارع الممهدة بقطع البلاط الأسود الصغير، المرصوف جنبًا إلى جنب بعناية شديدة يلمع مع ضوء الشمس ويعطي مزيدًا من الضوء للمكان وجمال التصميم، ولج الجميع داخل المسجد لأداء الصلوات وزيارة الضريح، وبعدها جلسوا سويًا في أحد جنبات المسجد والضريح، وأسندت (وداد) ظهرها، ثم انفجرت بالبكاء وتمتت بكلماتٍ بها شكر لله على أن مد عمرها وحقق أمنيتها بزيارة الحسين، شعر (نادي) بدموعه تنهمر ساخنة على وجهه الصغير، حيث لم يتمالك نفسه عند رؤيته لأمه تبكي بشدة، ارتمى على صدرها وقبلها ثم سألها عن سبب البكاء، أخبرته بما تشعر، وهنا طرأ السؤال على عقل (نادي) الصغير، لكن كيف لك يا أمي أن تعرفي تلك المساجد وآل البيت والأضرحة، ونحن أول مرة نزر بها القاهرة؟

ابتسمت الأم وظهرت أسنانها البيضاء وسط قطرات الدموع السائلة حول أنفها وفمها، ثم قالت: آه يا (نادي) أنت لا تعلم، أنا جئت هنا كثيرًا، ولكن منذ أن تزوجت أباك، لم تسنح لنا الفرصة للزيارة.

قال نادي: كيف هذا يا أمي؟

قالت الأم: سأحكي لك كل ما يتعلق بأبي وأمي، وكذلك ببعض طفولتي، كان أبي يحب السينما، نعم هو رجل صعيدي، لكنه يتذوق الفن حيث كان يملك آلة (الربابة) وكثيراً ما يعزف ويغني عليها أناشيد مدح الرسول، وكان يهوى الذهاب إلى السينما، ويدخر المال ثم يأخذ أمي وأنا وأختي (خالتيك) لتتجه إلى القاهرة، مرة كل ثلاثة شهور، حيث لا توجد دار سينما في بلدتنا، فكان يتوجه كل ثلاثة شهور إلى القاهرة فقط لمشاهدة أفلام عبد الوهاب وأم كلثوم ونجيب الريحاني، وفي أول زيارة، أخذ أمي لزيارة الأولياء مثل دخول السينما ولم أكن أنا أو أختي ولدنا بعد، فلم يكن لديهما أولاد، تعلق قلب أمي بزيارة الأولياء وشعرت بالراحة عند التبرك والتمسح بشفاة الأولياء والبكاء في حضرتهم.. دعت أمي الله كثيراً أن يرزقها بالذرية، وبعدها توجهها لدخول السينما، وكان يومها فيلم أم كلثوم، اسمه (وداد) حيث هذا كان اسم أم كلثوم في الفيلم، وبينما كان أبي مجذوباً ومثباً عينيه على شاشة السينما الضخمة، كانت أمي في الظلام، شاردة في أمنياتها القليلة والتي تتمثل في الحمل، ونذرت إن تحققت أمنيتها، وحملت في صبي (ذكر) ستسميه (عبد الوهاب) حيث كانت تعلم مدى عشق زوجها (سعد) بأفلام وأغاني محمد عبد الوهاب، وإن كانت (أنثى) ستطلق عليها اسم (وداد) تيمناً باسم أم كلثوم في فيلم (وداد).. وبالفعل بعدما عادا إلى القاهرة بفترة قصيرة، حقق الله أمنية أمي وظهرت عليها بوادر الحمل.. وطوال فترة حمل أمي وتغير الشكل الخارجي لجسدها وازدياد انتفاخ

بطنها حيث يزداد نمو الجنين، تزداد معه أحلام أمي وأمنياتها ودعاؤها وتوسلاتها على أن يكون الجنين (أنثى) وهذا لتعلقها الشديد بأحداث فيلم (وداد) وشخصية أم كلثوم التي دخلت قلبها طيلة أحداث الفيلم، وكان هذا مخالفاً لجميع أعراف أهل الصعيد حيث تتمنى أي امرأة وتحديداً في أول حملٍ لها أن يكون الضيف القادم ذكراً، ليزداد حب زوجها لها وتمسكه بها، وأنها (وش السعد) كما يقولون لأنها أنجبت له (الولد) وهذا أمر في غاية الأهمية لدى الأسر هناك حيث أحياناً تعبر الأم لإنجابها الإناث، ويقول لها كارهوها: «خلفتك بنات.»

استمع (نادي) إلى رواية أمه الشائقة وعرف الكثير من المعلومات وازداد تعلقه بأمه كما ازداد حبه لاسم (وداد) إلى أن قال لها: «أنا لما أكبر واتجوز واخلف، حاجيب بنت واسميها (وداد) عشان اسمك يفضل موجود في الدنيا.»

ابتسمت الأم وسط زخات من الدموع تسقط من مقلتيها، وضمت (نادي) إلى صدرها بحنانٍ ثم طبعت على وجهه ورأسه عدة قبلات وأطالت النظر إلى وجهه الرقيق الصغير، بتفاصيل جميلة، لا تراها ولا تقدر قيمتها إلا الأم.

عاد الأستاذ (صفوت) إلى الإسكندرية بعد انتصارٍ تحقق في محكمة (أسيوط).

وما أن دخل العمارة التي يقطن بها وصعد السلم متجهًا إلى الطابق الخامس حيث توجد شقته، وإذا به يسمع أصوات شجار وثلاثة أصوات

مختلفة تتجاذب الحديث بصوت عالٍ مسموع بوضوح، وقد تعرف على صوت زوجته (صافيناز) وكذلك صوت ولده (أيمن) ذي العشرة أعوام، أما الصوت الثالث كان لرجل، لم يحدد من هو تحديداً...

ومع اقترابه من الطابق الثالث، فالرابع، يزداد الصوت ويتعالى صوت الشجار وتتطاير الكلمات كأنها مقذوفات تخرج من باب شقة الأستاذ (صفوت الجمال) يزداد توتره، ماذا يحدث؟! من يتشاجر مع زوجتي وابني؟ ماذا يدعو إلى كل هذا؟ لا بد أن الأمر جلل، يصعد السلم بجسده البدين الذي يعوقه عن سرعة القفز فوق درجات السلم، وأخيراً يقترب من باب شقته ويفتح الباب، ليتوقف الشجار في التو واللحظة، وينظر ثلاثتهم إليه، يهرع إليه (أيمن) ليرتمي في أحضانه، وتقترب (مدام صافيناز) منه بوجه عابس، لا يعرف للابتسام طريقاً قائلة: «حمداً لله على السلامة.»

وبعدها السؤال البعيد عن أبسط قواعد الذكاء: أجنّت؟!!!

وبعدها تنهال عليه بكلمات: «تعالى، جيت في وقتك، تعالى شوف المصيبة اللي أنت عملتها، والكارثة والبلوة المسيحة اللي أنت بليتينا بيها.»

وأشارت إلى الرجل الواقف بينهما..

ألقي الرجل التحية قائلاً: أهلاً أستاذ (صفوت).

إنه الأستاذ (عزت) مدرس الرياضيات!

حافظ الأستاذ (صفوت) على هدوئه، وأجبر الجميع على الجلوس في هدوءٍ يبدو ظاهراً ولكن النار تغلي في عروق وصدور الجميع،

يشتكي الأستاذ (عزت) المدرس من قلة خبرة وضعف قدرات وذكاء (أيمن) على فهم أبسط المسائل الحسابية، ومساعدة والدته له (مدام صافيناز) على اللهو واللعب إيماناً منها أن المدرس الخصوصي يحمل عصا سحرية يستطيع بها إنماء ذكاء (أيمن) ووضعه على المكان نفسه وفي مصاف المتفوقين، وأنها تدفع مبلغاً كبيراً من المال لذلك المدرس الذي لا يستحق ربع هذه الأموال.

هذا هو المدرس الرابع الذي يحضره الأستاذ (صفوت) لمساعدة ابنه (أيمن) في فهم مادة الرياضيات، التي يرسب فيها دائماً في الاختبارات المدرسية..

ضرب الأستاذ (صفوت) كفاً بكف وأخذ يتمم ويحرك رأسه يميناً ويساراً، ماذا عساي أن أفعل؟ أترك عملي واستذكر الدروس مكانه؟! اعذر للأستاذ (عزت) وأعطاه بقية نقوده حيث كانت هي سبب الشجار، أنه يطالب ببقية راتبه والأم ترفض أن يأخذ جنيهاً واحداً حيث أنه لا يستحق، ومستوى (أيمن) ما زال على حاله (الضعيف للغاية).. أئخذ الله الأستاذ (عزت) من برائن (مدام صافيناز) الدائمة العبوس ذات القبضة الحديدية على كل ما يحدث داخل أو خارج محيط الأسرة.

وكانت هذه إحدى المآسي التي أحاطت بأستاذ (صفوت) وندم على فعلها، فهي متحكمة لا تعرف للسعادة أو المرح طريقاً، ولكنه بعد أن أنجب ابنه الأول (شادي) وهو لحكمة ما من الخالق (جل وعلا) ولد بإعاقه ذهنية، فلا يستطيع الكلام المفهوم أو الذهاب إلى المدرسة، إذ أنه يبلغ من العمر الرابعة عشرة ولكنه يحمل داخل رأسه

عقل طفل لا يتخطى الثالثة أو الرابعة من العمر، وحسب ما قاله الأطباء أن (شادي) سيظل هكذا طيلة حياته، يحتاج إلى خدمات كثيرة ومجهود مضاعف للاهتمام به، وهذه هي أول فرحة أو أول طفلٍ لهما، الابن البكري، بعدها تردداً في تكرار التجربة، أو الحمل في طفلٍ آخر، إلى أن مر حوالي أربع سنوات، وحدث أن حملت (صافيناز) وكان هذا يوماً أسوداً على (صفوت) حيث شعر أنه سيأتيه (شادي) آخر بالإعاقة الذهنية نفسها، لكنه دأب على الدعاء لله طوال الوقت، أن يكون القادم سليماً معافى، طفلاً كاملاً صحيحاً.. مر عليهما الشهر التاسع من الحمل، بصعوبةٍ شديدة وقلقٍ شديد، ولم تتوقف (صافيناز) عن البكاء خشية الطفل القادم وخصوصاً أنهما علما من طيبب النساء بعد فحص (السونار) أن الجنين (ذكر).

وفي يوم الولادة، ترك الأستاذ (صفوت) المستشفى، وذهب إلى المسجد المجاور، ليتعبد ويدعو الله أن يكون هذا الولد، مكتمل النمو الذهني.

واختار له اسم (أيمن) لأن طيبب النساء الذي يشرف على توليد (صافيناز) يدعى (د. أيمن فاضل).

راح (نادي) في سباتٍ عميق واضعاً رأسه على فخذ أمه (وداد) والأحلام تطارده، وإذا به يستيقظ ويفتح عينيه ليشاهد الشارع مليئاً بآلاف من الناس يسرون ببطءٍ رافعين رايات خضراء وأعلام عليها كتابات عن سيدنا الحسين والرسول والأشراف، كما كان هناك أناس

آخرون يتمايلون، يتحرك بهم الجزء العلوي من الجسد، فيذهب ناحية اليمين تارة، وتارة أخرى ناحية اليسار بالخوف، ولكنه سرعان ما تبدد ذلك الخوف عندما شعر برجل أمه تحت رأسه ورقبته وملامسة لظهره، نظر إليها متسائلاً: «ماذا يحدث هناك يا أمي؟»

وأشار إلى الشارع الأمامي وإلى جموع الناس السائرة برتابة وملابس غريبة لا تخلو من الألوان الفاقعة، وبدأت (وداد) في الشرح حول مولد سيدنا الحسين وماذا يحدث به!

وكان (نادي) يسمع باهتمامٍ شديد، يسمع بأذنه بينما عيناه تتابعان كل تفاصيل ما يحدث، من ملابس الرجال والنساء، وحملة الدفوف، وحملة الرايات، ثم سأل عن الرجال المائلين بنصف جسداهم العلوي، بينما أرجلهم مثبتة في الأرض وكأنها شجرة بلوط بجذور تضرب الأرض بعمقٍ وقوة! وبعدها سأل عن أناس يلبسون ملابس سيدات، ويشعر طويل مثل النساء، لكنهم لهم شوارب، ما هذا المنظر الغريب؟! وما هذه الحيرة؟ فالنصف السفلي، يرتدون تنورة بألوانٍ طويلة كثيرة والنصف العلوي يلتف حول صدورهم أحزمة جلدية سوداء وشعورهم طويلة للغاية ومجعدة ويصل طولها إلى ما بعد الكتف وكانهم لم يذهبوا إلى الحلاق منذ عقودٍ طويلة!!

أجابته (وداد) أنهم (راقصو التنورة) وأنها هذه هي مهنتهم وباب رزقهم وأنهم ينتظرون ميعاد المولد كي يحصلوا الأموال التي تكفيهم بالكاد بقية العام.. لم يفهم (نادي) إلا مسألة الرزق ولكن عقله لم

يستوعب، لم هذه الملابس والشعر الطويل مع وجود شارب! علامات استفهام كثيرة نابعة من أسئلة ليس لها إجابات!!

دخل ممرض المستشفى المسجد بعدما خلع نعليه ودار بعينه داخل المسجد ليرى (أ. صفوت) يستند بظهره على أحد أعمدة المسجد بينما وجهه حزين وعيناه تترقرقان بالدموع، هرع إليه قائلاً: «أنا عايز الحلاوة بقى يا أستاذ (صفوت).»

نظر إليه (صفوت) وبدأ يبتسم وعيناه مفتوحتان بلهفة، ينتظر أن يسمع ما سيقوله الممرض ردًا على سؤاله: «طمني.. إيه، إيه؟!..»

قال الممرض: «(ولد).. ولد زي القمر يا أستاذ...»

قال (صفوت): «أعرف أنه ولد منذ أربعة شهور، ولكن حالته الصحية، هل فحصه الطبيب؟»

الممرض: «نعم.. يقول أن الفحوصات الأولية والمبدئية تشير أنه طبيعي تمامًا وكل أعضائه تعمل بصورة طبيعية ووزنه طبيعي، أما مسألة المخ، فستضح لاحقًا.»

فرح الأستاذ (صفوت) ودس يده في جيب سترته الداخلي وأخرجحافظة نقوده ثم أخرج منها ورقة فئة المائة جنيه وناولها للممرض، الذي فرح بها وبدأ في تلاوة سربٍ من الأدعية والمباركة بالمولود الجديد.

وفي حجرة (صافيناز) دخل (صفوت) عليها وهي تبكي وتقبل الطفل بشدة، ثم أخبرها أنه يريد أن يطلق عليه اسم (أيمن).

أصاب (صافيناز) الذعر عند سماع اسم (أيمن) وقالت له: مستحيل.. إنه اسم الميكانيكي الذي يصلح لي سيارتي، هل تريد أن أطلق على ابني اسم الميكانيكي؟
وكان هذا أول خلافٍ حقيقيٍّ يحدث بين (صفوت) و(صافيناز) ولم يكن الأخير.

- سأسميه (كريم).

أصر (صفوت) على (أيمن) شارحًا وجهة نظره أنه تيمناً بالدكتور (أيمن فاضل) الذي أشرف على حملها وولادتها..
وبعد طول نقاش، وافقت على مضمض أن يكون اسم المولود (أيمن).

جالت كل هذه الذكريات في ذهن (صفوت) وهو يستمع إلى وصلة التويخ المعتادة من (صافيناز) وإلقاء اللوم عليه في كل سلبيات وإخفاقات حدثت بحياتهم، وكأنه المسؤول عن كل فشل.

فكانت دائمة اللوم له والذي يصل إلى درجة المعاييرة أن (شادي) ابنهم الأول، البكري، أول فرحتها، ولد بإعاقه ذهنية.

وكانت تربط بين هذا وبين خالة (صفوت) والتي تقضي حياتها منذ الصغر في مستشفى للأمراض العقلية، ولم تخرج منها حتى بعد أن تخطى عمرها الخامسة والستين.

فكان يتذكر كلمات (صافيناز) في هذا السياق، كلمة كلمة.. «طبعاً (شادي) طلع لعيلتك، طلع ليك، مش أنت لك خالة مجنونة،

خالتك (زبيدة) المجنونة، هي مش نزيلة مستشفى المجانين لعشرات السنين؟!»

كانت كلماتها كفيلة لتزيد تباعد المسافات بينهما، بعدها رزقهما الله بالمولود الثالث، وإذا بها بنت آية في الجمال، وبالطبع، نسبتها (صافيناز) لنفسها وأسرتها، لتؤكد أنها جميلة مثل أمها، وأصرت أن يكون اسم المولودة من اختيارها، أسمتها (كارمن).

وكانت كما يقول الجميع (البنت حبيبة باباها) بالفعل كانت (كارمن) منذ الصغر متعلقة بـ (صفوت) بشدة، وإذا به يستيقظ من شروده على صوت (كارمن) تجري عليه وهي صاحبة الثماني أعوام، حاملة في يدها الجريدة الصباحية.

- «بابا.. حبيبي.. صورتك واسمك منور الجريدة.»

بالفعل كتبت الكثير من الجرائد تغطية خاصة عن خبر انتصار أحد المحامين القاهريين لفلاح بسيط تعرض لظلم من أحد ضباط الداخلية واقتص له منه، وأمر القاضي بتعويض للفلاح، ومعاقبة الضابط وكانت هي السابقة الأولى في القضاء، وصارت قضية رأي عام، وزادت من أسهم نجاح المحامي (صفوت الجمال).

وإذا بـ (صافيناز) ترد على (كارمن): «بتباركي له على إيه؟ هو ناسي أنا بنت مين! ده لولا أن بابا هو المستشار (نبيل سلام) ما كانش أبوك نال الشهرة دي.. وكمان بابا كان رافض زواجي من أبوك، علشان كان محامي صغير مبتدئ، اسمه مش معروف.. لكن الله يجازيها ماما

كانت متعاطفة معاه وأجبرتني على الزواج منه، وادينا آهه، جالنا ولد متخلف طالع لخالته وربنا يستر على اللي جاي.»

نزلت كلمات (صافيناز) كآلف سوط على ظهره، أضاعت معها فرحته بانتصاره على وزارة الداخلية، وكسرت داخله كل أمل في مواصلة نجاحاته، لكن كان داخله يكتفي بفرحة طفله الصغيرة (كارمن) بكل براءتها وحبها الصافي له، وإذا به يستفيق مجددًا على صوت (البومة) أقصد صوت (صافيناز) تنهره وتدفع كتفه قائلة: «حatemل إيه في مشكلة ابنك (أيمن) اللي مش فاهم أي حاجة في الرياضيات؟!»

- (حاضر) اديني فرصة، هاشوف مدرس تاني للرياضيات (مدرس تفصيل) يكون ممتاز في شرح الرياضيات، ويكون صبور ويتحمل غباء ابنك وكمان يسمع إهاناته بأذنه الصادرة من لسانك الجميل دا والذي ورثه (أيمن) عنك..»

ذهب (صفوت) إلى حيث يجلس (شادي) على الكرسي المتحرك وقبل رأسه ثم احتضنه وقال: «ربما أنت لن تستطيع فهم ما أقوله، لكن لولاك ما ربحت هذه القضية الصعبة أمام أهم وزارة في مصر (وزارة الداخلية).. فقد كانت صورتك تتحرك أمامي وأنا أشرح بالدفوع والحجج القانونية لأقتص لهذا الفلاح البسيط، والذي تعرض للإهانة بلا ذنب أو أي وجه حق من قبل الضابط، فكنت أرى فيك ضحية للقدر والدنيا الغير منصفة أحيانًا، تمامًا كما رأيت هذا المزارع البسيط، أريد أن تعرف كم أحبك وراضي بقضاء الله، وأشكر الله كثيرًا كثيرًا على وجودك في حياتي أنت وهذه الفتاة التعيسة..»

(وأشار إلى مشيرة) ثم أكمل: أختك الجميلة (مشيرة).

ردد (صفوت) آخر جملة عدة مرات.. (أختك الجميلة) وهنا تذكر بعد أن سافر بخياله لعدة سنوات مضت أن يوم ولادتها أراد أن يسميها (جميلة).. حيث رأى في وجهها جمالاً لم يشاهده من قبل لأي مولود، وبمجرد أن أوضح (صافيناز) رغبته في أن يطلق عليها اسم (جميلة).. انتفضت (صافيناز) في سريرها وكأنها لدغت من ألف عقرب..

- نعم، هذا مستحيل، لقد وافقت على مفضل أن تسمي الولد الثاني (أيمن) رغم اعتراضي الشديد على هذا الاسم.. هذا دوري، اترك لي تسمية ابنتي، أنا لا أوافق على هذا الاسم البلدي (جميلة) كي تكون سخرية الجميع حين ينادونها (جميلة الجمال).. ما هذا الاسم؟ أنا سأسميها (مشيرة).. اسم شيك يليق بي وبأسرتي.

جفف (علي الساكت) دموعه المنهمرة أمام ضريح سيدنا الحسين وهذه كانت المرة الأولى التي يبكي فيها ولا يأبه بمن يشاهد دموعه المنهمرة، ولم يتوقف عن الدعاء والطلبات، تارة يدعو الله مباشرة، وتارة أخرى يطلب من سيدنا الحسين الشفاعة وتوصيل رجائه لله، وكان أهم مطلب، هو أن يعوضه الله عن ضعفه وانكساره وتركه لبلدته، في أولاده بالنجاح والقوة.

بدأت (وداد) في تجميع أمتعتهم القليلة والاستعداد لأخذ طريق العودة إلى محطة رمسيس ثانية كي يقلهم قطار الإسكندرية حيث هي المحطة الأخيرة والمدينة التي يشدون إليها الرحال، وأخذت تنظر حولها

لتجميع أولادها حيث كانت تسمع من قبل عن سهولة فقد الأولاد حيث يضلون طريقهم وسط زحام الآلاف من المريدين والمحتفلين بالمولد. أين (ألفت)؟ ودائمًا تبدأ بالصغيرة، بعدها (نادي).. أين (نادي)؟ ثم (راشد)..

«حمدًا لله يا أولادي أنكم بخير، اجلسوا هنا بجواري لحين وصول أبيكم، وبعدها نتوجه إلى محطة القطار.»

شعر (نادي) بالسعادة والحزن في آنٍ واحد، شعر بالسعادة حيث سيعود إلى محطة رمسيس للقطارات والتي أبهرته باتساعها ونظامها، وشعر بالسعادة أيضًا لقرب انتقاله إلى الإسكندرية، المدينة البحرية الساحلية الجميلة، والتي كان يسمع أنها عروس البحر الأبيض المتوسط ولكنه في الوقت ذاته كان يشعر داخله بغصة ومسحة حزنٍ على وجهه، لمغادرته القاهرة، حيث كان يتمنى أن يقضي بها وقتًا أطول، إنها العاصمة، أهم مدينة في مصر، كان يمني نفسه بزيارة أماكن سمع عنها من الكتب فقط وأحيانًا من حكايات خاله (حامد) التي لا تنتهي والعالقة بذهنه والمصحوبة بخيال وصور نسجها في عقله، وكم اشتاق أن يشاهد تمثال (أبي الهول) وينظر إلى وجهه، رأس الإنسان على جسد أسد، ضخمة للغاية وسيحاول التحدث مع (أبو الهول) ربما يتلقى منه رد، ربما تحدث المعجزة وينطق (أبو الهول) ببضع كلمات، لم لا؟!!

فصبر المعجزات لم ينته بعد!

كذلك كم تمنى (نادي) أن يشاهد أسود كوبري قصر النيل، فطالما سمع أن هناك أربعة أسود سوداء ضخمة للغاية؛ اثنان على كل طرف ومدخل للكوبري الذي يصل النيل بجانيبه الشرقي والغربي.

وأنه يعلم أنه مسموح أن يقفز فوق الأسود السوداء الضخمة ويجلس على ظهورها، ويمتطيها وكأن كل واحدٍ منها جواد، ربما تتحرك من مكانها وتتجول به في نزهة، داخل شوارع القاهرة، لم يتوقف خيال (نادي) عن التفكير والذهاب إلى أبعد مكان.

في محطة (سيدي جابر) للقطارات بالإسكندرية..

وقف (جيوشي) على رصيف المحطة، بجسده الضخم، وبشرته السمراء في العقد الخامس من العمر، ذو ملامح غليظة بعيدة عن الجمال يرهب كل من ينظر إليه من دمامة خلقته.. لكنه كان يحمل بين ضلوعه أطيّب وأرق قلب يمكن أن تعرفه، كان محبًا للجميع، متسامحًا مع من يخطئ في حقه، لكنه دائمًا يشعر بالحزن من نظرة الناس إلى شكله الخارجي وتجاهل ما بداخله، دمامة، دمامة، كلمتان متشابهتان لكن الفرق بينهما شاسع، فالأولى سبب تركه لبلدته الجميلة.. قرية النخيلة.. والثانية سبب تمسكه بالأمل والحياة وسط أناس منهم القليل الطيب والكثير الأناني الجارح، المعذب والجلاد لمن هو على شاكلته، ليلسه بسوطه بأقصى الكلمات والألفاظ مع تعمد إظهار نظرات الخوف والرعب من شكل (جيوشي).. كم عانى وكم تحمل!!

يذكر ذات مرة أن ذهب إلى المخبز ليبتاع بعض الخبز لعشائه، وعندما دخل المخبز، كانت هناك سيدة ومعها طفل صغير وإذا بالسيدة تأخذ ابنها من يده في حركةٍ سريعة، وتركض سريعاً خارج المخبز قائلة: «ياللا بسرعة يا بني قبل ما الغول ياكلك.»

تجمد (جيوشي) في مكانه غير مصدق أن كلمة (الغول) هو المقصود بها، ثم خرج وترك الخبز والمخبز وعاد إلى بيته الصغير المكون من حجرتين فوق أحد أسطح المنازل العالية، ليغلق عليه الباب ويقرر ألا يفتحه ثانية، وأن يظل هكذا إلى أن تزهد روحه، لم يبق له في هذه الحياة شيء، الناس تخافه وتبتعد عنه كأنه حامل للأمراض كثيرة معدية أو أنه العفريت أو الغول الآكل للصغار كما كانوا يطلقون عليه.. ولكنه كان يتحامل ويصر آملاً أن يتحقق مراده ويجمعه بلقب حبيبته (دولت) الوحيدة التي بدلتها حباً بحب..

آه (دولت) كم اشتقت إليك!

وبينما هو جالس في مقهى المحطة منتظراً وصول القطار الذي يهبط منه صديقه (علي) وأسرته، إذا به يسمع عبر جهاز الراديو صوت السيدة (أم كلثوم) تشدو بأجمل أغانيها والمحبة إلى نفسه، من أشعار (بيرم التونسي) وألحان (زكريا أحمد)..

هو صحيح الهوى غلاب.. ما اعرفش انا

والهجر قالوا مرار وعذاب واليوم بسنة

جانني الهوى من غير مواعيد وكل مادا حلاوته تزيد

ما احسبش يوم ح ياخذني بعيد

يمني قلبي بالأفراح وارجع وقلبي كله جراح
إزاي يا ترى؟ أهو ده اللي جرى! وأنا ما اعرفش
نظرة وكنت احسبها سلام وتمر قوام!
أتاري فيها وعود وعهود وحدود وآلام!
وعود على ذله وحرمانه وبدال ما اقول حرمت خلاص اقول يا رب
زدني كمان، ازاي يا ترى؟ أهو ده اللي جرى! وانا ما اعرفش.
يا قلب آه الحب آه أشجان وألم واندم وأتوب وعلى المكتوب ما
بعدش ندم
أهل الهوى وصفولي دواه لقيت دواه زود في أساه، ازاي يا ترى؟
أهو ده اللي جرى! وانا ما اعرفش.

دخلت (ميادة) السكرتيرة بعد أن طرقت باب مكتب (أ. صفوت)
قائلة: «يتظرك بالخارج رجل يبدو عليه مظاهر الثراء ويريد مقابلتك،
أعطاني هذا الكارت.»

قرأ (صفوت) الاسم على الكارت (نادر فخري) رئيس مجلس إدارة
مجموعة (N.F) للتوكيلات التجارية والاستيراد.

دخل (نادر بك) وبعد أن جلس، قدم نفسه لـ (صفوت) بصفته
أحد كبار رجال الأعمال، وأخبره أنه قد حدث خلاف بينه وبين محاميه
السابق، فقرر أن يسند جميع قضايا مكتبه واستشاراته القانونية لمكتب

(أ. صفوت) بعد أن طالع في الصحف أخبار نجاحه في انتزاع حق مواطن بسيط من وزارة الداخلية، وهي سابقة لم تحدث من قبل.

لم يصدق (صفوت) ما سمعه، حيث كانت هذه إحدى أمنياته في أن يكون محامياً ومستشاراً قانونياً لدى رجال الأعمال وأصحاب النفوذ، فهذا كفيل بأن يقفز به ويصعد بأسهمه إلى أعلى الدرجات ولا يحتاج لانتظار الدفاع في قضايا تافهة صغيرة كقضايا الأحوال المدنية من زواج وطلاق أو إثبات نسب أو الحصول على نفقة أو حضانة طفل.

كان دائماً لديه شعور داخلي أنه أهم وأكبر من ذلك بكثير وأنه لديه قدرات من الذكاء وفهم بنود مواد القانون فهماً جيداً بالإضافة لقدرته على الخطابة بأسلوب فصيح ولغة عربية سليمة، بما يتيح له أن يكون بين الكبار في عالم القانون والمجال الحقوقي، بينما كان (نادر بك) عائداً إلى فيلته مستقلاً سيارته الفارهة، تردد في ذهنه وتفكيره سؤال مهم وملح بعد مقابلة (أ. صفوت).

هل (صفوت) هذا لديه القدرة على حمل أعباء وثقل الملفات القانونية الكثيرة حيث كانت مجموعة (N.F) دائمة الدخول في نزاعات قانونية مع مصلحة الجمارك والضرائب وكذلك نزاعات تخص ملكية الأراضي وغير ذلك الكثير؟

ابتسم (نادر) وهو ينفث دخان سيجاره الضخم، فيحدث سحابة كثيفة من الدخان، سرعان ما تلاشت مع خروج الهواء البارد المنعش من فتحات مكيف السيارة، ابتسم مستبشراً في (صفوت) الخير، وأنه ما زال صغيراً ولديه القدرة الجسدية والذهنية على حمل أعباء مكتبه..

نظر بعدها إلى السائق، أن يسرع به للعودة إلى الفيلا، دخل (نادر) عبر البهو الرئيسي للفيلا، وإذا بطفلته الصغيرة المدللة (دنيا) تركض تجاهه قائلة: "بابي.. وحشتني."

كانت (دنيا) تلعب مع المربية الخاصة بها (دادا عواطف).. (دادا عواطف) امرأة بسيطة رقيقة الحال في العقد الخامس من العمر، تعيش مأساة حيث كانت في عهدٍ سابق تحيا حياة هادئة مستقرة مع زوجها (عامل في محطة بنزين) ولديهما طفلة، وتسكن في بيت أسرتها المكون من ثلاثة طوابق، حيث منحها أبوها حجرتين فوق سطح البيت لتتزوج فيهما حيث أن ظروف زوجها لا تسمح له بشراء شقة، وكان الأب والأم والأخوات، يسكنون في شقة بالبيت نفسه، وفي أحد الأيام العصبية التي تعرضت لها البلاد، حيث حدثت هزة أرضية أسقطت العديد من المباني والمنازل، وكانت (عواطف) عائدة إلى بيتها تحمل أكياس الطعام والخضروات لتحضير طعام العشاء.

اقتربت من المنزل لتجده حطامًا متناثرًا على أرضية الشارع الضيق، وسقط بجواره منازل أخرى كثيرة.

ماتت طفلتها وزوجها، وجميع أفراد أسرتها..

حاولت الانتحار عدة مرات، لكن القدر كان له كلمة أخرى حيث ساعدها بعض الطيبين من الناس لإيجاد عملٍ كمربية لطفلة لدى رجل ثري (نادر بك) ومنذ ذلك الحين وهي تعمل كـ (دادة) لـ (دنيا) وترى فيها ابنتها (مرفت) التي ماتت في حطام الزلزال ولم تكمل عامها الثاني...

أوقع الله حب (دنيا) في قلب (دادا عواطف) وصارت تغدق عليها من الحب الذي كانت تدخره لابنتها الراحلة (مرفت) فمحتها كل حنانٍ وعطفٍ وحبٌّ تكون بداخلها.

وبالتبادل أحبت (دنيا) (دادا عواطف) وكانت لها العوض والسلوى في غياب أم (دنيا).

مدام (ناهد منصور) لم تتحمل قسوة وغطرسة الأب (نادر) هربت مع أول حبٍّ حقيقيٍّ قابلته حيث وجدت في (باولو) الشاب المكسيكي الذي أتى للقاهرة للسياحة، وتعرف على (مدام ناهد) أثناء تجوله في شارع المعز والتقاطه لصور المباني القديمة ذات الطابع المعماري الإسلامي الفريد، وهو لا يتحدث الإنجليزية وبالطبع العربية، فقط الإسبانية، ولحسن حظه كانت (مدام ناهد) بصحبة بعض الطلاب من معهد (ثريناتس) تشرح لهم بالإسبانية من المعالم الإسلامية في شارع المعز، حيث هي تعمل كمعلمة للغة الإسبانية و مترجمة.

وما أن سمع (باولو) (مدام ناهد) تشرح بالإسبانية بصوتٍ عالٍ للطلاب، حتى شعر أن روحه عادت إليه وأنه هناك في القاهرة من يتحدث الإسبانية، فهرع ودخل بين مجموعة الطلاب، تحدث بالإسبانية لـ (مدام ناهد): "هل من الممكن أن انضم إليكم؟"

أومأت (ناهد) برأسها ورحبت به بكلماتٍ قليلة، وانضم إلى المجموعة ثم تجول معهم في شارع المعز واستمتع بشرح (ناهد) وعرف الكثير من الشارع الذي كان منذ دقائق يتجول فيه بعينه فقط ولا يجد أي معلومات تساعده على فهم تاريخ وظروف إنشاء كل مبنى.

إلى أن حان موعد الغداء وتوجه الطلاب مع (مدام ناهد) إلى أحد المطاعم القريبة، فتقدمت إلى (باولو) ودعته لتناول الغداء معهم، وافق على الفور حيث كان متشوقاً لأن يشرح له أحدهم أصناف الطعام المصري، ومنذ ذلك اليوم وطدت علاقة (ناهد) بـ (باولو) إلى أن صارا صديقين في الوقت الذي زاد فيه (نادر) من إهماله لـ (ناهد) من الانشغال عنها بالسفر الطويل والحديث معها بطريقة غير لائقة وأنه في وضع اجتماعي أعلى بكثير منها، وأنه انتشلها من المستوى المتوسط، حيث هي على حسب قوله (حتى مدرسة) ليدفعها معه إلى عالم رجال الأعمال (الصفوة) ساكني الفلل ومستقلي السيارات الفارهة.

وكان هذا يقتل (ناهد) ويضع داخلها مسافة تقدر بالآلاف الأميال بينه وبين قلبها البسيط الرقيق، قلبها الذي حاول أن يقنع عقلها أن (نادر) الزوج المناسب عندما تعرفت عليه من خلال الحفل الذي أقامه معهد (ثربناتش) وكانت مجموعة (N.F) هي الراعي الرسمي لذلك الحفل...

وهناك انبهر (نادر) بأداء (ناهد) وهي واقفة على المنصة تلقي كلمة باللغة الإسبانية، تتحدث بلباقة وطلاقة، وتفحص مظهرها الخارجي جيداً، ذات شعرٍ أسود لامع، مرفوع فوق رأسها ببساطة بيضاء الوجه، تضع القليل من المساحيق التي تبرز جمالها الفائق، ونظر إلى يديها وأصابعها حيث هو من الرجال التي تهتم كثيراً بشكل يد المرأة وأظافرها، طار عقله حيث رأى يداً رقيقة، أصابع ليست بالطويلة أو القصيرة لكنها منحوتة بشكلٍ يسلب العقل، مع طلاء أظافر (تركواز)

فاتح، يتماشى مع الذهب الأبيض الذي ترتديه بفضوص من (التركواز) الفيروزي الفاتح، كانت يومها (ناهد) آية في الجمال وكانت محط أنظار الجميع ووصل إلى مسمع (نادر) وهو يجلس وسط الحضور يستمع إلى كلمتها، كم المدح والإطراء والإعجاب الذي نالته (ناهد) وكعادته، يريد أن يفوز بالأفضل.

تقدم إليها بعد الحفل لدعوته إلى العشاء في أحد المراكب النيلية الفخمة، لكنها اعتذرت، مما زاد من دهشته وإعجابه بها وتعلقه بها بشدة..

مرت عدة أيام، لم يستطع فيها (نادر) الانتظار أكثر من ذلك، استعلم عن عنوانها، وذهب دون ميعاد أو سابق إنذار لزيارة أسرتها والتقدم للزواج منها.

صعد خلفه السائق يحمل الكثير من الحلوى والهدايا، استقبله أبوها مع الكثير من الدهشة وعلامات الاستفهام حيث لم تخبره (ناهد) أن هناك رجلاً سيتقدم لخطبتها، وبعد أن تلاشى تأثير المفاجأة..

وبدا الأب معجباً بشخصية (نادر) ومبهوراً بها، ظل على مدى أيام يقنع (ناهد) أنه هو الزوج المناسب الذي يحقق لها الراحة والعيش الرغد.

حاولت (ناهد) أن تضع غطاءً أسوداً ثقيلاً معتمًا على قلبها وأن يكون العقل هو الحاكم لقراراتها، والاستماع إلى نصائح الأب، وهذا ما حدث بالفعل.. ولكن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن.. حيث مرت شهور طويلة بعد الزفاف، وتلاشى انبهار (نادر) بـ (ناهد)..

وصارت في الفيلا لا تزيد عن قطعة ديكور جميلة انبهر بها (نادر) في أحد (المزارات) وقاتل للحصول عليها وبعدها عاد لطبيعته ولهفته وراء العمل والمال.

اعتادت (ناهد) على الوقوف أمام المرأة لفتتراتٍ طويلة لتحاول إيجاد أو فهم سبب تلاشي تعلق وانبهار (نادر) بها كما كان الحال أول التعارف ثم تطور الأمر أن ظلت الأسئلة تدور في رأسها بلا إجابة، هل زاد وزني؟! الميزان ثابت كما هو وأحياناً يقل عن ذي قبل، هل ظهرت على بشرتي أي علامات من تقدم في العمر، تجاعيد مثلاً؟!!!!

تطيل النظر في المرأة لدرجة أنها لجأت إلى نوع مكبر من المرايا ومحاط بإضاءة قوية، كي تحاول فهم، لماذا الأمور تسير في الاتجاه السلبي!!

وماذا عن ابتسامتي؟ هل بهتت؟ هل تلاشت الابتسامة؟! نعم، نعم، لقد اختفت ابتسامتي من كثرة إهانة (نادر) لي، والتهكم علي ونقدي فيما بيننا وأخيراً حدث هذا أمام بعض الضيوف على طاولة العشاء، حيث تحدث أحد الضيوف وأبدى إعجابه بطريقة طهي الطعام وتقديمه على الطاولة مع المقبلات والمشروبات، فإذا بـ (نادر) يعارضه قائلاً: "الأكل لا حلو ولا حاجة، ناقص ملح ومالوش طعم عامل زي أكل العيادين."

لم أصدق ما سمعت وكتمت غيظي وغضبي، لكن هذا الأمر ترك داخلي غصة وطعمًا لاذعًا وإحساسًا بالذنو..

ثم تكرر الأمر في أكثر من مناسبة، وما زاد الطين بلة هو أنه بدأ في انتقادي والتهكم عليّ أمام ابنتي (دنيا) ذات العشرة أعوام، في السابق كانت (دنيا) صغيرة لا تستطيع فهم ما يحدث، لكن الآن هي تعي وتفهم كل شيء وأرى نظرة حزنٍ شديدة في عينيها حيث سماع كلمات (نادر) اللاذعة، وأنه لا يرضى عن أي شيء أقوم به وكأنه نادم على الزواج بي، ولكن مع الوقت، تبدل الحال وصارت (دنيا) في صف أبيها، وتشاركه التهم وتوجيه الإهانات لي وكأنني لست أمها.. حاولت ابتلاع الإهانات وإزاحة كرامتي جانباً، وأن أستمّر في دوري كزوجة وأم، ولكن حدث ما هو أقوى من رغباتي وقدراتي وسيطرة عقلي على معظم أفعالي وتصرفاتي...

منذ أن طلب مني (باولو) أن أصحبه في الأماكن السياحية بالقاهرة ومساعدته والعمل معه كمرشدة سياحية وأنه لم يصدق أنه وجدني، وافقت بعدما شعرت بالإشفاق عليه، حيث هو مكسيكي رحالة، في مصر، لا يعرف العربية ولا الإنجليزية، ووضعت نفسي مكانه مثلاً إذا ذهبت إلى السويد أو كوريا الشمالية، كيف أتعامل معهم هناك دون الدراية بقواعد اللغة وفهم ما يحدث حولي؟.. وافقت بعد أن رأيت نظرة استعطاف ورجاء، في عينيه البنيتين، لم أر مثلهما من قبل، وشعرت أنني أخيراً مهمة عند أحد، لي حيثية وأهمية، هناك من يحتاجني، ويقدر عملي وموهبتي ومجهودي، بغض النظر من مستواي الاجتماعي.. هناك من يراني عظيمة ولدي الكثير.. (باولو) طويل القامة، نحيف، خمري البشرة، ذو شعر أسود ناعم وله لحية صغيرة وخفيفة للغاية أسفل شفته

السفلى، مهذب للغاية، لا يكل ولا يتعب من السير على الأقدام، يكره الاعتماد على السيارات في التنقل إلا إذا لزم الأمر، يعاملني بمتتهى الرقة والطف، رغم أنه دائماً يراني مرتدية سروالي الجينز، ولا أضع أي (مكياج) تقريباً..

حاولت ذات مرة أن أخبر (نادر) زوجي أنني أود دعوة (باولو) إلى العشاء في بيتنا ليتعرف عليه وعلى (دنيا) لكنه لم يهتم ولم يكثر الكلامي وكأنه لم يسمعي وعندما عدت إلى الكلام أجاب قائلاً:

”أهو دا اللي ناقص، تجيبي الجرابيع بتوعك هنا كمان.“

أخيراً وصل القطار القادم من القاهرة إلى محطة (سيدي جابر).. وانتبه (جيوشي) إلى صوت عامل (البوفيه) يخبره أن القطار وصل وعليه أن يدفع الحساب، حيث قد طلب (جيوشي) سابقاً أن يخبره عندما يصل القطار القادم من القاهرة.

هبط (علي الساك) وخلفه (وداد) ثم (ألقت) و(راشد) وأخيراً (نادي) والكل يحمل في يده وفوق رأسه حقائب ولفائف قماشية بها متاعهم..

هجم (جيوشي) على (علي) وأخذ يقبله ويحتضنه وضمه ضمة قوية ثم أخيراً تكلم وابتسم (علي الساك) عند رؤية (جيوشي) قائلاً: ”كم أوحشتني يا أخي جيوشي!“

وصافح (جيوشي) (وداد) وبقية الأولاد، ثم اصطحبهم خارج المحطة لاستقلال سيارة أخرى، إلى شقة في الطابق الأرضي، بمنطقة خورشيد، حيث هو حي شعبي ويقطن أناس بسطاء تبدو عليهم الطيبة. وهذا ما كان يبحث عنه (علي) حيث هو لا يريد تكرار تجربته في قرية (النخيلة) وما تعرض له من إهانات على يد بعض اللصوص وقطاع الطرق ومروجي المخدرات.

شقة صغيرة من حجرتين وحمام ومطبخ صغير، ولها نوافذ تطل على شارع ضيق، وفوق النوافذ يوجد قضبان حديدية، وبجانبه أرض فضاء اعتاد السكان على إلقاء أكياس القمامة بها، ومن فترة لأخرى يتجمع فيها بعض الكلاب الضالة والقطط الجائعة، للحصول على بعض فضلات الطعام بعد البحث بين أكوام وتلال القمامة لساعاتٍ أملاً أن يحصل أي كلب أو قطة على ما يصلح لسد جوعه، وفي الليل يحدث الشجار المعتاد بين القطط والكلاب والكلاب الأخرى، وأحياناً شجار جماعي بين الجميع ودائماً ما يحكمهم قانون (البقاء للأقوى) وبين هذا وذاك تنتشر الفئران الضخمة والتي أحياناً لا تهاب القطط وأحياناً يحدث العكس، أن تفر قطة ضالة من مجموعة من الفئران الضخمة، وعلى ارتفاع عدة مترات من هذه الأرض تنتشر الحشرات الطائرة، والتي لا يحصى عددها، الذباب والناموس وحشرات أخرى لا يدرك نوع ولا مدى خطورتها أحد..

وأثناء دخول (علي الساكت) خلف (جيوشي) ويتبعه بقية أفراد أسرته إلى المنزل، وصعود الدرج إلى سطح البناية، كانت (دادا

عواطف) تقف مستندة إلى عمود إنارة، بالطبع لا ينير ولا يعمل، كانت تنظر إلى الأرض الفضاء (الخرابة) والدموع تنهمر من عينيها حيث هذا هو البيت المملوك لأبيها والذي تقطن، أو كانت تقطن به عائلتها، بالإضافة لزوجها، وابنتها (ميرفت) فهي اعتادت أن تأتي لتقف أمام بقايا وحطام المنزل والتي تحولت إلى أكوام من القمامة، والجيران يطلقون عليها (الخرابة).

لتذكر أنه كان هنا بيت سعيد، الكل يضحك ويمرح ورائحة الطهي، وأصناف الأطعمة المختلفة والمقليات تحديداً، ووقت العصر، يتجمع كل أفراد الأسرة في شرفتهم لشرب الشاي بالنعناع بعد الغداء، وسط لهو الأطفال.

أين ذهب كل هذا؟ إنها لحظات تفرق بين الحياة، والموت، كيف يحدث هذا؟ أن يكون هناك أناس يحيون حياة طبيعية وبعد لحظات، يمددون تحت الأتربة والكتل الإسمتية والحجارة، ولحظات أخرى هي جثث، جاهزة للتحلل وإذا لم تدفن فوق يصيبها العفن وتصول وتجول بداخلها أحقر وأقبح أنواع البكتيريا ثم تنبعث منهم رائحة لا يتحملها الإنسان ولا الحيوان، والآن مكان البيت السعيد والأسرة البسيطة المترابطة، قمامة كل بيوت الحي، وأصبح منزل (الحاج عبد الحي) والذي لم يعد حياً، صار ميتاً.. أصبح منزل (عبد الحي) هو (الخرابة) ومكان الاجتماع اليومي لكل ما هو قبيح من حيوانات وحشرات ومع كل لحظة تمر.. (عواطف) تفكر، تتحسر، تتساءل وتنهمر منها قطرات الدموع، بلا توقف، في السابق كان الجيران يواسونها ويدعونها إلى

الدخول لمنازلهم ولكن مع مرور الوقت واعتياد السكان على هذا المنظر.. لدرجة أن أحدهم ظناً منه أنه خفيف الظل، قال بأنها ليست (دادا عواطف) الحسرة والدموع، إنها (عواطف) الشهد والدموع، ولكن أخذ من التوبيخ ما يكفي من كل من سمع هذا التنكيت والتهمك السخيف.

وفي الوقت الذي تنهمر فيه دموع (عواطف) كانت الفرحة والسعادة تملأ قلب (وداد).. أخيراً لهم بيت بلا خوف أو حزن أو تهديد وذلك بعد سماعها وعود من (جيوشي) أنه قد جهز عملاً لزوجها (علي الساكت). استعد (جيوشي) للانصراف بعد أن أحضر بعض أصناف من الطعام والمشروبات إلى صديقه (علي) مع وعد باللقاء بعد غد، ليأخذه إلى عمله الجديد..

سار (جيوشي) في الطرقات الضيقة، المظلمة إلى أن وصل إلى المقهى الذي اعتاد الجلوس عليه، ليجد كالعادة شجاراً خفيفاً بين بعض الشباب لاعبي الطاولة والخلاف على من يدفع المشروبات، وهذا يحدث كل ليلة تقريباً وعادةً ما يستعينون بـ (جيوشي) ليفصل بينهم، حيث يحظى بتوقير واحترام من الجميع.

وبمجرد اقترابه من المقهى، صاح أحد هؤلاء اللاعبين: "أهو، عم غلاب وصل، الكل يهدا، ونرضى باللي يحكم به (عم غلاب)!"

نعم، هكذا يناديه رواد وزبائن المقهى وكذلك (القهوجي) من كثرة سماعه وحبه في أغنية (أم كلثوم) (هو صحيح الهوى غلاب) لدرجة أن

الجميع قد تناسى اسمه الحقيقي وأيقن بعضهم أن (غلاب) هو اسمه الحقيقي.

دخل (غلاب) أو (جيوشي) ليجلس على أول مقعد أمامه في المقهى وذهب إليه المتشاجرون يطلبون تدخله والفصل فيما بينهم.

لكنه تحدث رافعاً يديه، أن اتركوني هذه الليلة، ففي رأسي آلاف الأشياء ولا أستطيع التركيز في شيءٍ غيرها، انفض الجميع وأخذت الأفكار في رأس (جيوشي) تدور في فلكٍ واحد لا تحيد عنه، وكانت تلك الأفكار مجذوبة بجاذبية الفلك الذي يحيط كوكب ينير عقل وقلب (جيوشي).. (دولت) نعم هي (دولت) لا يستطيع التوقف عن التفكير فيها.. رأسه لا تستطيع مفارقة قرية النخيلة بأسبوط.. (دولت) الطيبة الحنون، الوحيدة التي أحبته رغم دمامته وقبح ملامح وجهه الخارجي، الوحيدة التي غاصت داخل أعماقه لترى وتشاهد وتلمس كم الحب والرحمة والحنان بداخله، إنها (دولت) الحانية التي أسمعني من الكلام أحلاه، كم تحدثت عن رجولتي، وطببتي وأخلاقتي وأدبي الجم، جمعنا حب الشعر والكتب، جمعتنا حب مساعدة الناس وحمل همومهم، جمعنا الشغف بمحو أمية الكثير من أهل قريتنا، إنها (دولت).. أجمل وأرق وأشجع من قابلت في حياتي.

وبينما كان (جيوشي) شاردًا يفكر في أجمل بنات الكون (دولت) كانت (دولت) جالسة في حجرتها بيت أبيها المريض وأمها وأخيها (فتحي) والذي يضعها دائماً تحت رقابته، وفي هذا اليوم تحديداً، اتصلت (دولت) بابنة عمها (سهام) وهي تعمل ممرضة بإحدى

المستشفيات الكبيرة، وأخبرتها أنها تريدها في أمرٍ مهم قبل أن يتم زفافها والمحدد له بعد أسبوع..

حيث أصر (فتحي) على زواج (دولت) من ابن أحد أعيان القرية بعد أن استطاع إبعادها عن (جيوشي) وبعد أن أوسعها وأبرحها ضرباً يوم أن استطاع اللحاق بها في محطة القطار بعد أن هربت من المنزل للذهاب إلى (جيوشي) واستطاع أن يعيدها إلى البيت قبل أن يستيقظ الجميع، لكنهم استيقظوا على صوت صراخها وهو يكيل لها اللكمات والضرب المبرح، ولا يتوقف عن قول: "فضحتينا يا فاجرة."

بعدها أقر الجميع بوجوب سرعة إتمام زفافها، الأسبوع القادم، حضرت (سهام) وألقت السلام على الجميع ثم دخلت إلى غرفة (دولت) بعد أن أجابت (زوجة عمها) (أم دولت): "لا يا عمتي.. مش جعانة، كفاية كوباية شاي."

جلستا الفتاتان على حافة سرير (دولت) صامتتين إلى أن أجهشت (دولت) بالبكاء قائلة: "اسمعي يا (سهام) أنا مش حالف وأدور عليك كتيير، أنت طبعا عارفة حكايتي مع (جيوشي) واني بحبه ومش عايزه اتجوز غيره..."

قاطعتها (سهام) قائلة: "لكن يا (دولت) ده شكله، يعني..!!" قالت (دولت): أعلم ما تريدين قوله، حتى أنت يا (سهام).. أنا أرى ما بداخله، وهو لم يخلق نفسه، ما ذنبه في كل هذا؟ نحن نحاسب على أفعالنا وليس أشكالنا.. أليس هذا ما أتى به الدين؟! ومع ذلك، أنا أطلب

مساعدتك، لكن إذا بدأت بالكلام عن شكله الخارجي، فلن أطلب منك شيئاً.

ربتت (سهام) على كتف (دولت) مع ابتسامة خفيفة قائلة: "أنت عارفة يا (دولت) أنا بحبك أد إيه، أنت مش بنت عمي وبس، أنت أختي وصاحبتي ودائماً كنا بنلعب سوا واحنا صغيرين، احنا تربيينا مع بعض.. وأنا معاك في أي شيء وواقفة من رجاحة عقلك وهاساعدك في أي شيء أقدر عليه."

عاد (أ. صفوت) إلى البيت بعد أن اشترى بعض الحلوى، وهو يغني ويدندن بأغنية عبد الحليم (بكرة وبعده، واللي وعدني حايوفي بوعدته) وقد جرت العادة أن هذه الأغنية تصنف كأغنية عاطفية حيث تتحدث عن مواعدة الأحبة، لكن (صفوت) كان لا يرى ولا يتخيل إلا مواعدته لـ (نادر بك) وهو يحضر معه الاجتماعات والتصرف في الشؤون القانونية لمجموعة شركات (N.F) وبعدها يتخيل (نادر بك) وهو يقطع من دفتر شيكاته شيئاً بمبلغ كبير تقديراً ومكافأةً لمجهوداته وتفانيه في العمل لاسترجاع حق المجموعة ممن يريدوا اغتصاب حقوق المجموعة.

وما أن فتح باب الشقة، حتى وجد (صافيناز) مبتسمة، وبجوارها يقف (أيمن).. تعجب وتوقف في مكانه للحظات قائلاً: أهذا بيتي؟! من هذه؟! أهذه (صافي) زوجتي (كما اعتاد أن يناديها) أرى أمامي، امرأة مبتسمة، حقاً، أنت صافيناز؟!!

أجابت (صافي): "نعم تعالى يا (صفوت) شوف (جمال) ابنك (أيمن).. إيه رأيك في الشياكة؟ تعرف أنه بعد أسبوعين هبدأ الدراسة في الصف الرابع، واليوم تسلمت (اليونيفورم).. الزي المدرسي الجديد، شايف ابنك هيكون أجمل ولد وأشيك ولد!"

لم تظهر علامات السعادة الحقيقية على وجه (صفوت) وأجاب: "نعم هذا جيد، لكن هناك ما هو أهم من الجمال، التفوق وفهم دروسه، الحصول على المركز الأول أو الثاني على أقل تقدير، هل تناسيت يا هانم أنه كان ترتيبه الثاني عشر في السنة الماضية وعدد الأولاد في الفصل هو ١٥ تلميذ، هل نسيت؟ كل همك وتركيزك على شكله الجميل و(اليونيفورم) الفخم، حقيقة لا أصدق ما أسمع."

وفي لحظات تبدلت ابتسامة (صافي) الابتسامة الرقيقة، لتتحول إلى زئير أسد جائع، أسد شارد، أسد فنان وموهوب في افتراس وتعذيب ضحيته..

شاهد (صفوت) تقلب وجه (صافي) فحاول إصلاح الكلمات القاسية التي صدرت من فمه قائلاً: "لكن طبعاً معك حق، هو (أيمن) طالع جميل وشيك لمين.. أكيد لك ولأسرتك."

لكن محاولته هذه باءت بالفشل ليجد وابلًا من الرصاص، لتبدأ نوبة معابرتة بأصله الفقير وأنه كان مجرد محام فقير نكرة، وهي تحدث أهلها وصبرت معه ووقفت بجانبه، وبينما هو يتلقى تلك الطعنات بإباء وشموخ إذا بها تقذفه بمنفضة السجائر لترطم برأسه، فيصرخ من الألم، وفي الحجرة الأخرى، كانت (مشيرة) تعيش في عالم آخر مع (شادي)

المريض المقعد، الجالس على كرسي، معاقاً عن الحركة ومعاقاً عن التفكير، كانت تحاول أن تلعب وتلهو معه، أحضرت بعض المكعبات الخشبية والتي مكتوب عليها حرف وفي الجهة الأخرى من المكعب صورة لحيوان أو نبات يبدأ بهذا الحرف، كانت تحاول أن تعلمه مبادئ القراءة رغم أنه يكبرها سنًا لكنه تأخر ذهنيًا، يبلغ من العمر الرابعة عشرة لكنه يحمل عقل الثانية أو الثالثة من العمر..

وفي الوقت ذاته كانت تسمع بعض أغنيات الأطفال، لعفاف راضي، كلمات سيد حجاب وألحان عمار الشريعي، حيث كان (شادي) يعيش هذه الأغاني ويتفاعل معها ويحب أن يسمعها وهو يأكل، وأيضًا وهو يلهو، كانت (مشيرة) هي الوحيدة في البيت التي تعيره اهتمامًا وحنانًا وكأنها أمه، بينما عمرها لا يتعدى الثامنة، لكنها كانت تشعر بالمسؤولية تجاه (شادي) الذي لا يتلقى أي انتباه أو رعاية من أي من أفراد الأسرة، وكانهم أصيبوا بالملل أو تعودوا على وجوده وجلسه على هذا الكرسي الذي أصبح ملتصقًا به وصار جزءًا من جسده، وأصبح (شادي) يطلق على كرسيه اسم (شادي) أيضًا، وإذا ناداه أحد ينظر إليه ويشير بإصبع على صدره والإصبع الآخر في اليد الأخرى على الكرسي، وكأنه يريد أن يقول: "هل تناديني أنا، أم تريد الكرسي (شادي)؟"

بدأت (وداد) بفتح الحقائب وإخراج الملابس والأغراض الشخصية لها ولزوجها وأولادها، إلى أن وصلت إلى ملابس المدرسة للأولاد

(مرايل) المدرسة.. (المريلة) صفراء اللون بحزام في الوسط وأزرار من الأمام وهو الزي الرسمي لمرحلة الابتدائي.

وصفت (وداد) (مرايل) المدرسة على الجانب الذي تضع فيه الملابس التي تحتاج إلى غسيل، لتبدأ رحلة تنظيف البيت وغسل الملابس صباح الغد، ولكن للحظات فكرت، قبل أن أبذل جهداً في غسل (المرايل) من الأفضل أن يقوموا الأولاد بقياسها، فهي من العام المنقضي، لربما تكون مقاساتهم اختلفت، ثم نادى بصوت عالٍ: "يا ولاد، يا ولاد تعالوا علشان تقيسوا لبس المدرسة.. المدرسة حاتبدأ بعد جمعتين."

أتت (ألفت) فرحة مبتسمة كالعادة، ثم (نادي) مندهشاً وصامتاً مفكراً كعادته، سألتهم (وداد): "أين (راشد)؟ يا راشد.. يا راشد."
أتى (راشد) متكاسلاً بخطواتٍ ثقيلة، يتثاءب بين اللحظة والأخرى قائلاً: "نعم.. ماذا حدث؟"

- تعالوا يا ولاد كل واحد يقيس مريلته، المدارس خلاص قربت.
أخذت (ألفت) (مريلتها) وذهبت تتواري في حجرتها للقياس، وهم (نادي) بالذهاب، لكن (وداد) أخبرته أنه يمكن أن يقيس هنا أمامها، لا يوجد سواها و(راشد) فإذا بـ (راشد) يفعل ويعلن عن غضبه قائلاً: "إيه دا؟ دي (مريلتي) القديمة.. (مريلة) السنة اللي فاتت.. أنا عايز واحدة جديدة."

وأضاف بعد أن ركل (المريلة) بقدمه: "أنا مش هالبس القديمة، أنا مش أقل من الناس الثانية."

لم تستطع (وداد) حبس دموعها والتي خرجت منهمة من مقلتيها على وجنتيها ساخنة بعد أن شعرت أن القدر يصفعها على وجهها، لم تكن تتمنى أبداً أن يكون ابنها الكبير (البكري) غير مقدر لظروفهم ويستهيئ ويحقر مما لديه، كانت تتمنى أن يكون متواضعاً وراضياً بما قسم الله لهم، وأن الناس درجات ولا يتشابه العباد في تقسيم الله الرزق لهم، ولطالما حدثته عن المقسوم والرضا بما لديه وأن هناك أناس بالتأكيد أقل حالاً منهم، لكن هذه هي قوانين الدنيا والله لا يعطي ولا يمنح الإنسان كل شيء، فالإنسان لا بد وأن يكون به نقص، في مكانٍ ما، وهذا إثبات أن الكمال لله وحده، فلن يتساوى العبد مع الخالق، أتت (ألفت) إلى (وداد) فرحة وارتمت بين أحضانها، قائلة: ”المريلة مضبوطة للغاية، لكن أنا نفسي اغسلها، ممكن؟“

تبدلت دموع (وداد) بابتسامة مع خروج بعض الآهات والزفرات المحشورة في صدرها مما سمعته من (راشد) وقبلت (ألفت) قائلة: ”من عينينا.. حاغسلها لك وأخليها أحلى من الجديدة، وأقوم بكيها بنفسي.“

بعدها ظهر (نادي) من خلف الكرسي الذي كان يحتمي به وهو يبذل ملابسه ويرتدي (المريلة) قائلاً: ”حلوة لكن الكمين قصيرين، المريلة صغرت شوية في الحجم.“

ابتسمت (وداد) قائلة: ”قصدك أن أنت اللي كبرت ما شاء الله يا حبيبي.“

كل هذا حدث في وجود (علي الساكت) بينما كان جالساً على أريكة خشبية رافعاً إحدى أرجله والأخرى على الأرض، ويدخن سيجارة ببطءٍ ولا يسمع ما يحدث حوله، ذهنه شارد وعقله ما زال غير مستوعب لما حدث.. أن فكرة ترك القرية، حدثت بالفعل، لقد ترك القرية بلا عودة، والآن هو من قاطني الإسكندرية وأولاده سيلتحقون بمدارس الإسكندرية وليس مدارس القرية.

وسيعمل في المدينة الكبيرة، العمل، نعم العمل، ماذا سيعمل؟ لا يوجد هنا أي مضارب أرز أو محالج قطن، هذا ما كان يعمل فيه طوال حياته السابقة، لكنه يثق بـ (جيوشي) تمام الثقة، لقد أخبره أن أمر الشغل هذا من السهل تديره، هل سيأخذني للعمل معه في بناء العمارات؟.. (جيوشي) يعمل ملاحظ عمال لدى مقاول كبير، لكن ماذا سأعمل مع المقاول؟ فأنا لا أفقه شيئاً في مهنة البناء أو عامل المحارة أو الكهرباء أو غيره، وليس من المعقول أن أبدأ من الصفر لأحمل الطوب أو قصعة الإسمنت على ظهري، أنا لست صبيّاً صغيراً في السن لأعمل مثل هذا العمل، إذاً ماذا؟! ما العمل الذي يريد أن أقوم به (جيوشي) وماذا عن الراتب؟ هل يكفي لنفقات ثلاثة أولاد وأمهم؟ أنا أعلم أن الحياة بالإسكندرية باهظة الثمن، أكثر بكثير من أسعار القرية!

طالت فترة الصمت و(سهام) تجلس أمام (دولت) منتظرة أن تسمع منها ولو كلمة واحدة عن هذا الأمر المهم للغاية التي أرسلت من أجله لطلب حضور (سهام) إليها.

سقطت بعض قطرات من دموع (دولت) وكأنها قطرات وزخات من دموع تخرج من عينين حمراوين للغاية، وكأن تلك القطرات هي فقط بداية لسيل منهمر كالنهر الجارف على وجنتي (دولت) الناعمتين، تظل صامتة والمتكلم الوحيد هما عيناها تتحدثان بلا صوت، فقط كل قطرة دموع تحكي سبب هطولها وقصة هروبها من عين حمراء للغاية، على وجه ساخن..

طال انتظار (سهام) لتسمع أي كلمة تخرج من فم (دولت) ثم التفتت قائلة: "أنا مش عارفه أنت ليه شيعتيلي! أنا ماشية."

وبينما هي تنهي حديثها، رأَت سيل الدموع المنهمر من وجه (دولت) الصامت، فقط جريان لنهر الدموع بلا صوت، احتضنتها بقوة واختارت أن تجفف دموعها بملابسها ولا تترك تلك القطرات تسقط بلا فائدة. (سهام): "(دولت).. ماذا حدث؟ ماذا هناك؟ أنا لا أفهم! هل الأمر خطير للغاية؟! أرجوك تكلمي، لا أستطيع الانتظار، أنا خائفة عليك، ماذا حدث؟!!"

أخيراً استطاعت (دولت) أن تلملم شتاتها وتبعثرها وتستجمع ما تبقى بها من قوة، تنحنحت بشكل متكرر وكأنها تقوم بعملية توسعة للممرات والطرق التي ستخرج منها الكلمات.

دولت: "اسمعي يا (سهام).. أنا اتخذت قرار، وأنت الوحيدة اللي ممكن تساعدني عليه، ليس بوصفك بنت عمي وصديقتي، ولكن بوصفك كبيرة الممرضات في المستشفى الرئيسي."

طرقت (سهام) صدرها بيدها مع خروج شهقة غير متعمدة..
أحدثت صوتًا عاليًا راج أركان أثاث حجرة (دولت) القديم، ثم قالت:
”ماذا؟! هل تريد الهروب مرة أخرى، استحضرت نية الهروب من
البيت للذهاب إلى (جيوشي).. هل هذا ما تنوين عمله؟! هل هذا ما
تخبئينه في صدرك؟! يبدو أنك نسيت ما فعله أخوك (فتحي) عندما
استطاع اللحاق بك على رصيف محطة القطار، عند محاولتك للهروب
في المرة السابقة، ويعلم الله وحده أنك كدت تموتين في يده وهو
ينهال عليك بالضرب بلا وعي.. الله أنقذك وانتهى الأمر، والآن أنت
مقبلة على زواجك، هذه المرة مختلفة، لأن الفضيحة ستكون مضاعفة،
الآن أنت لست وسط أهلك فقط، لكن هناك الزوج الذي في انتظارك،
هروبك معناه هروبك من بيت أهلك، وأيضًا من زوجك، وهو من أسرة
كبيرة لها جذور تمتد لمئات وآلاف السنين، وليس لنا بمواجهتهم أو
تضميد أي جراح تنتج عن أي فعلٍ متهور يؤدي إلى فضائح، لا بد أن
تعودي إلى عقلك، لأن هذا سيلحق بك الأذى.“

ظلت (سهام) تتحدث وأطلقت لسانها العنان ليخرج كل ما بداخلها
من تعجبٍ واستنكارٍ لأي تهور أو مغامرة غير مدروسة العواقب من
قبل (دولت) ثم أضافت: ”ثم تعالي هنا (يا دولت).. إيه حكاية كبيرة
الممرضات دي؟ طيب بنت عمك وصديقتك، دي أنا فاهماها، إيه
حكاية إنك عايزاني كممرضة؟ أنا مش فاهمة، بدأت أقلق أكثر، وأنا
أكثر حاجة تقتلني هو أن أكون زي الأطرش في الزفة، لازم أفهم،
اتكلمي!!!!“

تهدت (دولت) مرة أخرى وأشارت إلى (سهام) التي كانت تجوب الحجرة ذهاباً وإياباً، أن تجلس بجوارها وستشرح لها ما توصلت إليه بعد تفكيرٍ طويل وعقدت عليه النية.. قالت (دولت): ”أنا قررت أعقم نفسي، قررت أدخل المستشفى اللي أنت بتشتغلي فيها، وأشيل الرحم، أيوه.. استئصال رحم.“

اتسعت عينا (سهام) وفغرت فاهها غير مصدقة ولا مستوعبة ما وقع على مسمعها، وأطالت النظر إلى (دولت) ثم نهضت من فوق حافة السرير متفضة مذعورة، ومحاولة التحدث، لكن الكلمات تهرب من فمها في كل اتجاهٍ رافضة، تكوين جملة يمكن لأي مستمع عاقل فهمها: ”أنت، أكيد أنت، مش قادرة، إيه اللي أنا، أنت فعلاً عايزة، أنت عارفة، مجنونة، أنت أكيد اتجننت.. (دولت) العاقلة، يمكن بحلم، أنا عايزة أروح، عندي شغل الصبح، عايزة أنام.. لا.. لا، أنا عايزة اختفي، أو اتجمد، يمكن أحاول الدخول في الفريزر، ليه مش بيعلموا فريزر على مقاس الإنسان؟.. (دولت.. دولت) أنت صاحية، عاقلة، عارفة بتقولي إيه؟!!!“

حينها فقط أعطت (دولت) الإذن لباقي المخزون من الدموع المتجمع خلف وداخل تجويف العين وطلبت دون كلام من كل الغدد التي تفرز الدموع أن تعمل بكامل طاقتها وبأقصى سرعة وأعلى درجات حرارة، أطلقت (دولت) صرخة مكتومة، وانهمرت في البكاء وهي تهذي بالحديث: ”أيوه، لازم اعمل كده، أنا مش ممكن اخلف أولاد إلا منه هو، أيوه هو بس، من (جيوشي).. العريس دا مش هيلقي إلا جثة

هامدة ومش ممكن أحمل منه أبداً، وأخلف أطفال يشيلوا اسم رجل إلا (جيوشي).. هو في عيني الرجل الوحيد في الدنيا الظالمة دي، إيه ذنبه ان ربنا خلقه على الصورة دي؟ مين فينا اختار شكله أو اسمه أو أسرته أو مكان ميلاده أو ميعاد ميلاده، احنا مسيرون مفيش لنا أي خيار!!! ذنبه ايه (جيوشي) صاحب أطيب وأرق قلب في الوجود، دا فيه رجولة مش موجودة في حد من الرجالة أصحاب الشكل الوسيم الجميل، رجولته تكفي بلد بأكملها، لازم يا (سهام).. لازم، لازم..“

بعدها مالت (دولت) على أحد جانبي السرير وتوقفت عن الكلام، ما بين مغشي عليها ونائمة، والدموع تبلل ملابسها وأجزاء من الوسادة، توقفت عن الكلام بينما عيناها لم تتوقفا عن إطلاق قطرات دموعها وكأن عينيها تنتظران تلقي الإذن بالتوقف عن الهطول والأمر للفرد بالتوقف عن العمل، وبعد لحظات توقفت الدموع، ليس لأنها تلتق الأمر من (دولت) المغشي عليها بالتوقف، لكن بسبب نقص المخزون، أصبح مخزن دموعها فارغاً.

عادت (دادا عواطف) في المساء كعادتها كل ليلة، وما أن دخلت إلى فيلا (نادر بك) حتى نهرها بشدة، مستنكراً غيابها كل ليلة، قائلاً: ”أين كنت؟ وأين تذهبين كل ليلة؟! ولماذا تتركي (دنيا) وحدها بلا رعاية لأكثر من ساعتين؟“

أجابت (عواطف) ووجهها مصبوغ بألوان مختلفة من الحزن والشجن: ”لقد أخبرتك يا سيدي، عندما عملت هنا لأول مرة، أنني لا

بد أن أزور أسرتي لأطمئن على أهلي كل ليلة، آسفة.. ولن أتأخر مرة أخرى.“

أخفت (عواطف) عن (نادر بك) أمر موت أهلها وزوجها وابتتها إثر انهيار المنزل، وموت جميع ساكنيه، ما عداها، كانت تخشى إن شعر أنها أصبحت بلا أسرة أو عائلة أن يسيء معاملتها ويشعر أنها بلا سند أو ظهر أو مأوى، أخفت عن جميع العاملين في الفيلا، وكل من يقابلها، هكذا ترى وتشعر بارتياح، وبيع بعض الأمن ربما أمن زائف، مبني على كذوبة، ولكن على الأقل، ستظل أمام الناس تتباهى بأسرتها، ولا يعلم أحد أنها تذهب للوقوف أمام (الخرابة) أمام بقايا حطام منزل تحول إلى أرض فضاء ثم إلى أكوام وتلال من القمامة ومكان ملتقى وتجمع جميع مخلوقات الأرض الغير محببة للنفس.

ذهبت إلى المطبخ لتحضير العشاء لـ (دنيا).

يجلس (نادر بك) داخل حجرة مكتبه والذكريات تلاحقه، الخيالات تحوم حول رأسه، في سقف حجرة المكتب حول الثريا، بجوار النافذة صور (ناهد) في كل مكان، ولكن الصورة الأقوى، هي صورة ذلك الرجل الوقح المعجزم السافل، هذا المكسيكي.. (باولو) يذكر حين رآه لأول مرة حين حضر إلى البيت سائلاً عن (ناهد) حيث كانت مريضة بالإنفلونزا ولم تستطع الخروج لملاقاته لاصطحابه لزيارة المتحف المصري بالتحضير، حيث كان هناك اتفاق مسبق بينهما بعد أن قبلت مساعدته والعمل كمرجمة ومرشدة سياحية حتى تنتهي إجازته بالقاهرة والعودة إلى (مكسيكو سيتي) عاصمة المكسيك، لم يكن حينها يعلم

(باولو) أن من فتح له الباب هو (نادر) زوج (ناهد) لم يكن يعلم أنها متزوجة، حاول (باولو) التحدث إلى (نادر) بلغة إنجليزية ركيكة للغاية، عن مدى إعجابه بـ (ناهد) وكم هي رقيقة وطيبة القلب وحنون! وأنها قبلت مساعدته وأنقذته من مواقف صعبة ومحرجة للغاية طالما وجد نفسه فيها، وأنها لم تطلب منه مالا ولم تتحدث معه في هذا الأمر على الإطلاق.

وأخيراً أطلق قذيفة أشعلت ناراً في بيت (نادر) حيث قال (باولو) أنه منذ أن انفصل عن صديقه السابقة، لم يقابل أي فتاة تصلح لتسكن قلبه، وبمجرد أن رأى (ناهد) وهي تتحدث الإسبانية، وقع حبها في قلبه ويتمنى أن تكون صديقه وحببته، فهو دائم التفكير فيها، قال (باولو) كل ذلك وأخرج ما بداخله، بينما (نادر) يستمع، وبالطبع لا يدرك (باولو) كم الخراب الذي زرعه في أرض وبستان (نادر، وناهد) وهو لا يعلم أن من يقف أمامه، ما هو إلا زوج تلك الرقيقة (ناهد).. أخبرت الخادمة (ناهد) وهي مستلقية على سريرها في حجرة نومها بالطابق العلوي، أن هناك رجلاً أجنبياً، أتى ليسأل عليها، انتفضت (ناهد) قائلة: "من هذا الأجنبي؟! وماذا يريد؟"

هبطت الدرج، وهي تسمع صوت (باولو) متحدثاً بإنجليزيته السيئة، الممزوجة بالكثير من الكلمات الإسبانية، و(نادر) واقفاً بوجه أحمر مائل إلى الاسوداد، ينث دخان سيجارة بقوة وعنف، وبمجرد أن رآها تهبط الدرج سألتها: "أنت تعرفي الحيوان ده؟! مين ده؟!!"

نهض (باولو) حين رأى (ناهد) ووضع كوب العصير الذي كان في يده والابتسامة تعلو وجهه، ظاناً أنه أتى ليرى (ناهد) وأنها ستخرج معه، أتى ليصطحبها للذهاب إلى المتحف المصري كما تواعدا سابقاً، عاجلته (ناهد) بالإسبانية، أنه عليه الانصراف الآن وهي ستهاثفه لتحديد موعدٍ آخر، لأنها الآن مريضة ولا تستطيع الخروج أو الذهاب إلى أي مكان.

لم يتحرك (باولو) من مكانه، ظل واقفاً مبتسماً فرحاً، مقبلاً على الحياة، والعلاقة الجديدة التي بصدد الدخول فيها، وأن (ناهد) هي من بدأت تحجز مكاناً في قلبه، هي الساكن الجديد.

أعدت (ناهد) ما قالته سابقاً ولكن ببعض الحزم والشدة لتخبر (باولو) أنه يجب أن ينصرف الآن وأشارت إلى الباب، ثم سارت بضع خطوات أمامه وفتحت الباب، سار (باولو) ببطءٍ شديد وكأنه يريد أن يطيع أمرها، لكنه لا يشعر أنه يجب أن يغادر، يتمنى أن ينتظرها لتستعد بملابسها للخروج سوياً، وما أن خرج، وأغلق الباب حتى انفجر (نادر) بصوتٍ عالٍ وغضبٍ جم، وقذف (ناهد) بكل أنواع الشتائم والسباب واللعنات ثم أبدى ندمه على الارتباط من واحدة أقل منه بكثير وليست من مستواه ولا تدرك أهمية زوجها، وأخيراً يأتي رجل منحرف مثل هذا المكسيكي، ليعلن أمامه بكل تبجح عن إعجابه بزوجته!

- ألم تخبري من حولك أنك متزوجة؟

حاولت (ناهد) الدفاع عن نفسها، لكن بلا فائدة، هربت وهرولت إلى الطابق الأعلى ثم دخلت حجرة (دنيا) واستلقت بجوارها في

سريرها الصغير بعد أن ضمتها إلى صدرها بقوة، وكانت (دنيا) لا تزال في الرابعة من عمرها في ذلك الوقت، نامت (ناهد) وقلبا يدق بشدة، يدق دقتين مختلفتين، دقة عنيفة ممزوجة بخوفٍ وهلع، من جراء ما سمعته من تهديد ووعيد (نادر) ودقة أخرى، لا تعرف هي كيف تصفها، ولكن كل ما تعرفه أنها دقة قلب، غير مزعجة، ليس بها خوف، دقة حنون، تتمنى ألا تتوقف، تشعرها بأهميتها، تشعرها بالراحة والأمان، أغلقت عينها وراحت في نومٍ عميق وسط تلك الدقات والمشاعر المتضاربة!

هبط (جيوشي) و(علي الساكت) الدرج، متخذين طريقيهما لركوب إحدى الحافلات التي تقلهم إلى محطة مصر، محطة القطارات الرئيسية والأقدم في الإسكندرية.. حيث يوجد في ميدان الشهداء وهو الميدان الواسع الذي يوجه خارج بوابة محطة القطارات، يوجد محل عصير القصب، الذي سيعمل به (علي).. تحدث (جيوشي) للحظات مع صاحب محل العصير، ثم أشار إلى (علي) الذي كان يقف على بعد، أن يحضر للحديث وتقديمه لصاحب العمل، بعدها انصرف (جيوشي) بعد أن دس مبلغاً من المال في جيب (علي) قائلاً: "أنا عارف الظروف، ردهم بعد ما تستقر أحوالك."

تأثر (علي) بشدة من شهامة (جيوشي) والتي لم تكن غريبة عنه، سار (جيوشي) بعيداً وأعين (علي) تلاحقه وكأنه يشكره على المساعدة،

متعجباً ومتسائلاً؛ كيف عرف أن نقودي بدأت في النفاذ وأنها بالكاد تكفي يوم أو يومين؟!

ثم استدار وجال ببصره حول ميدان الشهداء وجنب محطة القطارات (محطة مصر) كما يطلق عليه أهل الإسكندرية.

لم يكن يعلم بالطبع أنه يقف ويشهد أهم محطة للقطارات في العالم والتي يقف على أرصفتها ويمر بها الآلاف يومياً من مسافرين وعائدين ومودعين ومستقبلين ومتعجلين ومتباطئين، وموجات من البشر تتلاطم بين جدرانها العالية، والكثير منهم لا يدركون تاريخ وقيمة مبناها العريق بطرازه المستوحى من الحضارة اليونانية.

كما لم يدرك الكثيرون، ومنهم (علي السكاك) أن في هذا المكان، وتحديداً في الأول من نوفمبر عام ١٩٢٧ ووقف الملك فؤاد الأول وسط حاشيته وكبار رجال الدولة ليعلن رسمياً عن افتتاح محطة قطارات الإسكندرية الجديدة بعد ٧ سنوات من بدء تشييدها وبعدها عطلت الحرب العالمية الأولى استيراد مواد البناء من الخارج، وقد قامت بتنفيذ المبنى شركة بلجيكية متخصصة في محطات القطارات، وبلغت مساحته الإجمالية ٤٠٠٠ متر - وقتها - وعرض الواجهة الأمامية ٩٠ متراً، وقد أعلنت الصحف الصادرة صباح اليوم التالي عن تكلفة إنشاء محطة قطارات الإسكندرية حيث وُصفت جريدة (اللطاتف المصورة) المبلغ والذي وصل إلى ٣٥٠ ألف جنيه، بالمبلغ الخيالي، لإنشاء محطة قطارات جديدة بعد محطة (القباري) نتيجة لازدهار حركة نقل البضائع والركاب ونمو العمران وقتها.

وقد تم جلب الأحجار المستخدمة في البناء من اليونان وإيطاليا، فهي تحفة معمارية صممها المعماري (أنطون لاشياك).

وقد وصل أول قطار الإسكندرية عام ١٨٥٣ حيث كانت مصر ثاني دول العالم بعد بريطانيا في تشغيل السكك الحديدية من أجل إيجاد طريق تجاري بري يربط بين أوروبا والهند..

لم يسمع (علي) نداء صاحب محل العصير، بينما يقف شاخصاً بعده لمبنى المحطة الخارجية، مبهوراً بالطراز المعماري، الذي لم ير مثله من قبل، انتبه ليد تربت على كتفه، ليقول صاحبها: "تعالى أعرفك اللي هتعمله، وجميع متطلبات العمل."

قضت (وداد) يوماً شاقاً في تنظيف المنزل الجديد، ووضع وترتيب كل شيء في مكانه، بينما كانت تطهو الطعام في الوقت نفسه، ومن وقتٍ لآخر، تستكمل غسل الملابس والملاءات، وتقوم برصفيها على حبل الغسيل المثبت فوق سطح المبنى، ثم ترفع من على الحبل ما جف لتضع مكانه المبتل، وبينما هي تضع (مرايل) المدرسة لأولادها الثلاثة، تذكرت تدمر ابنها الكبير (راشد) وإعلانه عدم قبول لبس (المريلة) القديمة والتي ارتداها طوال العام الماضي بأكمله، فقررت أن تقوم بكيها وطبها بطريقة تشبه طي مصانع الملابس ووضعها في كيس من البلاستيك وتقديمها له على أنها جديدة لترى رد فعله، عله يرضى ويكون سعيداً ويبدأ عامه السادس الابتدائي في مدرسته الجديدة، بروح مرتفعة وسعيدة.

ولم تكن تقلق كثيراً على (نادي) و(ألفت) حيث هي تعلم كم الرضا الذي بداخلهما، ولن يصدر منهما أي تدمر.

لكنها قررت أن تفعل الشيء ذاته لـ (مريلتهما).. كيها ووضعها في كيس لتبدو كالجديدة..

وظلت تعمل وتعمل، إلى أن حل المساء، وتكونت لديها قمامة وأوراق بالية كثيرة، وضعتها في كيس، ولم تعرف أين يضع الناس قمامتهم! ارتدت ملابس بسيطة وخرجت حين حل الظلام ومعها كيس القمامة، وحاولت أن تجد أحد الجيران ليدلها إلى مكان صندوق القمامة الذي يضع فيه الناس قمامتهم، كان الشارع هادئاً، والضوء خافتاً، تلفتت عن اليمين واليسار، فلم تجد أحداً إلا بعض الشباب الذين يقفون في آخر الشارع يضحكون ويطلقون النكات، فإذا بها تجد على الرصيف المقابل، امرأة بجوار عمود إنارة مهجور صدئ، تقف بوجه شاحب والدموع تسيل على خدها، اقتربت منها قائلة: "هل تحتاجين أي مساعدة؟ ما بك؟ أنا هنا جديدة، أسكن سطح هذا البيت."
وأشارت إلى البيت..

نظرت إليها (عواطف) بعد أن جففت دموعها بظهر يديها قائلة: "شكراً، أنا كويسة، لأ.. أنا مش كويسة، أنا حزينه ومش لاقية حد اتكلم معاه."

تركت (وداد) كيس القمامة من يدها في جانب الطريق، وربتت على كتف (عواطف) ودعتها للصعود معها إلى بيتها الجديد، لشرب بعض الماء والراحة، شعرت (عواطف) بالارتياح والخجل في الوقت

ذاته، وقالت: "أنا مش عايزة أضايقك، أنا مش عارفة ظروفك، وأنت ما تعرفنيش."

ابتسمت (وداد) قائلة: "وماله نتعرف ببعض، أنا جديدة هنا وماليش أي صديقة، يا عالم، يمكن نبقى اصحاب."

أزالت كلمات (وداد) الحرج عن عقل (عواطف) وأزالت الثلوج التي غلفت قلبها من كثرة الشعور بالوحدة بعد فقدان الأهل والأحباب وابتنتها الجميلة (ميرفت) وتحويل حياتها وبيتها إلى (خرابة).

طالت الجلسة الحميمة بين (وداد، وعواطف) شعرت كلُّ منهما بالارتياح تجاه الأخرى، تعرفت (وداد) على (عواطف) من الداخل بدموعها وزفرائها وآهاتها النابعة من عمق المأساة والجروح التي لا تندمل، تعاطفت معها أشد التعاطف وشاركتها دموعاً بدموع، وبالمقابل عاشت (عواطف) أحداث حياة (وداد) منذ تركها لقرية النخيلة دون أن تطلعها على أسباب تركهم للقرية، حيث هي أسرار عائلية تشعرها بالخجل بمجرد التفكير فيها، وبين الحين والآخر كانت (وداد) تستدعي (نادي) وتطلب منه أن يخرج إلى خارج الشقة القابعة فوق سطح البيت وينظر من فوق سور السطح إلى الشارع، منتظرين جميعهم عودة الأب (علي الساكت) حيث انتاب (وداد) بعض الخوف والقلق على زوجها، لأنه أول يوم عمل، وقد ذهب بصحبة (جيوشي) في الصباح وسيعود إلى البيت وحده، وهو غير ملم بشوارع وأحياء الإسكندرية، تخاف أن يضل الطريق أو يحدث له أي مكروه، فكان في كل مرة يعود (نادي) إليها قائلاً: "لا يا أمي، ما زال الشارع خاليًا ولا أثر لأبي."

وفي إحدى المرات ركض (نادي) بأقصى سرعة إلى أمه فرحاً متلهلاً ثم قال: "إنني شاهدت أبي آتياً من آخر الشارع بصحبة (عم جيوشي)".

كانت (وداد) تعتمد على (نادي) في النظر من فوق سور السطح حيث هي تخاف على (ألفت) لأنها ما زالت قصيرة بعض الشيء وهي تخشى أن تتسلق من فوق السور لربما تسقط، وعلى الطرف الآخر (راشد) لا يحب القيام بمثل هذه الأعمال، فهو يلهو في أحد جوانب السطح ببعض الأخشاب، تسابق (نادي) و(ألفت) ركضاً على الدرج بأقصى سرعة رغم أن الضوء في الدرج خافت ويكاد يكون مظلمًا، لكن هكذا هم الأطفال دائماً ما يستطيعون فعل حركات يعجز عنها الكبار..

التقى الأربعة في مدخل العمارة.. (نادي) و(ألفت) و(علي) الساكت) و(عم جيوشي).. ارتدى (نادي) و(ألفت) في أحضان (علي) وارتسمت على وجه (جيوشي) ابتسامة فرح، لم يذق طعمها منذ وقت طويل، طلب (علي) من (جيوشي) الصعود معه إلى أعلى، إلى السطح، ليتناول معه العشاء، اعتذر (جيوشي) قائلاً: "أنت متعب من العمل، وأنا لدى بعض الأعمال، سأحاول أن أراك في الغد.. تصبح على خير."

وهم (جيوشي) بمغادرة بوابة المنزل وإذا به يسمع (نادي) قائلاً: "عم جيوشي.. عم جيوشي.. أنا عايز اتكلم معاك في حاجة.. ممكن؟"

واستأذن (نادي) أباه أنه سيسأل (عم جيوشي) عن أمرٍ ما ويصعد خلفه، صعد (علي) و(ألفت) وظل (نادي) واقفاً بجوار (جيوشي)..

جلس (جيوشي) القرفصاء على الأرض، فأصبح وجهه مقابلاً لوجه

(نادي) الصغير الذي قال: "يا عم جيوشي.. أنا عندي أمنية وحاسس أن ما فيش حد غير (عم جيوشي) اللي بحبه ممكن يحققها لي."

ظهرت علامات الدهشة والعجب على وجه (جيوشي) ورفع أحد حاجبيه محاولاً تخمين ما قد يطلبه صبي في سن (نادي) ثم قال: هل تريد شراء لعبة أطفال، أم تريد لعب الكرة مع الأولاد في الشارع وتريد أن أعرفك عليهم؟

صمت (نادي) للحظات غير مصدق ما سمعه ثم قال سرّاً: "أهذه هي كل طلبات الصبيان يا (عم جيوشي)؟!.. لا، لا، أريد ما هو أهم من هذا."

أجاب (نادي): أنت تعلم أن المدارس ستبدأ بعد أسبوعين من الآن، وأنا وإخوتي قد التحقنا بمدرسة (الشهيد يوسف السباعي الابتدائية) وأنت تعلم أنني سأكون في الصف الخامس، كنت أريد أن أدرس الصف الخامس والسادس معاً، وإذا استطعت النجاح، أكون في العام القادم في المرحلة الأولى الإعدادية وكنت سمعت أن هذا أمراً صعباً ولا يمنح إلا للنوابغ، وأنا هنا جديد لا يعرف أحد، كنت أريد الذهاب إلى المدرسة ومحاولة إقناعهم، ولو أرادوا اختباري لتحديد قدراتي ومستواي، فلا مانع، أنا مستعد لذلك، تحدثت مع أمي وأبي لكن لن أجد منهم إجابة، فهل تستطيع مساعدتي والذهاب معي إلى المدرسة لمقابلة المسؤولين أو المدير هناك؟

كم كانت سعادة (جيوشي) وهو يسمع لهذا الصبي (نادي) ذي التسعة أعوام ولم يكمل العاشرة بعد، لباقة أسلوبه، حلاوة حديثه، ثقته

بنفسه، طموحه وتطلعاته، يريد في العام القادم أن يكون في الصف الأول الإعدادي ويبلغ العاشرة من عمره، هذا أمر عجيب.

ولكن أمام إصرار الصبي، لم يجد إلا أن يساعده بكل ما أوتي من قوة، فقال: "اسمع يا (نادي) توجد في مدرسة الشهيد يوسف السباعي، مدرسة اسمها (أبلة رتيبة) أخوها (الحاج فاضل) من رواد المقهى نفسه الذي أرتاده كل ليلة، وأنا ذاهب إلى هناك الآن، فإذا وجدته سأتحدث معه في الأمر ليرتب ميعادًا من أخته (أبلة رتيبة) لمقابلتنا في المدرسة والتحدث معها، والله يقدم ما فيه الخير لك."

صعد (نادي) درجات السلم ولكن ببطء شديد، حيث كان عقله مشغولًا بتلك المقابلة وقلبه معلقًا، بما سيفعله (عم جيوشي) في تلك السويعات القليلة القادمة، راح (علي) في سبات عميق بمجرد أن فرغ من تناول العشاء وأعطى زوجته (وداد) النقود التي دسها (جيوشي) في جيبه في الصباح الباكر، وكان سعيدًا وهو يشعر بثقل جفونه لتغلق على عينيه اللتين لم تعرفا طعم النوم المتواصل منذ فترة طويلة، منذ بدء شعوره بالمهانة لما تعرض له في القرية على أيدي اللصوص وقطاع الطرق، صار ينام أوقات قليلة متقطعة، تخلو من أي راحة جسدية أو ذهنية، والآن فقط في هذه اللحظة، يشعر بالراحة ويريد أن ينام إلى ما لا نهاية، وبالفعل خلد لنوم عميق دون أي أرق.

(ميادة) سكرتيرة (أ. صفوت) استقبلته ببعض القلق حين رأت قطعة من (البلاستر) فوق جبهته، متسائلة: أهلاً (أ. صفوت).. خير؟ مالك؟! حضرتك بخير؟

أخبرها (صفوت) أنه أمر بسيط، فقد ارتطمت رأسه دون أن يشعر في الظلام بعد انقطاع التيار الكهربائي ليلة أمس، بالطبع لم يكن لديه الجراحة أن يحكي لها ما حدث بينه وبين (صافيناز) وأنه تم قذفه بمنفضة السجائر، من زوجته.. زوجته، أه منها زوجته! لم تكن كذلك حين خطبها، كانت رقيقة، راقية، حانية، مهذبة، وبه معجبة.. الآن تحولت في معظم أوقات يومها إلى الحاكم بأمره، وأحياناً إلى هولاء وأخيراً هو لا يجد فرقاً بينها وبين هتلر في أي شيء، ربما يكون لديها (شارب) هتلر نفسه، لكنه مستتر، لا يظهر إلا في أوقات التحول فقط، إنها الزوجة المتحولة!

أسرعت (ميادة) بالدخول على الأستاذ (صفوت) بكوب كبير من عصير الليمون، نظر (صفوت) إلى الليمون، متعجباً ثم قال: "أنا طلبت قهوة، فنجان قهوة!!"

هزت (ميادة) رأسها قائلة: إنه ليمون الآن، كي تهدأ وتستطيع متابعة أعمالنا والقضايا الموكلة إليك، وبعد ساعة أحضر لك القهوة.

لم يجد (صفوت) ما يفعله أمام هذه الرعاية وهذا الاهتمام المغلف بالعطف، إلا أن يبتسم ويستعيد ثقته بنفسه ورجولته ويشعر بأهميته، ظل هائماً مفكراً في هذه الإنسنة التي اقتحمت حياته على حين غفلة وإذا به ينتفض عند سماع جرس تليفون يدق بصوت عالٍ، فزاد من صوت

وسرعة دقات قلبه، محدثاً نفسه: "من هذا السخيف الذي لا يراعي خصوصيتي وقطع عليّ لحظات لم أعشها منذ فترة طويلة للغاية؟"
رد على الهاتف وإذا بها (ميادة) السكرتيرة، عادت إليه لحظات السعادة مرة أخرى، ولكن نبرة صوتها كانت كلها جد وحزم: "نادر بيه، على التليفون يا أفندم."

في أقل من ثانية تبدلت ملامحه بالابتسام وقال: "أهلاً نادر بيه، حضرتك كنت لسه على بالي وبافكر اتصل بيبك علشان نتكلم في تفاصيل عملي الجديد."

وإذا بـ (نادر بك) يفاجئه بقوله: "اسمع يا أستاذ (صفوت) أنا خايف أكون اتسرعت في حديثي معاك بخصوص انتقال قضايا المجموعة ومنازعاتها القانونية لمكتبك، لكن كي أكون عادلاً، ستقوم بتجربتك في قضية ما، إذا استطعت الفوز بها والحصول على حكم لصالح المجموعة، نقوم بتوقيع العقود في اليوم نفسه، حضرتك تعلم أنني لا بد أن أقوم بعمل توكيل لك لتستطيع تمثيل المجموعة أمام المحاكم المختصة، لكن دعنا في الوقت الحاضر نستعين بخبراتك ومشورتك في قضية ما والذي يشرف عليها أحد محامي المجموعة، وهو يبدو متعثراً ويقف مكتوف الأيدي، ولا أسمع منه أن هذه القضية خاسرة، وأنا لا بد وأن أكسب هذه القضية، حيث هي نزاع على ملكية قطعة أرض كبيرة للغاية.. سأرسل لك هذا المحامي (أ. شكري).. خذ منه جميع المستندات والأوراق واسمع منه مراحل التقاضي السابقة، وسأترك لك مهلة أسبوع وبعدها نتقابل لتناقش في خطة العمل إذا

كانت لديك خطة قانونية قوية واستطعت إبداء الرأي والمشورة فيما يجب عمله، وإذا استطعنا الحصول على الحكم لصالحنا، فلسوف أجزل لك العطاء، ونوقع عقود التعاون بيننا في اليوم نفسه.“

استمع (أ. صفوت) باهتمام وانتابه شعوران؛ أحدهما بالفرح لأنه أمام فرصة هبطت إليه من السماء، فليمسك بها ويستطيع أن يبذل كل مجهود وخبرة لديه للفوز بتلك القضية، والشعور الآخر، هو الخوف من الفشل وخسران القضية ومعها خسران (نادر بك) نفسه، وهو يعلم تمام العلم من واقع خبراته، أن الفرصة الذهبية مثل هذه، لا تأتي إلا مرة واحدة في العمر.

جال (جيوشي) ببصره بين زبائن المقهى، إلى أن وجد ضالته (الحاج فاضل) يجلس وحيداً في أحد أركان المقهى، يدخن (الشيثة) وينظر إلى المارة في الشارع، وهذا كان حاله كل ليلة، يجلس ساعتين يدخن فيهما (الشيثة) مع فنجان القهوة السادة، وبعدها يدفع الحساب وينصرف في هدوء، فهو يحضر في هدوء، ويجلس في صمت، يدخن (شيثة) واجمًا وكان نصف مستيقظ، ثم يهب واقفًا، يضع بعضًا من القطع النقدية المعدنية، ثم ينصرف بهدوءٍ كما حضر، اتجه إليه (جيوشي) ثم وقف أمامه مبتسمًا، قائلاً: ”مساء الخير يا (حاج فاضل).“
رد قائلاً: ”أهلاً يا عم غلاب، اتفضل.“

جلس (جيوشي) وظل صامتاً إلى أن سأله (الحاج فاضل): ”تشرّب إيه يا (جيوشي)؟“

- شكرًا يا حاج، أنا كنت بس عايزك في مسألة كده...

- خير، أنا سامعك.

وبدأ (جيوشي) يقص عليه نأ الصبي (نادي) وطموحاته ونبوغه المبكر، وأنه يطلب المشورة من (أبله رتبة) في شأن مذاكرة عامين في عام واحد، الصف الخامس والسادس سويًا.

رد (فاضل) بهدوئه المعتاد: "حاضر يا عم غلاب، دي مسألة بسيطة، سأمر على منزلها وأنا في طريقي، وأخبرها بما طلبت، وأعرفك الرد غدًا مثل هذه الساعة إن شاء الله."

شكره (جيوشي) وانصرف عائداً إلى مقعده المعتاد في المقهى، منصتاً إلى المذياع، منتظراً أن يذيعوا أغنية لـ (الست أم كلثوم) وكان يتمنى من داخل أعماقه أن تكون أغنية (هو صحيح الهوا غلاب) هذا الجو وتلك الطقوس تسرق منه روحه وتهيم بها لتحلق في عالم خاص به وحده، اسمه (عالم دولت).. آه (دولت) كم أوحشتني! أشعر أن عمري يسرق مني كل لحظة، لأنني بعيد عن (دولت).. لولا الأصول والأخلاق، لكنت ذهبت إلى القرية واختطفتها دون أن يشعر أحد، وتزوجنا وعشنا سويًا، نعم ببعضنا البعض، فالحياة معها لها مذاق آخر، هي الروح الحقيقية التي أحيها بها!

فتحت (دولت) عينها، كان نور النافذة يملأ الحجرة، شعرت بصداع شديد في مؤخرة رأسها، حاولت أن تتذكر ما حدث، ما زالت مستلقية على السرير بشكلٍ مرضي محتضنة وسادتها، وبها بعض البلبل، الستائر مفتوحة، آه تذكرت.. (سهام) كانت معي وكنت أحاول أن أفاتها فيما

أنوي فعله، أرسلت في طلب (سهام) مرة أخرى، حيث هي تعلم أنها تعمل في الصباح وتكون في فترة المساء متفرغة ليس لديها ما تفعله، حيث توقفت عن العمل ليلاً، بعد أن حصلت على ترقية وصارت رئيسة الممرضات، مرت فترة قبل حضور (سهام) حيث تسكن بالشارع نفسه، وما أن دخلت حجرة (دولت) حتى ألقيت عليها عشرات الأسئلة حيث كان الفضول يأكل روحها ووجدانها، ماذا تريد (دولت) مني كممرضة؟؟ أخيراً بدأت (دولت) في الحديث بعد أن قالت (سهام) شوقاً وشغفاً: "دولت!!"

- اسمعي يا (سهام).. لقد فكرت كثيراً ولم أستطع النوم بسبب كثرة التفكير ولا التوقف من البكاء، أخيراً قررت عن اقتناع أن أفعل هذا الأمر وأريد مساعدتك لي لإتمامه.

كادت (سهام) أن تصاب بلوثة لهذا الأمر الخطير الجلل، أضافت (دولت): "أنا قررت، قررت أعمل عملية وأعقم نفسي، قررت أشيل الرحم، أعمل عملية استئصال الرحم.

لحظات صمت، هدوء ما بعده هدوء، ثم صمت كصمت القبور، تحولت (سهام) إلى تمثال غير ناطق، عقلها توقف عن التفكير للحظات ولم تجد ما تقوله، توقف اللسان عن العمل، العضو الوحيد الذي يعمل وبكفاءة وقدرة زائدة عن الحد، هما العينان، اتسعت عينا (سهام) لأقصى درجات الاتساع، مع فم مفتوح، ثم بدأت في الضحك، وعلا صمت ضحكها، الذي تحول لضحك هستيري، فإذا بباب الحجرة يفتح

وتطل منه (أم دولت) بعد أن سمعت صوت الضحكات العالية الصادرة من (سهام).

الأم: "أنتم كويسين يا بنات؟"

أجابت (سهام): "أيوه احنا بخير.. بس (دولت) قالت نكتة ولم أتمالك نفسي من الضحك."

غادرت الأم وأغلقت الباب، وإذا بـ (سهام) تنقض على (دولت) انقضا قردٍ جائعٍ ثم قالت: "إيه اللي أنا سمعته ده؟؟ صحيح.. هو ده القرار اللي أنت مدوخاني عليه.. استئصال رحم، انت فاكرة إيه، العملية دي لعبة ولا حاجة سهلة وليه، مش فاهمة، عايزه أفهم ليه، عندك أي أورم؟ ومين قال كده؟ رححت للدكتور؟ اتكلمي!"

- لقد فكرت كثيرًا، ليس هناك مهرب من قصة زواجي من ذلك الرجل ابن الأعيان، ولن أستطيع الهرب مرة أخرى، فتحي أخي يراقب كل خطوة أخطوها حتى داخل البيت، فلولا أنك (سهام) ابنة عمي، لما سمح لنا أن نكون وحيدتين وأن نغلق باب الحجرة، بالإضافة إلى أنني لن أطيق أن أنجب من أي إنسان سوى (جيوشي) ولن أسمح أن يكون داخل أحشائي طفل من أي رجل، لكن إذا استأصلت الرحم، فقد ضمنت أنني لن أحمل مطلقًا ولم يجد هذا الزوج في سوى جثة هادمة ولكن لن أنجب له طفل أعذب به طيلة حياتي، ابني لن يكون إلا من (جيوشي) أعرف أن الأمر ليس هينًا وأنها فكرة مجنونة، لكن منذ متى كان العقل قادرًا على إسعادنا وتحقيق أبسط أحلامنا وما تصبو إليه نفوسنا، دعينا نجرب الجنون، فهو الشيء الوحيد الذي يستحق التجربة،

وقبل أن أتخذ هذا القرار، فكرت في الانتحار، أن أموت، فالموت سيحرم هذا الزوج من الفوز بي وقتل قلب طيب مثل قلب (جيوشي) لكن أنا أخاف الله وأرجو الآخرة، لذا سأبقي على حياتي، لكن لن أبقي على ما يزيد ارتباطي بهذا الزوج وأعيش معه حياة طويلة وربما ألجأ بعدها إلى الانتحار الفعلي، بالإضافة إلى أنني لا أريد أن أكون زوجة خافتة، أن أتزوج رجلاً لم يؤذني في شيءٍ قلبي وعقلي معلق برجلٍ واحد فقط.. (جيوشي) حبيبي، وكذلك هي خيانة لـ (جيوشي) أن أتزوج غيره، هو لم يفعلها، العمر يتقدم به، يعيش وحيداً، ليس هناك من يخدمه ويسهر على راحته مثل باقي الرجال، كما لم ينجب ولداً يحمل اسمه.. كان يستطيع أن يتزوج، لكنه رفض كسر قلبي ورفض أن يكون رجلاً لامرأةٍ غيري، أنا لست أقل منه إخلاصاً ووفاءً، وبما أننا نعيش في هذا المجتمع الشرقي الظالم، هذا المجتمع الذكوري، الذي لا يرى حقاً لأي مخلوق في هذه الحياة إلا للرجل، حقوق الرجل فقط، مسموح لهم فعل أي شيءٍ حتى إن أخطأوا أو أتوا بكوارث، يقال أنه في النهاية رجل، أما نحن معشر النساء المقهورات المسلوبات، أبسط الحقوق وهو اختيار مع من أكمل بقية حياتي، وبجوار من أستلقي على السرير كل ليلة، لمن أطبخ أشهى المأكولات؟ وملابسه المتسخة المعبأة بالعرق، أقوم بغسلها وكيها، أنتظر من في نافذة الشرفة، عائداً من العمل؟ أستند على ظهر من من تقلبات وغدر الزمان؟ أشتم رائحة وأنفاس من؟ أطلب الدفء والحنان بين أحضان من؟ وأخيراً، أكون أمّاً لأولاد ممن؟؟

من حق كل أنثى أن تختار من تعيش معه حياة بكل تفاصيلها، بكل سهلٍ بها وشاق، بكل ضحكة وكل صرخة، بكل حبٍّ وحنان، وكل قسوة، تلاقي الجسد، تلاقي الروح، توافق الأفكار، هل يعقل أن أبدأ في التعارف على هذا الرجل بعد عقد القران والزفاف، وكأنني حتمًا سأكون راضية وفرحة بوجودي إلى كتفه وجواره؟

إنه ضرب من الجنون، ولعلمي أننا نعيش في قرية بسيطة، لذا أدرك أنني ليس لي أي حقوق، ولهذا أقدمت على هذا القرار، فالزوج المبجل، بعد أن يعلم أنني تخلصت من الوعاء، أقصد الرحم، وأنني لن يعد لدي القدرة على إنجاب أي أطفال ولا حتى أرناب، سيتراجع عن فكرة الزواج بي، وهذا ما أريده تحديدًا، أن يتخذ هو هذا القرار حيث هو المخلوق الوحيد.. الذكر، الذي يملك حق التراجع والرفض.

بدأت (سهام) في تهدئة انفعالها لقرار (دولت) خمدت ثورتها وبدأت في استيعاب كل ما قالت (دولت) أو وجدت كلمات (دولت) تعاطفًا كبيرًا تجاهها من (سهام) وأحدثت تأثيرًا إيجابيًا رهيبًا حيث عقت (سهام) بكلمة واحدة: "عندك حق في كل كلمة وكل ما سمعته منك، نحن النساء نعاني منه لكن ليس لدينا القدرة بالصراخ والبوح به حتى داخل صدورنا..

كنت دائمة التعجب من كلمة (لا) كلمة مكونة من حرفين وتعتبر أصغر كلمة في اللغة العربية، ومع ذلك ليس لمليارات النساء حول العالم النطق والتلفظ بها، لا نستطيع في مواقف كثيرة أن نقول (لا) وهي أبسط حق من حقوقنا، لا أعرف السبب في حرماننا من هذا الحق، فإله

تعالى أعطى الإنسان الحق في أن يؤمن به أو يكفر حيث قال في القرآن: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" فالإنسان له الحق في عدم الإيمان بالإله والكفر به، ونحن المؤمنات، لا نستطيع أن نقول (لا) أو نطقها ومن تتجراً على قولها فتتهم أنها (قليلة الأدب أو فاجرة).. أنا معك يا (دولت) لكن أنا لست مقتنعة أن هذا هو الحل الوحيد، دعيني أفكر في الأمر جيداً وأقابلك في الغد لأخبرك ما إذا توصلت إلى أي فكرة أو حل، لكن تأكدي أنك لست وحدك، أنا معك وبجانبك، توفقي عن البكاء، نحن نحتاج أن نستجمع قوانا وتركيزنا لنصل إلى التفكير السليم الذي يهدينا إلى القرار الصائب، إلى الغد إذاً، تصبحين على خير.

شعرت (دولت) بارتياحٍ شديد بعد أن وجدت من يسمعها ويشاركها آلامها وآهاتها ويتفهم موقفها والأسباب وراء اتخاذها مثل هذا القرار والإقدام على مثل تلك الفعلة المجنونة (استئصال الرحم) هل هي تؤذي نفسها؟ هل ستندم يوماً أنها لن تكون أمًا، ولن تجد من يناديها بـ(ماما)؟ لن تعرف معنى آلام الولادة، لن تعيش أيام وشهور تكوين جنين في بطنها، لن تمارس عملية إرضاع الطفل، فكرة مجنونة لكنها أفضل ألف مرة من الانتحار وقتل النفس وفقدان الحياة، وماذا عن أهلها؟ فالجميع سيلقبونها بالعانس وبالمرأة التي لا تنجب، وبعد عمرٍ طويل سوف تعيش وحيدة بلا أولاد أو ذرية، وهل (سهام) تستطيع هنا مساعدتها؟ هل من الممكن أن تقنع الطبيب الجراح باستئصال رحمها دون وجود أي أورام أو أسباب طبية مقنعة لاستئصاله؟ الموضوع

صعب للغاية وليس بالأمر الهين كما قالت (سهام) أنه أمر لا يحتمل أي مزاح أو تسرع..

ليس أمام (دولت) سوى الانتظار بما يأتي به الغد بعد اللقاء — (سهام) ربما تتوصل إلى طريقة ما أو فكرة تستطيع بها تدبير هذا الأمر، دون أن يسبب لها أي مشكلات في عملها، فهي تعلم كم تحب (سهام) عملها كمرضة وأنها صبرت كثيراً وتعبت كثيراً حتى تحصل على الترتيبات لتصبح رئيسة الممرضات ويكون راتبها مرتفعاً عن أي ممرضة أخرى، وربما عملها هذا يلهيها وينسيها ما نحن نقاسيه ونعانيه معشر النساء، فهي مثلي تماماً، مظلومة، مقهورة، مصيرها ليس بيدها، وكلمة (لا) من المستحيلات، وليس لها أن تستخدمها، وأن الأب والأخ لهما السيادة عليها واليد العليا والطولى في تحديد مسار حياتها، وإلى أين تتجه وكيف وأين لسفيتها أن ترسو؟ وعلى أي مرسى؟ لتظل السفينة مربوطة بالمرسى طيلة العمر بلا حراك، مسكينة (سهام)! والآن بدلاً من أن أخفف عنها بعض همومها، ألقيت عليها بكل همومي ومشاكلي كما ألقيت في وجهها قبلة الموسم، إنه العجب العجاب!! من يتخيل؟ فتاة لا ترضى بزواجها، فتقوم بتعقيم نفسها، تستأصل رحمها! إنه الجنون، نعم جنون، لكن أحياناً علينا أن نقول بكل صدرٍ رحب وأذرع مفتوحة على مصراعها: ”أهلاً بالجنون“ إذا كان هذا هو المخرج الوحيد لمأزق كوني أنثى، والمهرب الوحيد من بطش الرجال من حولنا، أخ ظالم أناني، وزوج لا يدرك أهمية الحب والموافقة على أن أكمل حياتي معه طوال العمر، وأب ترك أموري ومستقبلي وحياتي

بيد هذا الأخ الذي ورث الجهل والتحكم وإصدار الأوامر من أجداد عقولهم متحجرة، لا يقر بأبسط مبادئ الإنسانية، وهي الحرية، حرية الإنسان في الاختيار، ذكرًا كان أم أنثى، فالجميع له الحق والحرية في اختيار مع من يكمل حياته، من يكون أبًا لأولاده! من تقوم على خدمته، من تسير بجواره لا خلفه في الطرقات! أشعر أن العالم يتقدم بتقدم ومرور السنوات، لكن في هذه القرية الزمن متوقف، فحالنا الآن مثل حال أجدادنا في السابق منذ أكثر من ألف عام، الطباع والعرف واحد والقوانين السائدة والأفكار لا تتحرك من مكانها مهما مرت السنون، عاش من عاش، ومات من مات، والمرأة هي محور تحكم الرجل، حتى الخطباء على المنابر يتركون كل أمور الدين والإيمان والعقيدة والرحمة والإحسان وغيره ولا حديث لهم إلا عما تفعله المرأة، وكله طبعًا في اتجاه التحريم؛ صوت المرأة، شعرها، أظافرها، حاجبها، عطرها، مشيتها، وملابسها.. هذا وحده شأن عجيب، فكم الدروس والخطب التي تحدث بها المشايخ في هذا الأمر يكفي لتربية أجيال، المرأة كائن أصاب الرجل بلوثة، فأصبحت شغله الشاغل، ولكن للأسف ليس لإسعادها بل للسيطرة والتحكم فيها وإثبات أنه عليه أن يأمر وهي فقط وظيفتها أن تطيع، ثم تطيع ثم تطيع، وفقط.

وكانهم تناسوا أن لولا المرأة ما كان لهذا الرجل وجود في الحياة أصلاً، فكل رجل خرج من رحم امرأة، رحم أم، آه، الرحم، الأمومة، الذرية، الأطفال، ماذا أنت فاعل بي أيها الزمان وإلى أين تجرني أحبالك وتشدني إلى مجهول لا يعلمه إلا الله وحده؟ اصطحب (جوشى)

(نادي).. سارا سوياً في طرقات بعضها ضيق والبعض متسع إلى أن وصلا إلى المدرسة، وفي مكتب وكيل المدرسة كانا يجلسان انتظاراً لقدوم الوكيل، حسبما أبلغ (الحاج فاضل) (جيوشي) أن يتوجه في الصباح إلى مكتب الوكيل وهناك سيجد من يساعده، مرت دقائق ثقيلة على (نادي) حيث هي المرة الأولى التي يدخل فيها إلى مدرسته الجديدة، وهي تخلو من الطلاب أو حتى المدرسين حيث لم تبدأ الدراسة بعد، حاول أن يلتفت أثناء سيره إلى مكتب الوكيل، ليطلع على المدرسة الجديدة، مدرسة كبيرة للغاية، أكبر من التي كانت في بلدته الصغيرة، نظيفة للغاية، يشتم رائحة طلاءٍ جديد في كل مكان من حوله وكأن الطلاء لم يجف بعد، دخلت امرأة سمينية بعض الشيء ترتدي نظارة سميكة من النوع الذي يطلق عليه البعض (قعر كباية) يبدو على وجهها الصرامة، وكأنها لم تبتسم من قبل، ارتعد (نادي) خائفاً وانزوى خلف الكرسي الذي يجلس عليه (جيوشي).. البشوش المبتسم دائماً رغم ما يبدو عليه من غلطة الملامح وقبح المنظر العام، لكن يحمل قلب عصفورٍ مغرد، ينشر الابتسام من حوله، بعد التعارف، عرف (نادي) أن (أبلة رتيبة) ما هي إلا وكيلة المدرسة، بداية غير مشجعة بالمرة، منذ لحظات كان فرحاً بالمدرسة الواسعة والطلاء الجديد النظيف، أما الآن وبعد أن سرت الرعدة والهبة في جسده، يشعر أنه يريد أن يركض بأقصى ما أوتي من سرعة، عائداً إلى بيته الجديد ليرتمي في أحضان أمه (وداد).

وما أن تحدثت (أبلة رتيبة) حتى زالت كل مشاعر الرعب والخوف التي انتابت (نادي) منذ لحظات، حيث تحدثت بصوتٍ رقيق، مرحبةً بهم واعتذرت أن عامل (البوفيه) لم يحضر بعد، وبدأت تتسهم، ثم مدت يدها لتصافح (نادي) وسألته عن اسمه والصف الذي سيلتحق به.. بدأ (جيوشي) في شرح ما هم بصدده، أجابت (أبلة رتيبة) أنها شخصياً ترحب بذلك أشد الترحيب وأنهم دائماً يبحثون عن المتفوقين من الطلاب والنوابغ ولكن هناك إجراء متبع لمثل هذه الأمور، عليه أن يتوجه إلى الإدارة التعليمية وهناك سيقومون باختباره لتحديد إن كان لديه القدرة على دمج عامين دراسيين بمختلف المواد في عامٍ واحدٍ فقط.

فرح (نادي) بما سمع وفرح أكثر عندما دعاه (عم جيوشي) للذهاب إلى إحدى مطاعم (الفول والفلافل) لتناول طعام الفطور ثم يعيده إلى المنزل.

عقد (أ. صفوت) جلسة مطولة مجتمعاً بالأستاذ (شكري) المحامي الموكل من قبل مجموعة (N.F) استعرض فيها جميع الأوراق والمستندات في قضية هامة، استمرت الجلسة بينهما دون راحة وامتدت لساعاتٍ، وبين الحين والآخر تدخل (ميادة) السكرتيرة بصحفة فوقها فنجان القهوة، ينظر (أ. صفوت) في ساعته، فإذا بها التاسعة مساءً، والمعتاد أن (ميادة) تغادر في السابعة مساءً حيث تعمل من التاسعة

صباحًا حتى الثانية عشرة ظهرًا ثم من الثالثة عصرًا حتى السابعة مساءً، فقد تأخرت ساعتين عن موعد انصرافها.

أخبرها (صفوت) بعد أن قدم لها الاعتذار أنه من كثرة الأوراق والانهماك في المناقشات والبحث في كل المعلومات، لم يشعر بالوقت وأن لها أن تنصرف الآن، دهش (أ. صفوت) عند سماع (ميادة) تقول: "سأنتظر معكما لعلكما تحتاجان أي شيء، أو أي مشروبات، سأكون في الخارج رهن إشارة حضرتك."

لم يجد (أ. صفوت) ما يقوله إزاء هذه الرعاية الفائقة وهذا الاهتمام الذي افتقده منذ سنوات سواء في البيت أو العمل، لم يستطع (صفوت) و(شكري) الانتهاء من كل الأوراق والمذكرات في تلك الجلسة، الساعة قاربت على الحادية عشرة ليلاً.

هب (أ. شكري) واقفًا وجمع بعض الأوراق في حقيبة وانفق مع (أ. صفوت) على اللقاء في الغد لاستكمال باقي الأوراق، سار معه (أ. صفوت) إلى حجرة الاستقبال ثم البوابة الخارجية للمكتب، فإذا بـ (ميادة) تهب واقفة قائلة: "مع السلامة يا فندم."

اعتذر (أ. صفوت) مرة أخرى ولم يجد ما يقوله إلا أن يعرض على (ميادة) إيصالها بسيارته إلى المنزل في تلك الساعة المتأخرة من الليل، قبلت (ميادة) العرض على استحياء واستعدت ثم أخذت حقيبة يدها، جلست بجواره في السيارة، وكان (صفوت) سعيدًا منتشيًا حيث عاد به الزمن أيام كان طالبًا في كلية الحقوق وقد تعرف على زميلة جديدة، كان يخالجه شعورًا بالفرح ممزوجًا ببعض الجمل، هذا بالتحديد ما يشعر به

(صفوت) بينما يقود سيارته عبر الطرقات، وبجانبه تلك الفتاة التي تقدم له كل العون الذي لم يجده من أقرب الناس إليه، حاول أن ينظر إليها أثناء القيادة لكن كبريائه كان مانعاً له، فهو الأستاذ المحامي، صاحب المكتب والمقبل على مستقبل باهر في انتظاره، وهي، هي، من تكون؟ مجرد سكرتيرة، تعمل للسهر على راحته، والرد على المكالمات، ليس إلا، لكن.. لكنها مختلفة، حنون، تحترق بشدة، وتهتم بأدق التفاصيل، تهتم بصحته وبمزاجه، إن كان ليس في حالة جيدة وصار يعتمد عليها في أمورٍ كثيرة لدرجة أنه لا يستطيع الاستغناء عنها وأن العمل في مكتبه ربما يتوقف إن توقفت هي عن الحضور.

ويتذكر أنه حدث هذا بالفعل منذ بضعة أيام، حيث كانت مصابة بنزلة بردٍ حادة مع ارتفاع في درجة الحرارة، ولم تستطع الخروج من منزلها، فكان أسوأ يوم في حياته، لم يعلم أين ملفات العمل والأوراق الهامة وكان يرد على التليفون بنفسه مما أصابه بفقدان التركيز فيما يقرأ بين يديه، بالإضافة أنه لم يأكل أو يشرب أي شيء طوال هذا اليوم إلى أن عاد في الليل إلى البيت ليجد (صافيناز) تتحدث في الهاتف مع إحدى صديقاتها ولم تنهض من مكانها لاستقباله، اكتفت فقط بأن أشارت له بيدها واستمرت في الحديث، حاول الدخول إلى المطبخ عليه يجد أي عشاءٍ في انتظاره، لم يجد شيئاً، صنع كوباً من الشاي لنفسه ثم ذهب للنوم، انتبه فجأة على صوت (ميادة) قائلة: "أ. صفوت.. هنا من فضلك، البيت هنا" أوقف السيارة وعزم على الذهاب إلى شارع

الكورنيش الموازي للبحر، شعر أن الليلة مقمرة، وهو يريد أن يختلي بنفسه، وليس له إلا البحر والقمر ليجد روحه ونفسه فيهما.

لم تنطفئ النار التي أشعلها (باولو) حيث بدأت واستمرت وازداد اشتعالها بعد أن هدد وتوعد (نادر بك) أنه سيجعل (ناهد) تندم على فعلتها هذه، وهي تحاول جاهدة أن تدافع عن نفسها وتشرح له أنها لم توعد هذا الـ (باولو) ليأتي إلى البيت، فقد تصرف من تلقاء نفسه، هذه هي طبيقته، ثقافته، فهمه للأمر، يتصرف على طبيعته، ولم يعلم أن (ناهد) متزوجة، ولديها طفلة، وحاولت أيضًا أن تعده بأنها ستصلح هذا الأمر، وأنه يجب عليه نسيانه، وأنها ما زالت مريضة، لكن (نادر) قد أغلق أذنيه وعقله عن استيعاب ما تهذي به (ناهد) ومحاولة تبرير فعلتها الشنعاء، وبين الحين والآخر يصرخ قائلاً: "أنت لسه مش مدركة أنت متزوجة من مين؟"

استيقظت (دنيا) على صوت (نادر) العالي للغاية، وذهبت إلى ردهة الفيلا، وما أن رآها (نادر) حيث نادى بصوت عالٍ: "عواطف.. أنت يا عواطف، تعالي خدي البننت."

تحاملت (ناهد) على نفسها وهبت لمقابلة (باولو).. قابلها مبتسماً فرحاً، فإذا بها غاضبة وشرحت له بالإسبانية أنه تسبب لها في مشكلة كبيرة مع زوجها، فإذا بها ترفع يدها اليسرى أمام وجهه، قائلة: "ألم تعلم أنني متزوجة؟ انظر إلى خاتم الزواج.. ألم تلاحظ هذا؟"

فإذا به يضحك متعجباً ثم قال: "نحن في بلادنا لا ندرك هذه الأمور ولا نهتم بمسألة خاتم الزواج، من الممكن أن يكون الإنسان متزوجاً ولا يرتدي ذلك الخاتم، أو العكس، لكنني لم أكن أعلم أنك متزوجة، وما دخل زواجك في الميعاد الذي اتفقنا عليه للذهاب إلى المتحف؟ هل المرأة المتزوجة في بلادكم لا تذهب إلى المتحف، لا تؤدي عملها، لا تساعد الغير؟"

قضت (ناهد) وقتاً طويلاً محاولَةً شرح طبيعة الثقافة الشرقية والمصرية، وطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، ربما لو كان امرأة، لم يكن يحدث أي مشكلة على الإطلاق، لكن لأنه رجل وهي امرأة وأتى للسؤال عنها في منزلها وخصوصاً منزل الزوجية، فهو أمر جلل ويشير التساؤلات والاستغراب، أمر مرفوض ووضعها في موقف المتهم أمام زوجها.. لم يجد (باولو) إلا أن يعتذر وهو يضحك على عقل الناس في المجتمع الشرقي وفي مصر، حيث يمزجون بين العمل والعلاقة الشخصية بين الرجل والمرأة، ثم أضاف قائلاً: "لهذا، فقد علمت الآن لماذا يسمونكم أتم العرب أو الشرقيين، مجتمعات ودول نامية!!!"

وضع المعلم في المنطقة التعليمية ورقة أسئلة بها أسئلة متنوعة في مختلف العلوم، وورقة للإجابة أمام (نادي) وأخبره أنه ليس أمامه أكثر من ساعتين لينتهي من إجابة تلك الأسئلة..

مرت ساعة ونهض (نادي) من مكانه ثم توجه إلى المعلم الذي كان يجلس في أحد أركان الحجرة يمارس بعض الأعمال الكتابية، قائلاً: "انتهيت من الإجابة والمراجعة."

نظر الرجل إلى ساعة يده قائلاً: "لقد مرت ساعة فقط! هل بالفعل أنهيت الإجابة أم أن هذا الاختبار صعب على من هم في مثل سنك كما توقعت؟"

لم يجب (نادي) وأعطاه الورقة.

فقال المعلم: "الآن تستطيع أن تنصرف وتأتي في الغد لتعلم بما قررنا."

فتح المعلم الورقة التي بها الإجابة بعد انصراف (نادي) فوجده قد أجاب على جميع الأسئلة في ساعة واحدة، وأول ما اهتم به هي المسائل الرياضية حيث هي عادةً ما تكون صعبة على جميع الطلاب في المراحل التعليمية المختلفة، ازدادت دهشته حين رآه يجيب على المسائل الرياضية مع عمل هوامش جانبية بطريقة منظمة للغاية.

ثم ألقى نظرة على الورقة التي بها موضوع التعبير والتي كان عنوانها والمطلوب أن يكتب فيه الطالب ما لا يقل عن صفحتين (دور الأم في المجتمع) بدأ بقراءة أول سطر، ولم يستطع أن يترك الورقة من يده إلى أن فرغ من قراءة الثلاث صفحات التي كتبها (نادي) والتي كان يصف فيها دور المرأة وصورة أمه (وداد) في خياله، يحكي عن تفانيها في تربية الأولاد وتضحيتها بكل شيء من أجل راحتهم، وكم من مرة يراها ممسكة ببطنها وتتألم بشدة، ومع ذلك ترفض الذهاب إلى الطبيب

توفيراً للنفقات، ثم تنهض لتكمل جميع الأعمال المنزلية، حبتها للسينما ومشاهدة الأفلام، وسبب تسميتها بهذا الاسم (وداد) وغيره وغيره، ازداد اندهاش المعلم وأخذ ورقة الإجابة ثم صعد بها إلى مسؤول كبير في الإدارة التعليمية، قائلاً له: ”حصلت اليوم على كنز، طفل أعجوبة، فريد من نوعه، عمره لا يتجاوز التاسعة لكن ذكائه وعقله، ربما يستحق أن يكون جالساً بين طلبة الجامعة، في ساعة واحدة فقط أجاب جميع الأسئلة، بالإضافة إلى أسلوبه الممتع في موضوع التعبير.. حفظه الله لوالديه.“

مرت (ناهد) في طريق عودتها، على مدرسة (دنيا) للتعرف على المدرسين، مدرسة مخصصة لصفوة المجتمع، النفقات بها تدفع بالدولار الأمريكي، مدرسة دولية راقية تضم الأولاد الأغنياء والمشاهير من المجتمع، والمدرسين ما بين بريطانيين أو مصريين ممن يحملون الجنسية البريطانية وعاشوا بها فترة من الزمن.

حاولت التحدث مع أحدهم والترتيب لزيارة منزلهم لمساعدة (دنيا) في الفهم والدراسة، فأجاب المدرس: ”تقصدين درساً خاصاً؟! أعتذر فهذا غير مسموح، المفروض أن الطالب أو الطالبة يكتفي ويفهم مما يحصله من العلوم داخل المدرسة.“

وبعد إلحاح (ناهد) وشرحها لموقف (دنيا) بأن لديها تأخر في الفهم الدراسي بعض الشيء وتحتاج إلى مساعدة إضافية بجانب الساعات التي تقضيها في المدرسة، فوافق المدرس على مفضل، كانت (دنيا) تخاف وترتعد من الصوت العالي، ومن التهديد بالعقاب، كانت تحتاج

إلى معاملة خاصة، حيث كانت ترتعد من الغرباء ولا تبدي أي استجابة مع أي مدرس، وكانت هذه هي المشكلة الأهم التي تواجه (ناهد) بعد حياة التعاسة التي تحياها مع (نادر).

حيث يشعرها دائماً أنها مجرد حشرة، لم تشعر باحترامها وكيانها وأنوئتها إلا بعد أن عملت ك مترجمة للإسبانية ومرشدة سياحية، حيث أن التعامل مع الأجانب به الكثير من الود والحب والعطف التي لم تجد أو تشم رائحتهم في بيت (نادر بك) المتعجرف.

جلست (مشيرة) بجوار (شادي) تشاهد معه كارتون (توم وجيري) بينما تضحك بشدة على ما يعانیه القط (توم) من مكر ودهاء الصغير الفأر (جيري) وصوت ضحكاتها يتعالى إلى أن تستلقي على ظهرها لكثرة الضحك، مما أثار (شادي) وزاد من سعادته وفرحه، حيث هو يشاهد تلك الأفلام ليس لنفسه لكن لعلم أن (مشيرة) تضحك من أعماق قلبها كثيراً، وأن هذه الأفلام الكارتونية الكوميديّة تجعلها سعيدة، وهذا ما كان يصبو إليه (شادي) لا يتحدث ولا ييبح بذلك، لكن أهم أمانيه هو إسعاد (مشيرة) هي الوحيدة في البيت التي تحنو عليه ولا تتركه، وتلعب معه وتسمع معه أغاني الأطفال وتغني ممسكة يده، فكان يحبها بشدة ويرى فيها العوض والبديل عن انشغال الأم (صافيناز) والأب (صفوت) وأنانية الأخ (أيمن) الذي لا يقدم له أي شيء ولا يلتفت إلى وجوده من الأصل وكأنه الكرسي المتحرك، قطعة واحدة مهملة موضوعة في أحد أركان المنزل، دخلت (سهام) على (دولت) دون حتى أن تطرق على

الباب، متهللة فرحة قائلة: ”طبعًا، أنا الآن أهم واحدة في حياتك وأنت تتظنني على أحر من الجمر.“

ثم أضافت: ”وجدت لك حلًا عبقريًا، يحقق لك فكرتك لكن بأقل الخسائر، اسمعي يا سيدتي.. أنت تريدين أن تقومي بإجراء عملية استئصال للرحم، ما هي معلوماتك عن تلك العملية والبروتوكول المتبع فيها، وما مدى خطورتها؟ سأحكي لك، بالأمس سألت جراحًا يقوم بإجراء تلك العملية وشرح لي بعض الأمور، أولًا: هي عملية كبيرة للغاية وبها شيء من الخطورة، عملية معقدة، ليست مثل عملية إزالة اللوز أو إزالة الزائدة الدودية.

ثانيًا: لا بد أن يكون هناك سبب قوي ولا بديل له للقيام والنصح بإزالة الرحم مثل وجود أورام خبيثة مثلًا وفي مرحلة متأخرة، وأن المريض يعاني من نزيف متكرر يهدد حياته.

ثالثًا: لا يوجد طبيب واحد في العالم سواء كان عاقلًا أو مجنونًا يقوم بمثل هذه العملية دون الحاجة لها حيث هذا من الممكن أن يعرض مستقبله الطبي والمهني للخطر بعد المساءلة القانونية.

لذلك فكرت في استخدام بعض نفوذي في المكان، أنت طبعا عارفة أنني أهم واحدة في المستشفى، أهم من مدير المستشفى نفسه ويمكن أكون مثل وزير الصحة.

ضحكت (دولت) من هذه الدعاية.

فعلاً، أنا فكرت بأن تدخلي المستشفى بشكوى مغص متكرر في البطن وآلام في الظهر وصداع دائم، وبالطبع ستمكثين عدة أيام لعمل الفحوصات والتأكد من سبب أوجاع البطن والظهر والصداع، في هذه الأثناء سأقوم بتسريب الخبر، لو كالة أبناء المستشفى والقرية بأكملها، إلى (شفعات) عاملة النظافة التي تقضي المساء والسهرة كل ليلة في نقل أخبار القرية عن كل فردٍ فيها تقريباً، حيث هي وكالة أبناء القرية والمتحدث الرسمي باسم المستشفى، سأسرب لها خبر أنك محجوزة من أجل ألمٍ صحيٍّ خطير، وهي طبعاً كامرأة فضولية سيأكلها الفضول حتى تعلم السبب، وطبعاً لن أطيل عليها هذا الفضول وأخبرها أنك ستقومين بإجراء عملية استئصال الرحم، وبعد عدة ساعات ستعلم القرية بأكملها أن (دولت) أزالت الرحم، يعني (دولت) لن تنجب، وهي مقبلة على الزفاف من ابن الأعيان بعد أيام، وبالتالي الأستاذ العظيم وأهله هم من سينسحبون ويعلنون تراجعهم وعدم إتمام الزفاف والبحث عن عروس أخرى غيرك..

وبهذا تتخلص من هذا الزواج وفي الوقت نفسه أنت سليمة مكتملة الأعضاء، وأيضاً لا تتعرض للمساءلة ولا نعرض أي إنسانٍ آخر للمساءلة.

- حلوقوي، ده حل رائع، يا بنت الإيه يا (سهام).. إزاي فكرتي في كل ده؟ لكن طيب وأهلي وأخوي (فتحي)؟

- لا تقلقي، عمي وامرأة عمي وحتى (فتحي) يثقون في ويعلمون أنني سأهتم بك وأن عملية استئصال الرحم هذه هي العلاج الأمثل

والمناسب لحالتك وسأقنعهم أن الزيارة ممنوعة ونفاجئهم بعد عدة أيام، أنك خرجت من المستشفى وأنا سأحضرك إلى هنا بسيارة أجرة.

ذهب (نادي) وحده دون صحبة (عم جيوشي) إلى المدرسة، وحاول الدخول لمقابلة وكالة المدرسة (أبلة رتيبة) لكن (الساعي) منعه من الدخول وأخبره أنه غير مسموح له بدخول المدرسة قبل بدء الدراسة، حاول (نادي) جاهداً أن يشرح له أنه يريد لها كي يستفسر عن أمر هام فقط وينصرف بعدها، لكن (الساعي) أصر على الرفض، استدار (نادي) خارجاً من باب المدرسة الحديد الضخم، وبعد مرور حوالي ثلاث ساعات، خرجت (أبلة رتيبة) من الباب الخارجي للمدرسة، لتجد (نادي) جالساً على الباب ووجهه أحمر للغاية كما أن العرق يتصبب منه والحزن والقلق يظهران على وجهه، نظرت إليه بعد أن هب واقفاً حين رآها، أأنت ذلك الطفل الذي حضر مع...؟! أنا أعرفك أنت.

فأجاب الطفل (نادي): أنا (نادي) يا (أبلة) وجئت من قبل بصحبة (عم جيوشي) لأسأل عن الصف الخامس والسادس وإمكانية جمعهما سوياً.

رتيبة: آه، نعم، نعم، تذكرتك، لكن ما بك؟ وجهك أحمر للغاية والتعرق يملأ وجهتك!

وضعت يدها على رأسه ووجنتيه، فوجدته ساخناً للغاية، ثم قالت: "أنت إيه اللي عمل فيك كده؟"

أخبرها (نادي) أنه حضر في الصباح الباكر لكن (الساعي) منعه من الدخول، فجلس على قطعة من الحجر خارج باب المدرسة منتظرًا خروجها، ولم يشعر بحرارة الشمس القوية طيلة هذا الوقت، أخذته إلى داخل المدرسة وطلبت (الساعي) ثم وبخته لأنه لم يدع الطفل يدخل إلى مكتبها قائلة: "إذا أتى (نادي) مرة أخرى، فدعه يدخل إلى مكنتي." ثم طلبت منه إحضار كوب من المياه الباردة جدًّا، وكوب من عصير الليمون المثلج وإحضار إناء به ثلج وماء بارد ومنشفة نظيفة، وبدأت (أبله رتيبة) في عمل كمادات لـ (نادي) على رأسه بينما كان جالسًا في حجرتها، غير مصدقة أنها المرأة نفسها التي أوجس منها خيفة حين رآها لأول وهلة، وكان هذا الدرس الأول الذي تعلمه من المدرسة قبل أن تبدأ الدراسة، وهو ألا يتسرع في الحكم على الناس، وسألها بينما يشرب عصير الليمون المثلج: "حضرتك يا أبله عملي إيه في موضوعي؟" أجابت: بعد قراءة (البوسطة) اليوم، لم يكن بها شيء يخصك يا (نادي).. تعال مرة أخرى بعد يومين، حتى يصل الرد من الإدارة التعليمية.

لم يكن (علي الساك) على دراية بعمل أنواع العصير المختلفة، بدءًا من عصير القصب إلى عصير البرتقال والجزر، والمانجو وغيره. فأوكل إليه العمل الشاق، بمعنى أن عليه أن يصعد السلم من أوله، وبعدها يتعلم شيئًا فشيئًا إلى أن يصبح (صناعي عصير) فالآن كل ما يعنيه عملية التنظيف وحمل أعواد القصب والفواكه من سيارات النقل

إلى داخل مخزن المحل في الخلف، ثم حمل الفاقد من عصير القصب والفواكه، خارج المحل في مكان مخصص لذلك إلى أن تأتي سيارة القمامة لجمعه، فعمله هو (العتالة) كما يقولون، تفرغ وتحميل سيارات النقل، بالنسبة له عمل شاق للغاية حيث لم يعتد عليه، كل خبراته في الأعمال الكتابية والحسابات والتعامل مع الدوائر الحكومية، ولكنه كان عليه أن يتحمل المشقة والصعب كي يستطيع الإنفاق على أسرته حيث لا يستطيع الاعتماد على (جيوشي) صديقه مهما كانت متانة وقوة تلك العلاقة، لكنه كان يعلم في قرارة نفسه وفي أعماق وجدانه، أنه لن يطيل البقاء في تلك المهنة، عامل في محل عصير قصب، فعندما التقى بـ (جيوشي) في أول فرصة سنحت له، أجاب (جيوشي) بعد أن سأله: "إيه أخبار الشغل؟ مبسوط فيه؟؟"

- والله يا (جيوشي) يا اخويا، أنا حاصارحك بالحقيقة.. أنا مش مبسوط وشغلانة صعبة عليا ومش متعود عليها.. لكن لازم أصبر لحد ما الاقي فرصة أفضل في مكان آخر، ولكني عارف أن فرصتي ضئيلة، فأنا مش صغير وصحتي مش زي زمان.

- عموماً استمر وأنا سأحاول إيجاد فرصة أفضل وإذا سنحت تلك الفرصة سأخبرك على الفور، ولكن في الوقت الحاضر، ابذل أقصى مجهودك وحاول تعلم حرفة عمل العصير، فهي مربحة، ولا أحد يعلم، يمكن أن تمتلك محللاً في المستقبل.

بعد أن وقفت (دادا عواطف) لبعض الوقت كعادتها أمام (الخرابة) والدموع تأتي أن تفارق وجهها الشاحب، رأت (نادي) يركض في

الشارع بسرعة، وبعدها بدقائق يعود مهرولاً تجاه باب البيت، ركضت (عواطف) بسرعة عليه واستوقفته قائلة: "مالك يا حبيبي؟ بتجري بسرعة ليه كده؟ حصل حاجة؟؟"

- أيوه يا خالة، أمي تعبانة ورحت أشترى الدواء من الصيدلية.
وأشار إلى علبتي دواء في يده.

صعدت معه (عواطف) لأعلى، إلى السطح، لتجد (وداد) تتأوه من الألم وتضع يدها على بطنها وبجوارها (ألفت) الصغيرة تبكي خائفة، وعندما رأت (عواطف) سألتها: "هي أمي حاتموت يا خالة؟"
وازدادت في البكاء.

أخذت (وداد) الدواء بمساعدة (عواطف) وبدأت تحكي لها عن الآلام المتكررة في بطنها وأنها عندما كانت في القرية، ذهبت مرة واحدة إلى طبيب الوحدة الصحية الذي أخبرها أنها ربما تكون مصابة بقرحة في المعدة وكي يتأكد طلب منها عمل منظار للمعدة في مستشفى كبيرة حيث هذه الإمكانيات غير متوفرة في الوحدة.

ومن بعدها اتجهت للعلاج بالأعشاب والذي ارتاحت عليه لفترة لكن الآلام عاودتها من جديد..

ومنذ تلك الليلة، صارت (وداد) و(عواطف) صديقتين، وزادت (عواطف) على طقوسها، طقسًا آخر، وهو الصعود لزيارة (وداد) بعد وقوفها أمام (الخرابة) لوقت قصير وقضاء معها فترة المساء قبل أن تعود، لممارسة عملها والاهتمام بـ (دنيا)..

- آه (دنيا)! تلك الطفلة المسكينة، أعطها الله الأب الغني والأم الطيبة والمال، لكن زرع بداخلها خوفاً من الاغتراب، وزاد هذا الخوف أكثر وأكثر، عندما بدأ بعض المدرسين في التردد عليها في المنزل لمساعدتها وإعطائها دروساً للتقوية في الرياضيات والتي يطلقون عليها (المات) والعلوم (الساينس) كما أسمعهم يقولون، وعندما أسأل (دنيا) بعد انصرافهم تقوم بالترجمة وكذلك أستاذ (اللغة العربية والبلاغة) ومع هذا المدرس وهو الوحيد الذي أفهمه ولا أحتاج عند وجوده لمترجم.

لكن في كل مرة ينصرف المدرسون بصورة غاضبة، وبكاء متكرر من (دنيا).. هي ترفض وجودهم، ولا تحب لقاءهم وتخاف منهم، لذا يمر وقت الدرس دون فهم، وعندما يطلب منها أحد المدرسين أن تقوم بحل مسألة ما، لا تستطيع، وإذا سألتها؛ هل قامت بعمل واجب المدرس؟ تجد المدرسة الأسئلة بلا إجابات في الكتابة، حيث لم تستطع (دنيا) الإجابة لأنها لم تفهم من الأساس كيف تجيب، هذه هي مأساة (الست دنيا) يا (وداد) يا أختي.

هكذا قالت (عواطف) لـ (وداد).

وإذا بـ (وداد) تطرح تساؤلاً: ”طيب واللي يحل لك المشكلة

دي؟؟“

شهقت (عواطف) فرحاً، حيث كان هؤلاء الناس يشهقون عند الحزن وعند الفرح وعند الشعور بالمفاجأة، ثم قالت: ”إيه الحل، ربنا

يخليكي؟“

قالت (وداد) بعد أن أشارت إلى (نادي) الذي كان يلعب ببعض الأوراق، ويعمل منها أشكلاً هندسية بدیعة: "شایفة ابني ده، ما یغركيش أنه جسمه ضئیل وصغیر لكن ذكي وله عقل زي الكبار، هو شاطر في المدرسة خالص ودا بشهادة جميع مدرسيه، هاتي كتب الست (دنيا) وأنا أخلي نادي يحل المسائل الرياضية والأسئلة وغيره.. خيلنا نجرب، يمكن نقدر نساعدنا ونرفع عنها الحرج."

وكان ما كان، اتفقا الاثنان، تكررت زيارات (أستاذ. شكري) إلى مكتب (أ. صفوت) وفي آخر جلسة بينهما أخبر (صفوت) (شكري) أنه الآن أتم فهم ووضع يده على كل المعلومات ولا يحتاج إلى أوراق أو معلومات أكثر من ذلك.

وبعد هاتفا (أ. صفوت) (نادر بك) ليطلعه على الموقف وأنه يحتاج إلى أسبوع لدراسة جميع الأوراق قبل أن يبدي رأيه في القضية وكيفية الخروج بها إلى بر الأمان، ألا وهو أن يكون الحكم لصالح مجموعة (N.F).

وخلال زيارات (أ. شكري) لمكتب (صفوت) زاد تعلق (صفوت) وارتباطه بـ (ميادة) السكرتيرة، وبعد أن قام بتوصيلها أول مرة للبيت عندما تأخرت إلى الحادية عشرة ليلاً، أصبح يوصلها كل ليلة إلى بيتها، ثم بعد ذلك طلب منها أن يتناولوا القهوة سوياً في أحد المقاهي الفاخرة، وتجراً في إحدى المرات ودعا (ميادة) إلى العشاء، ثم ندم بعدها أشد الندم بعد أن تكبدت حافظة نقوده الخسائر الفادحة بعد أن دفع مبلغاً باهظاً من وجهة نظره إلى المطعم ذي السمعة العالية، مقارنة بما تناولاه،

في كل طبق، شطيرة صغيرة للغاية فوقها (صلصة) بنية اللون وبجوارها قطعتان من البطاطس وقطعتان من الجزر وقطعة من المشروم، وبعدها تناولوا طبقين من الحلوى يشبهان (الكريم كراميل) يطلقون عليه (كريم بروليه).. هذا العشاء دفع فيه مبلغاً من المال يكفيه للإفناق على بيته طيلة شهر كامل، هذا حال (صفوت) الحريص دائماً على المال، ليس بخيلاً، كما يدعي، هو يكره هذه الكلمة، فدايماً ما يصرح ويقول لمن حوله: "هذا ليس بخلاً إنما هو حرص على المال" ثم يتبع كلامه بمجموعة من الأمثال، مثل: "القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود، وخذ من التل يختل" ثم يختم قوله بمقولة من القرآن لإسكات الجميع: "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" صدق الله العظيم.

انتابت (دولت) آلام حادة في منطقة البطن، قامت على الفور (أم دولت) باستدعاء ابنة عمها (سهام).. حضرت (سهام) واتصلت بسيارة الإسعاف من المستشفى بعد أن بثت الطمأنينة في قلب زوجة عمها وأخيها (فتحي) كي لا يقلقا، ستأخذها إلى المستشفى لعمل الفحوص ولا داعي لحضورهما، فالأمر بسيط.

وبالفعل ذهبت (سهام) مع (دولت) وهي ممددة على سرير سيارة الإسعاف وكان الجيران يشاهدون ويتجمعون حول البيت، وهذه عادة الشعوب العربية هي التجمهر والتجمع مع أي حادث.

وفي المستشفى بعد انتهاء وانقضاء أول يوم، سربت (سهام) الخبر بالتحديث في الهاتف لحظة وجود (شفعات) عاملة النظافة، وكانت

تحدث عن (دولت) وذكرت أنها تعرضت لنزيفٍ حادٍ ومستمر، وأن لديها مشكلة كبيرة في الرحم ربما يضطر الأطباء معه لاستئصال الرحم للحفاظ على حياتها، ثم وضعت الهاتف وانصرفت مسرعة متجهة إلى بيت عمها وتحدثت مع عمها و(فتحي).. أن الأمر بسيط وأنها ستنام الليلة في المستشفى حيث يريد الأطباء الاطمئنان عليها وعمل بعض الفحوص والأشعة وفي الغد تظهر النتيجة ويكون الأمر خير وأنها ستوافيهم بكل جديد.

كان (فتحي) يستمع باهتمام لـ (سهام) ولكن لم يشعر بالارتياح لكل كلمة سمعها، وعزم أنه لا بد وأن يفعل شيئاً، ليفهم ما يدور حوله، إن كان حقيقياً فخير، وإن لم يكن فلا يجب أن يكون مغفلاً كما يدعي..
مرت ليلتان على مكوث (دولت) في المستشفى، وبعدها بدأت (سهام) في إشاعة الخبر الجديد، أن (دولت) أجرت جراحة دقيقة، وهي جراحة استئصال الرحم، نظراً لوجود أورام خبيثة.

مرت سويعات قليلة، وجميع أهل القرية وربما المواشي والأشجار أيضاً سمعت الخبر (استئصال دولت للرحم) وعلى الفور وقبل أن تذهب (دولت) عائدة إلى منزلها بعد أن غادرت المستشفى، كان ابن الأعيان أرسل أمه إلى (أم دولت) لتخبرها بإنهاء إتمام الزفاف وأن الموضوع (فرکش).. سمع (فتحي) ما دار بينهما حيث كان واقفاً خلف الباب يسترق السمع، زاد شكه فيما يحدث وازداد معه عدم الارتياح والارتياح والشك في كل ما يحدث، بدءاً من زيارات (سهام) المتكررة لـ (دولت) وانتهاءً بآلام البطن، الإسعاف، المستشفى، فحوص

وأشعة، ثم استئصال أهم أعضاء المرأة (الرحم) ثم انتهاءً بـ (فركشة الجوازة) كما يطلق عليها أهل القرية.

قرر (فتحي) الذهاب إلى المستشفى لاستقصاء الأمر ووضع يده على الحقيقة، أما حدث حقيقة أم أن هناك ما يشبه اللعبة والتمثيلية؟ بينما هو على (كارتة) يجرها حصانان يركضان بأقصى سرعة سمعاً وطاعة وخوفاً من سياط (فتحي).. مرت بجواره على الجانب الآخر سيارة أجرة قديمة بداخلها في المقعد الخلفي (سهام) و(دولت) بينما كانتا عائدتين إلى بيت (دولت) وما أن دخلت (دولت) البيت، حتى وجدتها أمها تبكي بشدة وتتمم بكلماتٍ مثل: ”حانودي وشنا من الناس فين“ و”كان مستخيلنا ده فين“ و”احنا اتحسدنا ولا إيه.“

ومن كثرة هذيان الأم، لم تلاحظ دخول (سهام) و(دولت) إلى حجرة (دولت) إلى أن عادت (سهام) من الحجرة لتخبر زوجة عمها أن (دولت) في حجرتها وأنها بخير بعد إجراء عملية استئصال الرحم، وأنها ستأتي يومياً للقيام بتغيير الضمادات على الجرح الغائر في بطن (دولت) ولا بد أن يتركوها تخلد للراحة وعدم الحديث معها قدر الإمكان.

عربة الخيل تنطلق بـ (فتحي) بأقصى سرعة وهو لا يتوقف عن التفكير في الأمر، في أول الأمر عزم على أخذ مسدسه معه وإشهاره في وجه من يكذب عليه أو من يخفي أي معلومات عن حالة أخته (دولت) إلى أن يصل للحقيقة لكنه هدأ وتراجع عن تلك الفكرة وقرر استعمال

المال، فالمال يفتح أبواب وأفواه وجيوب الكثيرين، فقرر إغداق المال على صغار العاملين إلى أن يصل إلى الأطباء للتحدث معهم..

وصل إلى المستشفى وقبل أن يخرج الأوراق النقدية ليعطيها لبعض الممرضات، شاهد مدير المستشفى والمعروف لديه (د. سالم).. ذهب إليه واختلى به لدقائق، سأل عن حال (دولت) وإجراء تلك العملية، عرف بعدها أن (دولت) دخلت لعمل بعض الفحوص وخرجت وهي سليمة تمامًا ولا تحتاج حتى لعلاج إلا بعض المسكنات وأدوية علاج الانتفاخ للمعدة، ذهل (فتحي) مما سمع، ولم يكن يتوقع أن تكون مهمته سهلة لهذا الحد وأن يصل للحقيقة في دقائق ودون استخدام المال أو السلاح ولكن جميع مخاوفه وشكوكه كانت في محلها، إذًا (دولت) و(سهام) قامتا بخداعه وخداع الجميع لإنهاء الزواج، وسمعتهم وسيرتهم الآن ما هي إلا علكة في فم أهل القرية يلوكونها بالصباح والمساء.

فكر فيما يجب عليه، فسار إلى العربة المربوطة بحصانين، محدثًا نفسه: "لا يفيل الحديد، إلا الحديد.. خداع بخداع، وأذى بأذى، والبادي أظلم، ماشي يا (دولت) أنت و(سهام)".

هكذا قال بينما يصعد إلى العربة عائداً إلى البيت.

توجه (نادي) في الصباح الباكر إلى المدرسة، وما أن وصل حتى تحدث مع (الساعي) لاستئذانه لمقابلة (أبلة رتبية) وكان قلقًا من عدم تذكر (الساعي) له وأن يسمح له بمقابلة وكيلة المدرسة، ولكن تذكره (الساعي) محدثًا إياه بغضب: "نعم أتذكرك، أنت الصبي الذي بسببه تم

تويخي وتوجيه اللوم لي.. كيف أنساك؟ عموماً الوكيلة (أبلة رتيبة) لم تحضر بعد، سأصنع لك مقعداً خارج حجرتها لانتظارها.

مرت حوالي الساعة وظهرت (أبلة رتيبة) حتى رأته (نادي).. قابلته بفرحة مختلفة عن كل مرة أخرى سابقة وقالت: "تعال يا (نادي) وصلت (البوسطة) بالأمس وبها شيء جميل يخصك."

ابتسم (نادي) وفرح بمقابلتها، ثم أضافت قائلة: "التقرير الذي يتحدث عنك مبشر ومفرح للغاية، حيث تمت الموافقة أن تدمج الصف الخامس مع الصف السادس في عام واحد باختبارات منفصلة، وكذلك أبدأ مصحح أوراقك سعادته المرتفعة بك وأضف على الهامش، أنه لولا أنه رآك أمامه تختبر وحدك دون مساعدة من أحد لظن أن هناك شخصاً آخر أجاب عن الأسئلة ويسبقك في المراحل الدراسية، فمستواك يعادل طالب في المرحلة الثالثة الإعدادية، وخصوصاً في الرياضيات والعلوم بشقيها (الكيمياء والفيزياء)..

ثم أضافت (رتيبة): "هذا يا (نادي) ما ورد عنك وأنا فخورة بك للغاية وسأرعاك بنفسى، بمعنى أي مشكلة تقابلك، تعال إلى مكتبي على الفور، وقبل بدء الدراسة بيوم تعال إلى هنا كي أصفك ضمن فصول المتفوقين، فتحن لدينا في كل مرحلة دراسية، فصل للمتفوقين، سأصنفك في فصل المتفوقين للمرحلة السادسة الابتدائية، وما عليك إلا أن تذاكر المرحلة الخامسة وحدك في البيت، وفي نهاية العام ستدخل اختبارات المرحلة الخامسة ثم اختبارات المرحلة السادسة، وإن

نجحت بكليهما، فأنت في السنة القادمة ستكون في المرحلة الأولى الإعدادية، وأعتقد أنك تستطيع فعل ذلك.“

حاولت (ناهد) إيجاد وقت مناسب للتحدث إلى (نادر) كي تزيل الخلاف الذي دب فيما بينهما، لكن لا جدوى، هو دائماً مشغول، وعند تواجده يتجاهلها متعمداً، تاركاً إياها غارقة في أسئلة بلا إجابات..

ماذا حدث لكل هذا؟! أما أنه زوجي وأنا زوجته؟!!

هل سنظل هكذا وإلى متى ينتهي هذا الموقف المزري والمعاملة الحقيرة المتدنية التي ألقاها منه؟!!

خرجت بعد أن فشلت في إيجاد إجابة واحدة فقط لأيٍّ من تلك التساؤلات، خرجت ورأسها مليئةً بعلامات استفهام ليس إلا، توجهت إلى عملها، فوجدت (باولو) في انتظارها ويده حزمة أنيقة من الزهور البيضاء والزرقاء، زهور بديعة الشكل ذكية الرائحة وملفوفة بشريط أصفر ناصع.

قدم لها الورود وترددت في أخذها، فإذا به قائلاً بالإسبانية: ”هذا لتقديم اعتذار عما حدث وعن الألم الذي سببته لك ولأهل بيتك.“

ثم أضاف: ”كل ما أرى هو أن نكون أصدقاء، فقط أصدقاء بالمعنى البريء، إنني ما زلت أحتاج مساعدتك اللغوية والاحترافية في فهم تاريخ هذا البلد العظيم المتعدد الحضارات، فأنا تائه ما بين فهم الحضارة الفرعونية وآثارها والتي من الممكن أن أمكث سنوات وسنوات كي أفهم القليل عن عظمة الشعب المصري الفرعوني، ثم أيضاً تائه في فهم الحضارة القبطية وعظم الشعب المصري القبطي ومعتقداته وما أسهم

وقدم للحضارة المصرية ثم تأتي بعدها فترة الفتح الإسلامي لمصر،
وثالثاً مع الشعب المصري المسلم بمختلف حضاراته، العصر الأموي،
الفاطمي، الأيوبي، الإخشيدي، المملوكي، إلى آخره، وبعدها فترة
وجود جاليات أجنبية كالجالية اليونانية والإيطالية والأرمنية والتركية
والطائفة اليهودية، وتحديداً في مدينة الإسكندرية التي احتوت كل تلك
الثقافات في وقتٍ واحد.. يا (ناهد) بلدكم بلد عظيم ويحتاج إلى وقتٍ
طويل للغاية لفهم كل ثورة وكل حضارة وكل موقف وكل تقدم حدث
للشعب المصري.“

كانت (ناهد) تستمع إليه وليس في رأسها إلا مشكلتها مع (نادر)
وإحساسها بالإهمال ناحية ابنتها (دنيا) التي لا ذنب لها في كل ما
يحدث بين أبويها.

لكن برغم انشغال رأس (ناهد) بتلك المشكلات إلا أنها كانت
سعيدة للغاية لكرم أخلاق (باولو) وتقديم باقة الزهور الجبلية لها والتي
لم تحدث من (نادر) طيلة سنوات زواجهما، بيتهما لا يخلو من الزهور
لكنها تأتي (دليفرى) من محل الزهور، حيث أن (نادر) لم يذهب لمرة
واحدة لشراء ولو زهرة واحدة لها.

نظر (نادي) إلى الكتب التي أحضرتها (عواطف) كي يقوم بعمل
الواجبات بدلاً من (دنيا) ومساعدتها حتى يأتي الوقت الذي تستطيع فيه
فهم دروسها وأداء واجباتها بنفسها.

نظر إلى كتاب (المات) - الرياضيات - وجد أن أغلب المسائل
التي به قد مرت عليه من قبل وأنه لن يجد صعوبة في حلها، ثم فتح

كتاب (اللغة العربية) وكذلك كان سهلاً حيث يحب (نادي) البلاغة والنحو والنصوص، بعدها فتح كتاب (الساينس) وهنا كانت العقدة حيث كانت هناك كلمات بالإنجليزية، صعبة وغير مفهومة لديه، بعض الرسومات التوضيحية يدركها (نادي) ولكن الشرح والأسئلة مكتوبة بلغة صعبة عليه، شرح ذلك لأمه (وداد) وللخاله (عواطف) فإذا بأمه تخبره أنه يمكن أن يبدأ في حل أسئلة كتابي الرياضيات والعربي، وهي ستحاول إيجاد حل لمسألة العلوم والإنجليزية الصعبة هذه، أرسلت في طلب (جيوشي) وطلبت منه أن يشتري لها قاموس لغة إنجليزية قديم ومستعمل بأرخص الأسعار.

توجه (جيوشي) إلى شارع النبي دانيال، وهناك وجد قاموس إنجليزي بمبلغ زهيد للغاية... قاموس قديم وأوراقه تكاد تنفصل عن بعضها البعض لذلك هو زهيد الثمن، أخذه وقام بلصقه بشريط لاصق فأصبح متيناً وتوجه به إلى (أم نادي) وأعطاه إياها، فرح (نادي) أشد الفرح بذلك القاموس حيث طالما تمنى لو يقتني واحداً ليساعده على فهم بعض الكلمات الإنجليزية الصعبة..

طلب المدرس من (دنيا) أن يرى إن كانت حاولت حل بعض الواجبات المنزلية الخاصة بالرياضيات، ناولته الكتاب بينما تنظر إلى الأرض من الخجل، فإذا به يقف مهللاً بعد أن تصفح بعض الصفحات، قائلاً:

”نعم، هكذا، أخيراً، مستوى ذكائك بدأ في الارتفاع، كل المسائل التي قمت بحلها صحيحة، كم أنا فرح بك الآن.“

نظرت (دنيا) إلى المدرس في دهشة، ونظرت إلى الكتاب التي لم تفتحه من الأصل، فإذا به الحلول لكل المسائل التي أراد المدرس أن تحلها، وفتحت فاهاً لتخبر المدرس أنها لم تحل شيئاً ولربما هذا الكتاب ليس لها، وهنا تدخلت (الدادا عواطف) سائلة المدرس عما يريده من مشروب أم يريد قهوة، ونظرت إلى (دنيا) وأشارت لها أن تصمت ثم قالت بصوتٍ خافت للغاية: "أنا حافهمك بعدين."

وبعد انصراف المدرس، جلست (دادا عواطف) مع (دنيا) جلسة مطولة شرحت لها فيها أن هناك ولدًا صغيرًا اسمه (نادي) ولكنه عبقرى ونابعة ومستوى ذكائه وتحصيله للعلم متقدم للغاية، هو من قام بمساعدتك وسيستمر حتى تستطيعين فهم دروسك بنفسك..

فأجابت الصغيرة (دنيا): "بس ده غش يا (داد) وكمان أنا كده مش حافتعلم حاجة، إزاي حافهم دروسي وحد تاني هو اللي بيحل كل حاجة، طبعاً أنا ممتنة وشاكرة لـ (نادي) مساعدته من غير ما يعرفني أو تتقابل، لكن ده مش حل صح، أنا مش مقتنعة."

عواطف: "أعلم ذلك يا ابنتي، أوافقك الرأي، لكن هذا حل مؤقت لحين أن تجدي المدرس الذي تتراحين له أو لها.. فأنت ترفضين معظم المدرسين الذين حضروا إليك، ليس هناك حل آخر، عموماً أنا سأرتب الأمر لكن سأخبرك به لاحقاً."

أخذت (دنيا) تفتح الكتب مرة أخرى وتراجع حل المسائل التي كتبها (نادي) وتحاول أن تفهم كيف حل تلك المسائل، كانت سعيدة أن هناك إنساناً لا يعرفها ويساعدها دون مقابل، وفي الوقت نفسه أبوها

وأما لا يحاولان حتى مساعدتها أو القيام بشرح أيّ من تلك الدروس لها، فلم تجد أي دعم، سوى الدعم المادي فقط، لكن لا يقضي أحدهما أي وقت معها لمحاولة فهم المخاوف التي تسكنها من الغرباء ومن كبار السن وأن هذه العقدة لم تزول وربما لن تزول بمرور الأيام كما يظنان.

عقد (أ. صفوت) مع (نادر بك) جلسة مطولة، استعرض أمامه السبل والأطر القانونية التي ستساعد وتؤكد حصول مجموعة (N.F) على حكم لصالحها، استمع (نادر) باهتمام وانبهار في الوقت ذاته، كيف لهذا اللعين، التوصل إلى هذه الحلول ووضع يده على ثغرات تعطي الحق بالكامل لمجموعته ولا تدع أمام القاضي أي خيار إلا أن يحكم لصالح مجموعته؟ مع الدهشة والانبهار كانت هناك سعادة طاغية أنه أخيراً وجد محامياً ليس من كبار المحامين المغالين في طلباتهم المادية والتي تتمثل في أغلب الأوقات لتقاضي مبلغ كبير نظير أتعاب المحاماة مع نسبة مئوية من المكاسب، لكن هذا المحامي (صفوت) مختلف، المفروض أن يكون مختلفاً في طلباته، مجرد أتعاب تكفي وأتعاب تقل بكثير من أتعاب هؤلاء المحامين الذين يقبون أنفسهم بـ (المحامين الكبار) وفي الوقت ذاته كان (صفوت) يشعر بالثقة، أنه أخيراً نال إعجاب (نادر) ووضع قدمه بين مصاف الكبار وأن المسألة مسألة وقت، فبمجرد أن يكسب أولى القضايا، سيكون هذا كفيلاً بوضع اسمه بين كبار المحامين في البلد، هم (صفوت) بالانصراف، فإذا بـ

(نادر) يبقيه قائلاً: "انتظر سنوقع على عقود انضمامك لمجموعة (N.F) كمستشار قانوني للشركة."

تعجب (صفوت) قائلاً: "ألم تقل أنك تريد أن تربح تلك القضية أولاً وبعدها يتم منحي هذا المنصب، وأمثلة المجموعة بشكل قانوني؟!!!"

نادر: "نعم، النطق بالحكم في جلسة الأسبوع القادم، ومما سمعته منك الآن، فإن القضية محسومة لصالحنا، لذلك لم الانتظار؟ الأفضل أن تتسلم عملك معنا وتنضم إلى المجموعة كي تبدأ في مباشرة النزاعات القانونية التي تواجهها المجموعة، أنا ليس لدي أي نية لخسارة أي قضية، أكون أنا أو المجموعة طرفاً فيها، أكره الخسارة ولا أعرف طعمها من الأصل... وأنا أرى فيك محامياً واعدداً، ملماً ببنود ولوائح القانون بشكل جيد وأن المجموعة ستستفيد من خدماتك وستكون مكسباً لنا، ونحن من الناحية الأخرى سنرفع اسمك في عنان السماء بمجرد أن يعلن في الصحف والجرائد والأوساط الرسمية أن (أ. صفوت الجمال) هو من الآن الممثل والمستشار القانوني للمجموعة مع وضع صورتك، لذلك دعنا نوقع العقود وأن تتسلم شيئاً بمبلغ، مرتب شهرين كمكافأة وتشجيع من طرفنا على العمل بهمة ونشاط لصالحنا."

سعد (صفوت) أشد سعادة بتلك الكلمات الرائعة المشجعة من (نادر) وبالفعل وقع على العقود بعد أن قرأها بشكل سريع، ثم تسلّم في يده ما كان ينتظره ويصبو إليه منذ أن تعرف على (نادر فخري).. نظر (صفوت) إلى الشيك بروح عالية وابتسامة عريضة، وما أن وقعت عيناه

على المبلغ المدون في الشيك، حتى تجمد مكانه، وتلاشت ابتسامته العريضة وحل محلها بوادر صدمة وآثار خيبة، وإحباط شديد، فالمبلغ الذي في الشيك أقل بكثير من طموحات وآمال (صفوت) خصوصاً أنه يتعامل مع مجموعة اقتصادية وتجارية كبيرة، وليس أي زبون عادي، لاحظ (نادر) تغير ملامح (صفوت) وكأنه غير سعيد بالرقم المدون في الشيك، فصاح قائلاً: "أراك غير سعيد، لا تتعجل، إنها فقط البداية وكلما ربحنا قضايانا، زاد التقدير المادي وزادت المكافآت، لا تتعجل... هيا هيا، دعنا نشرب نخب هذا التوقيع والانضمام العظيم، ولتحدث كأصدقاء بعيداً تماماً عن العمل والقضايا، فأنا أحب أن أقسم يومي لفترات، والآن بالنسبة لي فترة العمل انتهت وبدأت فترة الهدوء والحياة العامة، أي التفاهة، نتحدث ونضحك على أي شيء إلا الكلام عن العمل أو السياسة أو ما شابه ذلك."

ابتسم (صفوت) ابتسامة باهتة وكأنه ظاهرياً يوافق على ما سمعه من (نادر) لكن في قرارة نفسه، وضع أول بذرة لتنامي الكره داخله تجاه (نادر) حيث كان (صفوت) يحب المال ويكره من يقف حائلاً بينه وبين الحصول على هذا المال، والآن يرى أن (نادر) يقف سداً منيعاً وحائلاً بينه وبين الحصول على المبالغ الكبيرة من المال، وأن خذلانه بالرقم الموضوع على الشيك لن يتم، وكانت لـ (صفوت) القدرة الشديدة والحكيمة على إظهار خلاف وعكس ما يستقر داخله، فلم تتغير ملامحه كثيراً، وقضى وقتاً لطيفاً بصحبة الصديق الجديد (نادر فخري) لكنه في قرارة نفسه قرر أن ينتظر الفرصة السانحة التي تأتي له كي يحصل على

التقدير الذي يستحقه ثم قال سرّاً: " الأيام يا (نادر) يوم لك ويوم عليك، سيأتي اليوم الذي أكون فيه السيد، صاحب القرار، سيد الموقف وسوف أتعامل معك بشكلٍ أحقر بكثيرٍ وتقدير مهين لشخصك، أنت لم تقدرني حق قدري، فلم تدرك قدراتي بعد، ليس أمامي إلا الصبر، فمن يصبر يبلغ منتهاه، وأنا محترف للصبر وأعرف جيداً أن أصبر كما صبرت على كثيرين مثلك وآخرهم (صافيناز) زوجتي، صبرت عليها كثيراً."

لم تستطع (ناهد) رفض عرض (باولو) للخروج سوياً للسينما لمشاهدة أحد الأفلام الرومانسية الفرنسية.. وبعدها الذهاب للعشاء سوياً.. لمناقشة الفيلم والتحدث عن رأي كلٍّ منهما فيه.. وخصوصاً أن هذا الفيلم قد تم إخراجة في إسبانيا.. مأخوذاً من القصة نفسها وباللغة الإسبانية، وقد وعد (باولو) (ناهد) أنه سيحاول الحصول على نسخة من الفيلم الإسباني..

كانت (ناهد) تحتاج إلى صديقٍ حقيقيٍ تتحدث معه.. وعادةً الأشخاص المخالفين لثقافتنا وطباعنا يكونون أكثر تفهماً.. حيث أنهم يسمعون أكثر وهذا ما كانت تفتقده (ناهد) في (نادر).. حيث لا يسمح بالكلام في وجوده.. عليها أن تسمع فقط وتفقد تعليماته.. ولا يحاول فهم ما تمر به أو تعانیه أو أبسط احتياجاتها المعنوية والعاطفية، وإذا أخطأت وهذا طبيعي حيث أن كل إنسان يخطئ، وهذا أحد الفوارق بين الإله والعباد.. لا يغفر لها هذا الخطأ بسهولة ويعاتبها ويوبخها لساعات.. ثم يعيد الكرة والمشهد حيث يذكرها في كل مناقشة بينهما، أنها أخطأت مرة يوم كذا وأخطأت مرة أخرى يوم كذا ومرة ثالثة ورابعة..

وفي النهاية تشعر (ناهد) أنها تسير وحيدة في الحياة.. عليها أن تواجه وتحل مشكلاتها بمفردها.. وكأنها تعيش في فترة ما قبل الزواج، تحاول أن تجعل منه عوناً فيتركها وينشغل بمجموعته اللعينة.. تحاول أن تشركه معها فيما تعانیه وتستفيد من خبراته.. لكنه يأبى أن يساعدها ودائمًا يقول: "أنت لست صغيرة.. دبيري أمورك وحدك.. أنا مشغول."
هو ليس بالبخیل.. ولا بالشخص الصعلوك.. هو كريم.. ومظهره ووضعها الاجتماعي مشرف للغاية.. لكنه يفتقر إلى أن يكون زوجًا.. إنسانًا.. صديقًا.. شريكًا.. عطفًا.. حنونًا.. محبًا..

في طريق عودتها إلى البيت، فكرت (ناهد) في (دنیا) حيث كانت تمر أمام مدرستها.. فقررت أن تتوقف للدخول إلى المدرسة للاطمئنان على أحوال (دنیا) مع المدرسين قبل بدء الدراسة ببضعة أيام.. تسير ببطءٍ تجاه بوابة المدرسة.. تخطو بقدمٍ تحثها للدخول للاطمئنان على ابنتها.. أما القدم الأخرى فتأبى أن تتقدم قيد أنملة.. حيث هي تخشى من الإحراج وما ستسمعه من كلمات أن (دنیا) مستواها العقلي ضعيف ولا أحد يهتم بها وهي دائماً تشعر بالإحباط ويبدو عليها الانطواء وأنهم يحاولون معها في جميع المواد بلا فائدة.. أخيراً تسلحت بالشجاعة ودخلت وقابلت المدرسين..

وإذا بها تسمع ما لم تكن تتوقعه.. ووقع المفاجأة كان قويًا على مسمعها، إذ حدث عكس ما تتوقعه وعكس ما يحدث كل مرة.. حيث أثنى المدرسون وبشدة على مستواها.. قائلين جميعهم بأنها قامت بحل جميع الأسئلة بشكلٍ صحيح.. لدرجة أنها إذا التحقت بالامتحانات

فلسوف تحصل على الدرجات النهائية بتفوق.. في البداية ظنت (ناهد) أنها طريقة جديدة من السخرية من آباء وأمهات الأطفال المتأخرين دراسياً وأنها طريقة للضغط عليهم وتنبههم بخطورة الموقف.. ولكن شيئاً فشيئاً شعرت بالجدية في حديثهم.. وبالصدق في عيونهم.. وأنهم يشعرون أن كل تعبهم لم يذهب سدى وإلى التراب، وسوف يحضرون لمرات قليلة للغاية وبعدها من الأفضل التوقف عن هذه الدروس المقوية حيث أن مستوى (دنيا) تحسن للغاية وربما لم تعد تحتاج للمساعدة الخارجية من أي مدرس وأنها يمكن أن تكتفي بالوقت الذي تقضيه في المدرسة والاندماج مع التلاميذ والتلميذات..

أخيراً.. عرف الفرح والابتسام طريقهما إلى وجدان وروح (ناهد) حيث أنها كانت تشعر بخيبة أمل كبيرة في نفسها جراء إهمالها لابتها الوحيدة وأنها دائماً ما تشعر بالعجز عن تقديم الذي يجب عليها أن تقدمه لها كأم.. العطاء الطبيعي النابع من غريزة الأمومة التي زرعا الله في كل أم حتى أمهات الحيوانات لديهن الغريزة نفسها، ألا وهي العناية والرعاية والاهتمام بالصغار كي يستطيعوا مواجهة مصاعب ومتطلبات الحياة نحوهم فيما بعد..

وما إن دخلت (ناهد) البيت حتى نادى (دنيا)..

قامت باحتضانها بشدة.. وقبلتها كثيراً قائلة كلاماً رقيقاً عن مدى ثقتها أنها ستكون على ما يرام وأنها ستستطيع فهم دروسها وحل المسائل والإجابة على الأسئلة.. وأن لديها ثقة كبيرة في مستوى ذكائها.. كل

هذا و(دنيا) تقف واجمة.. مستمعة ولا يبدو عليها أي علامات فرح أو سرور.. "أي ثقةٍ وذكاء تتحدث عنهم أمي؟!".

أخيراً تكلمت (دنيا): "كل هذا خطأ يا أمي.. أنا لم أكتب حرفاً واحداً أو رقماً واحداً.. ما تشاهدين في الكتب ليس خطي.. انظري.. ولا خط المدرسين.. لست أنا من فعل هذا.. الجميع مخطئ.. حتى (دادا عواطف) مخطئة.. اتركوني وحدي."

وبدأت في الصراخ والركض بعيداً مرددة: "اتركوني وحدي.. دعوني وشأني.. أنا أكرهكم كلكم."

تبدلت مشاعر الفرح المؤقتة التي ملأت جوف وعقل وقلب (ناهد).. لتعود إليها المشاعر الأصلية.. الحزن.. الفشل.. خيبة الأمل.. ولكن تزداد معها علامات الاستفهام.. هي لا تفهم وتحتاج إلى تفسير كل ما سمعته من المدرسين مقارنةً بما قالته (دنيا)!

وما دخل (دادا عواطف) في كل هذا؟ نعم السر والإجابة لن تكون إلا مع (دادا عواطف).. يا إلهي!.. أنا أمها، لا أعرف عن ابنتي من الحقيقة شيئاً، والخادمة.. الدادا.. هي التي لديها فصل القول وفصل الخطاب! من الأفضل أن أقتل نفسي قبل أن أكون أمّاً على الورق فقط ولا أؤذي أي دورٍ تجاه ابنتي..

لكن (عواطف) اللعينة.. تتصرف وكأن (دنيا) ابنتها هي ولا تعود إلي في أي أمرٍ ولا تستشيرني فيما يحدث أو يجب أن يحدث، لكن كيف لها أن تستشيرني وهي بالكاد تراني؟!.. فأنا أخرج في الصباح وأعود ليلاً..

وإذا مكثت بالبيت، أغلق علي حجرتي وأصرخ في الجميع لأخبرهم
أني لا أريد أي إزعاج وأريد أن أكون في حجرتي بمفردتي..

أنا الذي أغلقت الباب بوجه ابنتي.. دنيا.. وبوجه (الدادا) المسؤولة
عنها.. لا يحق لي إلقاء اللوم على أحد.. أنا المسؤولة.. لكن هذا لا
يمنع من أن أعرف الحقيقة وأن أعمل ما فيه صالح (دنيا)..

- "عواطف.. يا عواطف.. انت يا زفتة!!"

هكذا كانت تناديها..

حضرت (عواطف) مهرولة خارجة من المطبخ حيث كانت تعد
بعض العصير لـ (دنيا)..

- ماذا يا هانم؟.. ماذا حدث؟

بدأت (ناهد) في إلقاء الأسئلة عليها واحداً تلو الآخر.. وقبل أن
تفتح (عواطف) فمها لتجيب.. تعاجلها بسؤالٍ جديد، ثم تركت لها
المجال للتحدث.

أخبرتها (عواطف) بالأمر بكامله.

ناهد: وهل تثقين في هذا الصبي (نادي).. هل هو فعلاً بهذا الذكاء
والتفوق؟ وهل سيستمر في مساعدة (دنيا)؟.. أنا على استعداد أن أدفع
له أموالاً كثيرة.. لكن هذه مخاطرة يا (عواطف).

عواطف: يا هانم.. أنا عندي فكرة.. لمَ لا ندعو (نادي) للحضور هنا

لتعليم (الست دنيا)؟

ناهد: أجننتِ؟ .. كيف تجرؤين على مثل هذا الاقتراح؟ ولد بلدي .. شعبي .. يأتي إلى هنا ويعامل معاملة المدرسين ليعلم ابنتي أنا؟! “
عواطف: يا هانم، أحياناً الأطفال يتلقون المعلومات بطريقة أسهل من تلقيها من الكبار وحسب ما أنا أفهم من خلال جلوسي مع (الست دنيا) هي لديها خوف رهيب ورعب من التعامل مع الكبار .. لذا أعتقد ليس هناك مانع أن نجرب أن يأتي (نادي) ليشرح لها بعض الأمور .. ربما تتقبل منه.

ناهد: وما يدريني أن يكون لَصًا أو مليئًا بالحشرات والأمراض المعدية التي ممكن تصيبنا جميعاً؟

عواطف: عموماً يا هانم، فكري .. أنا لأنني أحبكم وأحب (الست دنيا) عملت كل هذا .. والصبي مؤدب للغاية ولم يتردد في المساعدة حتى أمه حتته على ذلك .. وهم أناس شرفاء لديهم عزة نفس ولا ينتظرون أي مقابل، لا أموال ولا غير أموال .. هم أناس تربوا على مبدأ (الناس للناس).

ناهد: ماشي يا (عواطف) .. خيلينا نجرب .. بس أوعي تجيبي سيرة لـ (نادر بك) .. خلي الأمور دي تتم بيننا وفي سرية.

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

ذهبت (مشيرة) إلى أمها (صافيناز) التي كانت تضع بعض الدهانات على أطراف قدميها .. وبين كل إصبع والآخر كانت هناك قطعة من القطن محشورة بين الأصابع.

فطلبت (مشيرة) من أمها مبلغاً من المال.. فسألتها الأم عما تريد أن تفعل بالأموال.. وكم هي تلك الأموال!.. أخبرتها (مشيرة) عن المبلغ، فإذا بالأم ترفع رأسها إلى (مشيرة) قائلة: "ماذا؟.. لماذا تطلبي مبلغاً كبيراً مثل هذا؟.. لقد اشتريت لك ملابس جديدة الأسبوع الماضي.. فلماذا هذه الأموال؟"

أجابتها (مشيرة): إنها ليست لي.. (شادي) اشتكى كثيراً لأنه يشعر بالملل ولا يغادر المنزل منذ سنوات، يريد الخروج والتنزه، يريد أن يرى أطفالاً وبيوتاً وشوارع وأشجار، يريد أن يكون في الطبيعة، وأعتقد يا أمي أن هذا من حقه، ليس معنى أنه عاجز أو على كرسي متحرك أن يظل هكذا مثل أي قطعة في المنزل وممنوع عليه الخروج.. أخشى على حالته النفسية.. لذا أنا بحثت في دليل التلفزيون عن أي مراكز تقدم خدمات للمعاقين.. وفعلاً وجدت بعضهم وتحدثت هاتفياً وأبلغوني أن لديهم سيارات مجهزة يمكن وضع الكرسي المتحرك كاملاً وتوصيله إلى أي مكان يريده ثم انتظاره وإعادته إلى المنزل.. لذا يا أمي، أريد أن أدفع لهم هذا المبلغ، وأخرج أنا و(شادي) كي يتنزه.

لم تجد الأم (صافيناز) سبباً للرفض، وافقت رغم علمها أن هذا المبلغ المالي سيؤثر على ما يتركه لها (صفوت) بداية كل شهر، وأنها الآن في منتصف الشهر، والمبلغ الذي تطلبه (مشيرة) هو كل ما تبقى معها بعد أن اشترت ملابس و عطور وأدوات (مكياج) جديدة.. فرحت (مشيرة) وطارت إلى (شادي) لتخبره أنها ستقوم بترتيب رحلة ممتعة في صباح الغد وسيعود في وقت متأخر من الليل إذا أراد، وبالفعل

قامت (مشيرة) بعمل اتصالاتها مع مركز التأهيل .. ورتبت معهم تفاصيل الرحلة التي تبدأ في صباح الغد..

يتقلب (فتحي) على سريره عدة مرات .. يحاول جاهداً أن ينام، ويجب أن ينام حيث عليه الاستيقاظ مبكراً لإتمام بيع مجموعة كبيرة لتاجر (مواشي) قادم من منطقة الدلتا، وهو يعول على هذه الصفقة الكثير كي يعوض خسارته منذ عدة شهور عندما أصاب مرض (الحمى القلاعية) وأدى إلى نفوق الكثير من الماشية التي كانت معدة للبيع .. ولكن لم يكن هذا سبب هروب وفرار النوم من مقلتي (فتحي) ..

لا يستطيع إيقاف صوت وصدى صوت (د. سالم) بينما يتردد في أذنه: "أحتك سليمة .. مجرد شوية انتفاخات."

هل أخطأ (د. سالم)؟ .. هل يتحدث عن فتاة أخرى؟

لا .. لا .. إن (دولت) و(سهام) قامتا بفعلٍ شنيع .. كذبتا عليه وتلاعبتا به طيلة الأسبوع الماضي ..

لكن لماذا تفعل (دولت) كل هذا؟ لماذا تلتصق بنفسها بتهمة وسمعة أنها لن تنجب بعد الآن وأنها ليست كباقي البنات يمكن أن تتزوج وتصير أمًّا؟ هل هذا معقول؟ هل هناك عاقل ينشر عن نفسه خبر أنه لا يستطيع إنجاب طفل؟ ما معنى هذا؟ إنها لن تتزوج أبداً .. من ذا الذي يقدم على الزواج من فتاةٍ عاقر؟ نعم هي مثل العاقر .. بل ربما العاقر أفضل منها .. إذ أن العاقر يمكن أن تستجيب للعلاج وتحدث المعجزة ويحدث الحمل ..

أما (دولت).. من استأصلت رحمها.. لن تنفع معها أي أدوية حيث أن الوعاء الذي يحمل الجنين غير متواجد من الأصل..
 لكن المصيبة أنها لم تستئصل الرحم، بل أشاعت وأذاعت عن نفسها ذلك ولعبت لعبة غريبة على الجميع وبمساعدة من؟! الملاك الطاهر..
 كبيرة الممرضات (سهام)!

آه من كيد النساء!.. والغريب في الأمر أنها عندما سمعت من أمي خبر زيارة أم الزوج المنتظر لتنهى الارتباط وتعلن تراجع ابنها عن إتمام الزواج منها، لم نسمع من (دولت) أي صراخ أو نحيب أو عويل أو حتى علامة حزن.. أي فتاة في موقفها ستسقط مغشياً عليها إذا فشل إتمام الزواج قبل أيام من حفل الزفاف.. ويسمون هذه الحالة (فضيحة)..
 لكن (دولت) لا تشعر أنها تعيش حالة فتاة في فضيحة إلغاء زفافها..
 من هذا الأبله الذي سيقدم على الزواج منها أو الاقتراب حتى من بيتهم؟

وهذا الأب المسكين أبي.. طريح الفراش لا يعلم شيئاً، ومنذ سنوات وهي تعلم أنني رجل الدار بعد أن أقعد المرض الأب وجعله ملازمًا للفراش، هل كانت تستطيع (دولت) أن تقدم على مثل هذه الفعلة عندما كان أبي بكامل صحته؟ مجرد أن ينظر إليها، كانت تسقط مغشياً عليها، وإذا تكلم.. صمت وأطاع الجميع، وإذا ارتفع صوته، أي به بوادر غضب، هرب الجميع من أمامه وأغلقوا أبواب حجراتهم من الخوف والهلع..

معنى ذلك أن (دولت) بعد مرض أبي .. لا تحترمني ولا تراني بديلاً عنه أم تراني ضعيفاً؟ ربما بسبب الحادثة القديمة عندما حاولت الهرب للقاء ذلك الأحمق القبيح (جيوشي) وأحضرتها من على رصيف محطة القطار، اكتفيت فقط بضربها بالسوط، كان من المفترض أن أزهد روحها، أن أقتلها وأغسل أي عار تسببت فيه لنا جميعاً.. لكن واضح أنها تراني ضعيفاً أو رحيماً لدرجة خداعي، كي تقوم بعملية أخرى، وجلب عارٍ جديد لدارنا وضرب خنجر في سمعتنا وهيبتنا بين الناس.. وأين أنا من كل هذا.. كيف أواجه كبار تجار ومربي (المواشي).. فالجميع يعمل لي ألف حساب ويهابني الكبير قبل الصغير، فتأتي تلك الحشرة (دولت) لتضع الطين على رأسي وتجعل سمعتي وكرامتي تحت أقدام أذية الناس، فلا سيرة في المقاهي والطرقات وخلف الأبواب المغلقة.. إلا أن (دولت) شالت الرحم وأخوها لا يعلم).. حتى المسجد سمعت بعض الناس يتحدثون فيه.. بيت الله لم يسلم من أن يلوك الناس بين أسنانهم سمعتي وعرضي وكرامتي..

لا.. لا.. لن يحدث هذا أبداً، سأثبت رجولتي، وأثبت لـ (دولت)، وسهام) والجميع، أنني رجل بمعنى الكلمة، لست ضعيفاً وأملك الكثير من الحلول لغسل عاري واستعادة كرامتي التي نثرتها (دولت) فوق كل حبة تراب في البلدة..

إن غداً لناظره قريب يا (دولت).. فقط أنتهي من بيع الماشية وتجارها وتحصيل الأموال ثم أنفِرْغ لك.. ولنرى هل كذبتك سريعة الانتشار أكثر أم ردي واستعادة كرامتي أسرع مما قمت به من قبل؟

هل سيكون (فتحي) أسرع في رده واستعادة هيئته وكرامته ويستحق أن يكون بحق ابن أبيه.. ابنه في قوته ووسطوته وبطشه وإخضاع كل من حوله لطاعته وتنفيذ أوامره؟

طال صمت واستغراق (جيوشي) في الصمت.. كلما تذكر (دولت) شعر بالاغتراب، فصورتها الجميلة الرقيقة لا تفارق عينيه.. وصوتها الحالم الحاني ما زال يطن في أذنيه، كم هي جميلة رقيقة لها نظرة ثاقبة تنفذ عبر القشور لترى ما وراء الأشياء! لم تهتم بالملامح الخارجية التي طالما كانت محل سخرية ورهبة من الجميع! ورأت ما بداخل تجويفه الصدري، ما بداخل ضلوعه وحول قلبه.

لا بد أن أرتب زيارة للبلد قريباً.. للاطمئنان عليها وأخذ شحنة عاطفية أستطيع مواصلة حياتي بها.. بمجرد النظر في عينها وسمع همس كلماتها وصوتها الناعم الأنثوي الرقيق.. سأتم بعض الأعمال في أسرع وقت وبعدها أهبط إلى القرية، ولن أهتم بمن يعلم بخبر قدومي ولن أهتم برد فعل أي إنسان، فأنا دخلت البيت من بابه كما يقولون.. تقدمت لطلب يدها مرتين؛ الأولى من الأب قبل أن يسقط مريضاً على الفراش، فما كان منه إلا أن تهكم على ملامح وجهي وأخبرني أنه لن ينتظر أن يأتيه أحفاد يشبهون القروء.. ثم طردني خارج المنزل..

والمرة الثانية؛ تقدمت إلى (فتحي) بطلب يد (دولت).. فتعمد الهرب مني ورفض مقابلي وأبلغني مع أحد العاملين وهو يغسل الحمير، أن المعلم (فتحي) مشغول ولن يقابلك.

ماذا أنتظر بعد ذلك؟ أن أطلب يدها من الأم من الرجل الذي يطعم ويغسل الحمير؟

ابتلعت إهانتني وركنت كرامتي جانباً لأجل (دولت).. احترامي لها وتقديري لقلبها الحنون، يعطيني القوة والتحمل لأتحمل ما يمكن أن يفعل بي.. كي أصل في النهاية وأفوز بها، لتصير زوجتي ومليكتي المتوجة..

غادرت (مشيرة) المنزل في الصباح الباكر واستعدت (شادي) بملابس جديدة وهو جالس على الكرسي المتحرك، ذهبا في سيارة مجهزة إلى حديقة الأورمان ثم بعدها إلى السينما، وبعدها يقرر سويًا ما ينويان فعله..

جلس (صفوت) على مائدة الإفطار يشرب الشاي ويتناول إفطاره وهو يتصفح الجرائد الصباحية، إذا بـ (صافيناز) تخبره أنها ليس لديها أي نقود وتطلب منه مبلغًا من المال لتستطيع إكمال نفقات البيت لباقي الشهر..

انتفض (صفوت) من مكانه وبدأت الأسئلة والحساب وكأنه حساب الملكين في القبر: أين المال وفيما أنفقته؟ أنت مبدرة.. أنت مسرفة.. أنا لست موظفًا أقبض مرتبًا كل شهر.. أنا فقط تأتيني الأموال عندما أربح أي قضية وهذا يستغرق وقتًا طويلًا.. طلبت منك يا هانم مرارًا وتكرارًا أن نتكشف بعض الشيء، لكنك لا تفهمين حرفًا مما أقول.

بالطبع لم تقف (صافيناز) موقف المستمع المتلقي للوم والعتاب المصحوب ببعض الإهانات، قاطعته على الفور متحدثة بصوتٍ أعلى كثيراً من صوته:

”انت نسيت أنا مين.. إيه الفلوس اللي بتتكلم عليها دي؟.. ده بابي كان بيصرف اللي انت بتصرفه طول الشهر في يوم واحد.. بابي.. فإكر بابي.. المستشار/ نبيل سلام اللي كانت محكمة النقض كلها تقف على رجل من مجرد ذكر اسمه.. وهو اللي ساعدك في البداية، ووافق عليك وأنا كنت شايفاك صعلوك ولا تصلح أنك تكون زوج لصافي ولا نسيب عائلة زي عائلتي.. من الأفضل أنك تفكر في كلامك وتفوق من غيوبتك وتتنازل عن الأسلوب السوقي اللي بتتكلم بيه.“

نظر (صفوت) إلى المائدة، مطأطأ رأسه للأسفل، وقال بصوتٍ متحسرج في حلقه وكأنه يستعطف الحروف والكلمات لتخرج:

”عموماً أنا أخذت بالأمس شيك من عميل مهم للغاية وسأذهب لإيداعه في البنك ثم آتيك بالنقود في المساء عند عودتي.“

تم ترتيب أول زيارة يقوم بها (نادي) إلى (دنيا) في بيتها حيث حضرت (عواطف) لاصطحابه.. وظلت (وداد) توصي (عواطف) بأن تحافظ عليه وتهتم به خوفاً عليه من الطرق وما تسمع به من السرعات الجنونية التي يقود بها بعض المستهترين سياراتهم.

لم تذكر (ناهد) أن اليوم هو موعد حضور (نادي) لمساعدة (دنيا) ابنتها الوحيدة في استذكار دروسها بديلاً عن المدرسين التقليديين الذين قضاوا وتقاضوا أموالاً طائلة دون جدوى..

دخل (نادي) بصحبة (دادا عواطف) فطلبت منه أن ينتظر على مقعدٍ فخم مريح في ردهة المنزل، ثم بحثت (عواطف) عن (مدام ناهد) وعلمت من الخادمة أنها غادرت المنزل، فلم تجد (عواطف) بدءاً من أخذ (نادي) والصعود به إلى أعلى، حيث حجرة (دنيا) التي بها ركن به مكتب وعليه جميع الكتب والأدوات واللوازم المدرسية التي تحتاجها، وبينما (عواطف) تصعد الدرج للطابق الأعلى حيث حجرة (دنيا) كان (نادر) يهبط الدرج مسرعاً وفي يده بعض الأوراق، نظر إلى (نادي) بعد أن توقف في منتصف الدرج، فتقابل الاثنان (نادر، ونادي) في المنتصف، نظر (نادر) خلفه تجاه (عواطف) التي كانت تسبق (نادي) في الصعود لأعلى.

نادر: "من هذا؟"

وأشار بشيءٍ من الاحتقار بإصبعه إلى حيث يقف (نادي) منكماً على الدرج..

عواطف: "ده.. ده.. يا نادر بيه.. ده.. ماهي الست ناهد عارفة وموافقة."

نادر: "الله.. الله.. عارفة إيه وموافقة على إيه؟.. وانت لسه ماجاوبتنيش مين ده؟"

وأشار ثانيةً بالاحتقار نفسه والإصبع نفسه، ثم ضغط على أسنانه..
عواطف: "ده (نادي) الولد اللي حايدرس ويذاكر للست (دنيا)."
استشاط (نادر) غضباً عند سماعه هذه الجملة..

نادر: نعم.. نعم.. ده.. ده.. الولد المقرف ده.. هاذاكر ويدرس
لبنتي أنا.. انت مجنونة؟.. جبتيه مين؟.. ولا لقيتيه فين؟.. امشي انت
وهو من هنا قبل ما اقتلك واقتله.“

نزلت (عواطف) الدرج بأقصى سرعة ونظرت حيث يقف (نادي)
وجدته يقف بجوار شجرة ضخمة في الحديقة.. يبكي بشدة والدموع
تنهمر من عينيه ولم يقل كلمة واحدة..

بيد حنون ربت (عواطف) على وجنتي (نادي) لتجفف القطرات
المتتابعة على وجهه الصغير، ثم قالت: ”لا تحزن يا ولدي.. أنا فخورة
بك، أتيت إلى هنا لمساعدة فتاة صغيرة بريئة مثلك لكنك للأسف
اصطدمت بالأسد، نعم إنه كالأسد الجائع الذي كاد أن ينقض علينا،
وكل ما اقترفناه من ذنب هو محاولة مساعدة ابنته.. ضحيته.“

جلست (ناهد) مقابل (باولو) حول مائدة مستديرة لتناول طعام
الإفطار، وتبادلا الحديث في كل شيء، مطعم في منطقة (نزلة السمان)
بسيط للغاية، مطعم متخصص في تقديم (الفول والفلافل) والبيض
والباذنجان، طعام إفطار مصري خالص، شهى للغاية.. (باولو) لا
يستطيع التوقف عن الأكل والتهام كل صنف وكأنه جالس في أفخم
الفنادق المطلة على النيل.

نظر بصره جانبًا، كان هذا المطعم مطلاً من خلال نافذة زجاجية
كبيرة على شارعٍ ترابي.. مليء بالخيل والحمير..

حيث هذا الموقع هو مكان خاص بالجمال والخيل والحمير التي
تستخدم في منطقة الهرم لتأجيرها إلى السياح من زوار الأهرامات..

وفجأة.. توقف (باولو) عن الأكل وتبدلت حالة السعادة التي يعيشها لتحل محلها مساحة من الحزن والضيق، لاحظت (ناهد) ذلك التغيير المفاجئ على وجهه..

ناهد: ماذا حدث؟ أراك توقفت عن الأكل ولم تبد سعيداً.

باولو: نعم.. لا أدري ماذا أقول! انظري..

ثم أشار لها أن تلقي نظرة عبر النافذة الزجاجية الكبيرة والمطلّة على الشارع الترابي..

نظرت (ناهد) وإذا بها ترى رجلاً نحيلاً ضئيل الجسم، ممسكاً بعضاً غليظة ينهال بها على ظهر حمار أبيض اللون.. بلا رحمة أو شفقة.. والحمار ملتزماً مكانه بلا حراك...

مشهد فعلاً غريب!

باولو: رأيت هذا؟.. أليس لي الحق في الغضب؟ لماذا تضربون الحمير في بلادكم؟ أتعلمين أن لدى الحمار من القوة أن يسحق العشرات مثل هذا الرجل؟ لكن لحكمةٍ ما.. وضع الله في الحمار الصبر وتحمل المشاق وأيضاً تحمل تصرفات الحمقى، الحمار حيوان يستحق الاحترام.. يستحق التقدير ويستحق أن نحسن معاملته ونطعمه ونهتم به، فهو يقدم للإنسان الكثير من الخدمات.. يحمل على ظهره مئات الكيلوات من الأحمال ويسير إلى حيث يوجهه صاحبه، في أقسى أنواع الأرض وعورة وتحت لهيب الشمس الحارقة، أو في البرد القارص والأمطار والسيول المنهمرة، حيوان يمكن أن تعتمد عليه،

ولا يتطلب الكثير من الرعاية والاهتمام، لكنكم هنا في بلادك تعاملونه أسوأ معاملة وكأنه يدفع ثمن طاعته ومساعدته لصاحبه..

ناهد: ”فعلاً.. لديك كل الحق، أنا لم أفكر في هذا الأمر من قبل، نحن فعلاً نسيء معاملة الحمير رغم ما يقدمون لنا من خدمات، نحن معاملة الكلاب والقطة.. وعندما يصل الأمر للحمير لا يلقون منا إلا كل إهانة جسدية ومعنوية، حيث يتعرضون للضرب مثل ذلك المشهد، وأيضاً إذا أراد أحدهم أن يسب رجلاً آخر، فيقول له: يا حمار.“

باولو: أتعلمين يا (ناهد) أننا في بلادي (المكسيك) هناك احتفال يقام كل عام اسمه (يوم الحمار الوطني) حيث يتم تكريم الحمار؟ لأننا نقدر دور الحمار الذي ينقل أحمالاً كبيرة وثقيلة للمواطنين ويساعدهم على تحقيق أعمالهم.. يقوم المشاركون في هذا المهرجان بتزيين الحمير بألوان زاهية وتقديم الطعام المناسب لهم ويشاركون في ذلك الكثير من السياح الذين يزورون المدينة في هذا التوقيت..

شعرت (ناهد) بالانبهار تجاه شخصية (باولو) لكنها لم تحزن على الحمير قدر حزنها على حالها مع زوجها النادر في الطباع (نادر) لبيته يعاملني مثل ما يعامل الحمار في المكسيك.. فيعطيني قدرتي وأهميتي ويعترف ولو مرة باحتياجه لي في حياته وأنني لو خرجت من حياته ربما يتعطل كالألة التي تتوقف عن العمل حين فصل التيار الكهربائي عنها.. فصارت تردد فيما بينها وهي ممسكة بقطعة من الخبز الطازج: ”ليتي كنت مثل الحمار المكسيكي.. أنا الآن ما زلت حماراً مصرياً..

نعم حماراً مصرياً ليس إلا!!“

دخل (نادي) بصحبة (عواطف) على أمه وآلامه تعاوده من الحين للآخر ..

نظرت إليه، أدركت أنه كان يبكي، وبعد دقائق علمت بما حدث، ضمته إلى صدرها قائلة: "أنت رجل حقيقي يا (نادي).. فعلت ما يجب على أي إنسان شهم فعله، مساعدة الغير، تذكر دوماً أن (الناس للناس).. انس ما حدث ودعنا نهتم بأدواتك وملابسك، فالمدرسة ستبدأ في الغد."

ابتسم (نادي) وتذكر المدرسة وكم هو متشوق للذهاب والتعرف على أصحابه الجدد والتهام الكتب والعلوم كما كان يفعل سابقاً!

لم يستطع النوم بسطوته وقوة تأثيره أن يقهر جفون (نادي) الصغير.. حيث قاوم النوم من شدة فرحه بالذهاب إلى المدرسة في الصباح، ووضع بجواره على السرير الصغير، حذاءه وجواربه، و(مريسته) الجديدة المطوية بعناية والموضوعة في كيس شفاف عليه شعار المصنع الذي صنع (المريسة)..

بالطبع لم يكن يعلم أنها (مريسته) القديمة التي ارتداها طيلة العام الماضي، لكن (وداد) الأم الماهرة المدبرة الصابرة.. استطاعت تحويل (المرايل) القديمة لأولادها إلى أخرى جديدة حتى لو كانت (المرايل) نفسها من العام المنصرم..

وبعد وقتٍ قليل أعلنت أجفان (نادي) الاستسلام ورفعت الراية البيضاء مقرة بالهزيمة وعدم الصمود طويلاً أمام وساوس وإغواء النوم الهادئ السعيد مع بعض الوعود، بأحلام سعيدة لطيفة مليئة باللهو

والمرح، اصطف (نادي) في الطابور الصباحي.. وبعد الاستماع لكلمة مدير المدرسة التي رحب فيها بالطلاب وتمنى لهم عامًا دراسيًا ممتعًا ومفيدًا..

مع تقديم الكثير من النصائح التي طالت في الوقت بعض الشيء لكنها في النهاية نصائح في مصلحة الطالب المتنبه لمصلحته.. وبعدها بدأ توزيع الفصول على الطلاب، الفصل الذي يستمر مع كل طالب طيلة العام، فكان (نادي) في الصف السادس - فصل المتفوقين.. وهو فصل مميز، حيث يجمع كل من تفوق علمياً وأخلاقياً في السنوات السابقة.

وبدأت الحصة الأولى، وكانت حصة اللغة العربية، ثم بدأ المدرس في تبادل التعارف مع الطلاب الذي لم يتعدى عددهم الخمسة وعشرين طالبًا، وحين جاء الدور على (نادي) أخبره المدرس أنه يتحدث بلكنة ليست (إسكندرانية) فسأله: من أين أنت يا (نادي)؟

أجاب (نادي) أنه من أسيوط وتحديدًا من قرية النخيلة، رفع المدرس حاجبيه، معلناً عدم معرفته بالقرية، ثم سأله: وهل في قرينك من هو نبغ أو نجح في شيء؟ أقصد هل تعلم أيًا من أعلام قرينك؟

أوماً (نادي) بالإيجاب، قائلاً: "هناك شخصية مشهورة ومعروفة لدى أهل الشعر والبلاغة.. إنه الشاعر (محمود حسن إسماعيل).."

١٩١٠/٧/٢ - ١٩٧٧/٤/٢٥

أبدى أستاذ العربية سعادته بتبادل الحديث مع (نادي) حيث وجد في حديثه علمًا غير معتاد عما هم في مثل عمره، وكذلك ثقة بالنفس تشير الانتباه..

ثم سأله: وماذا تعرف عن الشاعر (محمود حسن إسماعيل)؟
نادي: "شاعر مصري معاصر.. تخرج في كلية دار العلوم - من
مواليد النخيلة/ أسيوط، أصدر ديوانه الأول وهو طالب بعنوان (أغاني
الكوخ) ونال جائزة الدولة في الشعر سنة ١٩٦٥ - وغنى له الموسيقىار
(محمد عبد الوهاب) قصيدة (النهر الخالد).. توفي سنة ١٩٧٧ في
دولة الكويت وعاد جثمانه ليدفن في مصر."

الأستاذ: "رائع يا نادي.. كيف لك بحفظ ومعرفة كل هذه
المعلومات؟ وهل تحفظ أيًا من أشعاره؟"
نادي: "نعم يا أستاذ.. أحفظ بعض أبيات له من قصائد مختلفة،
ولكن قصيدة (اللحن المقهور) أحفظها كاملة."

الأستاذ: هل تستطيع أن تذكرها لنا كي نندوق حلاوة شعره؟
نادي: بالتأكيد يا أستاذ.. لكنها قصيدة طويلة وأخشى أن وقت
الحصة لا يكفي بالإضافة أخشى من ملل الزملاء وخصوصًا أنني
تحدثت كثيرًا.

الأستاذ: لا عليك.. قم بانتقاء أجمل مقطع يعجبك في القصيدة.
نادي: قصيدة (اللحن المقهور)..

ليتني كنت صلاة في كهوف الناسكينا
أتلاشى في طريق الله شوقًا وحنينا

ليتني كنت غناءً تائهاً بين الصحاري
هزني طير غريب فوق ركبان حيارى

ليتني كنت شعاعاً في ليالي الحائرين
أسكب السلوان للدمع واغتال الأنينا
ليتني كنت سكوناً خاشعاً بين الجبال
تتلاقى في آيات وجودي بالزوال
ليتني كنت غداً لا تعلم الأقدار سره
أو نشيداً ضمن شادي الغيب أن يعزف نبره
ليتني كنت على لج البحار الخضر زورق
كيفما شاءت بي الريح على الأمواج تخفق
ليتني كنت حفيف الغاب في آذان بيد
يسمع الليل صباباتي ويصغى لنشيدي
ليتني كنت صغير الحب من ناي الرعاة
تشرب الكثبان والقطعان خمراً من لهاتي
ليتني كنت عصا في كف أعمى لا يراها
هي تهديه ولكن من إلى النور هداها
ليتني كنت غراماً بين جنبي عاشقين
سمعا إنشاد نيراني فظلاً خاشعين
ليتني كنت رياحاً تهتف الآباء منها
أنا أهواها.. ولكن رغم أنفي لم أكنها

لم يستطع أستاذ اللغة العربية إلا أن يذهب إلى (نادي) ويشد على يده قائلاً: "هذا بديع.. شيء رائع.. أن تحفظ قصيدة طويلة مثل هذه وأن تلقيها بهذا الإلقاء البديع بلغة عربية سليمة!!"
ثم صفق الأستاذ لـ (نادي) وطلب من جميع الطلاب التصفيق له، وهنا دق الجرس معلناً انتهاء زمن الحصة الأولى..

مرت الفترة الأولى من اليوم وجاء وقت الراحة كي يتناول الطلاب ما أحضروه من طعام.. ويتجمع المدرسون في حجرة المدرسين.. ظل أستاذ اللغة العربية يتحدث عن (نادي) وسط زملائه المدرسين غير مصدق أن هذا التلميذ لم يبلغ العاشرة، وأنه قادم من قرية بسيطة لم يسمع عنها الكثيرون..

وكانت هذه هي البداية، حيث وضع (نادي) قدميه بين الطلاب المميزين بالفعل والمستحقين لكل تقدير واحترام.

أنهى (نادر) أحد اجتماعاته.. وأخذ طريقه عائداً إلى البيت لتناول طعام الغداء وتبديل ملابسه ثم الخروج مرة أخرى للقاء بعض العملاء الأجانب للحديث حول صفقة ومشروع جديد في عشاء عمل، ومن المفترض في مثل هذه الاجتماعات أن يصطحب كل رجل زوجته، لكن (نادر) اتخذ قراراً بعدم اصطحاب (ناهد) زوجته مرة أخرى بعد المرة الأولى التي صاحبته فيها في عشاء عمل مع بعض العملاء المميزين، إذ كانت تجلس على مائدة الطعام ولا تعرف نصف أصناف الطعام ولا

تدري ما هي الأدوات المناسبة لاستعمالها لكل أكلة، إذ كان موضوعاً أمامها وأمام كل الضيوف ثلاثة أحجام من الأطباق الفارغة، وتم وضع كأسين فارغين مختلفا الحجم وثلاث (شوك) وأربع ملاعق وثلاثة سكاكين.. فكانت تستعمل السكين المخصص للزبد في تقطيع اللحم، وملعقة الحساء تأكل بها (السلطة) ثم قامت بسؤال سيدة بجوارها وهي زوجة لأحد رجال الأعمال من أصدقاء (نادر) عن طبق صغير به كرات صغيرة للغاية سوداء اللون وطبق آخر بالحجم نفسه به أيضاً كرات صغيرة للغاية برتقالية اللون، قائلة: ”ما هذه الأطباق؟.. وهل طعمها شهى؟“

نظرت إليها السيدة بعد أن أطلقت ضحكة صغيرة تنم عن التعجب والسخرية ثم قالت: ”فعلاً يا (ناهد) هانم.. لا تعرفين ما هذا!! إنه الكافيار.“

ناهد: ”نعم سمعت عنه كثيراً.. لكن لم أتذوقه من قبل.“

ثم أمسكت بالملعقة المخصصة لتناول الحساء وأخذت من الكافيار الأسود وأكلت منه كمية كبيرة، فإذا بها تبصقها على الفور أمام الجميع، إذ أنها لم تطق أن تأكلها ولا تقبل طعمها.. قائلة: ”إف.. إف.. طعمها مثل السمك النيئ.. الغير مطهي.“

ومنذ هذا اليوم قرر (نادر) عدم اصطحاب (ناهد) لمثل هذه اللقاءات مرة أخرى، ويظل السؤال المضاد يطارده، لماذا تزوجت هذه المرأة الغريبة على تربيتي ووسطي؟.. آه لمجرد أنني رأيتها تتحدث الإسبانية أثناء اجتماع مع أصحاب مصانع الجلود الإسبانية، كانت موجودة

بصفتها مترجمة ومقدمة الحفل للضيوف القادمين من إسبانيا.. بهرني جمالها الطبيعي دون تكلف وإتقانها للإسبانية، خدعت.. نعم خدعت.. ظننتها فتاة راقية أو على الأقل يمكن أن تصبح راقية، لكن هي الصدمة.. ليس هناك فائدة!

هكذا كان (نادر) يتذكر ويحادث نفسه، وهو جالس في المقعد الخلفي، أثناء عودته للفيلا، وما إن دخل حتى وجد (ناهد) أمامه، ووقتها فقط تذكر ما حدث مع (عواطف) وهذا الصبي!

وهنا بدأت مناقشات تحولت إلى عراك كبير.. كيف لـ (ناهد) أن توافق على إهانة ابنتها (دنيا) بهذا الشكل؟! أن تستبدلي المدرسين القادمين من المدرسة الدولية أصحاب الجنسيات البريطانية بهذا الصبي المتسول، ليقوم بتدريسها.. فلا سنه ولا شكله ولا مستواه.. يسمح بأن يتحدث ولو بكلمة واحدة مع (دنيا)!!

حاولت (ناهد) الدفاع عن نفسها بأي طريقة، ولكن كالعادة.. (نادر) هو المتحدث.. و(ناهد) يجب أن تحترمه وتسمع، وعندما يحين دورها للحديث لعرض رأيها، يقاطعها على الفور ويكمل الكلام ثم يختتم حديثه بأنه لا يريد أن يسمع صوتها..

وأثناء تلك المشاجرة والصوت العالي، حضرت (دنيا) بعد أن هبطت من حافلة المدرسة وهي تسمع صوت الشجار من على البوابة الخارجية للفيلا، نظرت إلى كليهما وألقت بحقيبتها على الأرض ثم وضعت يديها على أذنيها لتسددهما عن سماع هذا النقاش أو الشجار، وبدأت في البكاء، شعرت أن رجليها لا تستطيعان حملها، جلست على

الأرض مستندة بظهرها للحائط، لم يشعر بوجودها أحد... لا الأب (نادر) ولا الأم (ناهد).

انتهى أول يوم دراسي في مدرسة اللغات التي تجمع (أيمن) و(مشيرة) ولدي (أ. صفوت) و(صافيناز)..

كان (أيمن) في أعلى درجات سعادته بعد أن استطاع تكوين مجموعة من الصداقات (الشلة) فكان هذا هو شغله الشاغل أن يتعرف على أولاد أقوياء وظرفاء لتكون ثلثة..

أما (مشيرة) فكانت أهم اهتماماتها أن يكون مدرس أو مدرسة مادة العلوم على مستوى عالٍ من القدرة على الشرح وتوصيل المعلومة.. فقد كانت دومًا تتمنى أن تتقن المواد العلمية حيث تتمنى أن تصبح طبيبة وتحديداً في تخصص المخ والأعصاب كي تستطيع المساهمة في علاج أخيها المقعد (شادي)..

زادت آلام وأوجاع (علي الساکت) آلام الظهر إلى المفاصل والركبة وأوجاع بالكتف والرقبة من كثرة حمل الأثقال وتفريغ عربات النقل المحملة بالقصب والعكس، أي تحميل عربات النقل ببواقي القصب الذي تم عصره وبواقي قمامة محل العصير، فكر كثيرًا أن يترك العمل، لكنه يتراجع في اللحظة الأخيرة، حيث ليس لديه أي مصدر آخر للرزق وهو يعلم أن أسرته تحتاج من النفقات الكثير..

وفي طريق عودته من محل العصير ليلاً، توجه إلى المقهى الذي يجلس عليه ويتواجد به (جيوشي) دائماً.. دخل إلى المقهى يتلفت حوله بحثاً عن (جيوشي).. فلم يجده، قام بسؤال (القهو جي)..
 علي: "هل تعلم أين يوجد (جيوشي).. الرئيس جيوشي؟
 نظر إليه (القهو جي) للحظات كأنه يحاول التذكر.. من هو (جيوشي)!"

ثم استفاق قائلاً: آه، تقصد عم غلاب.. احنا هنا بنسميه (عم غلاب).
 ابتسم (علي) ابتسامة مقتضبة من كثرة التعب.. قائلاً: لا أفهم، أنا لا أريد (عم غلاب) هذا.. أريد المعلم (جيوشي).. الرئيس جيوشي.. هو يجلس على هذا المقهى كل ليلة.

القهو جي: نعم يا بلدنا.. هو نفس الشخص.. احنا سميناه (غلاب) من كثرة سماعه وحبه لأغنية الست "هو صحيح الهوا غلاب" ممكن تستناه، هيجي في أي لحظة.

وبالفعل مع آخر كلمة نطقها (القهو جي).. وصل (جيوشي) واحتضن (علي) ثم طلب من (القهو جي) (٢ شاي ثقيل مع الشيشة)..
 دبت الراحة في جوف (علي) بعد أن التقى بـ (جيوشي) حيث أنه يريد الحديث مع أي أحد ويفضفض.. خصوصاً صديق قديم من البلد..
 وبالفعل بدأ (علي) في الحديث عن متاعبه وأوجاعه وآلامه وأنه لم يعد يحتمل هذا العمل، ولا بد أن يبحث عن عمل آخر ويعلم أن العائق الأهم أمامه هو كبر سنه، فلن يحصل على وظيفة بسهولة أبداً..

أزال كلامه مع (جيوشي) الكثير من التعب الذي ملأ صدره، وأكثر ما أفرحه هو أن (جيوشي) قال: "لا تقلق، سأبحث لك عن عملٍ آخر يكون مناسباً أكثر.. اطمئن، لن أهدأ حتى أجد لك طلبك."

نزل كلام (جيوشي) على قلبه بالراحة وأعطاه من القوة والصبر والتحمل، الكثير، وخصوصاً أنه يعلم مدى صدق (جيوشي) وأنه إنسان مستقيم لا يعرف الكذب والوعود الكاذبة أو الطرق الملتوية.

غادر (صفوت) مبنى المحكمة بعد أن استمع لأهم نطق بالحكم ينتظره كالتلميذ الذي ينتظر نتيجة امتحانه، والتي ستحدد مستقبله واتجاهاته في الحياة..

كذلك (صفوت).. مغادراً مبنى المحكمة فرحاً مبتسماً وكأنه ملك الدنيا أو فتحت أمامه أبواب المجد والنجاح.. توجه على الفور إلى مكتب (نادر بك) في مجموعة (N.F) أخبرته السكرتيرة أنه مشغول ومن الممكن انتظاره حتى يفرغ من المكالمات الهاتفية التي يجريها، مرت الدقائق ثقيلة على قلب (صفوت) لم يطق الانتظار فسار تجاه الباب وفتحه بينما تلاحقه السكرتيرة لتخبره أن هذا لا يصح أن يصدر عنه..

راه (نادر) فأشار له بالجلوس بعد أن أشار للسكرتيرة أن تخرج وتغلق الباب، أنهى (نادر) مكالمته، واستدار ناحية (صفوت) الذي بادره بقوله: "مبارك يا باشا.. كل ما ذكرته من ثغرات ومواد في الإجراءات كانت هي الأسس التي بنيت عليها مرافعة (أ. شكري)".

لمعت عينا (نادر) حيث معنى أنه ربح القضية أنه استرد قطعة الأرض التي كان عليها النزاع.. وثمان هذه الأرض يقدر بالملايين.. صفوت: "الآن تستطيع عمل توكيل قضائي يسمح لي بمباشرة قضايا المجموعة."

نادر: "أكيد.. ليس هذا فحسب، مكتبك جاهز وأيضاً سأكتب لك شيكاً بمبلغ من المال."

جلست (ناهد) مع (باولو) في أحد المقاهي الفاخرة، جلسة طويلة ولم تستطع أن تغالب دموعها وشعرت أنها بحاجة للحديث، فزوجها يمنحها تقريباً من الكلام أو الرد والدفاع عن نفسها، فلم تجد أمامها إلا الصديق الوحيد الآن.. باولو.. والذي تكرر التقاؤه بـ (ناهد) بشكلٍ لافت للانتباه..

وبدأت (ناهد) تحكي وتقول كل ما هو مكبوت ومحشور داخلها وبين ضلوعها إلى أن انتهت وبدأت تشعر بالارتياح.. حيث أحياناً الفضفضة تؤدي إلى التخلص من سموم الكلام، كما يتخلص السم من سمومه أحياناً..

حاول (باولو) امتصاص غضبها بطريقةٍ واحدة، ألا وهي أن يتركها تتحدث وتتحدث دون أن يقاطعها لكن مع إبداء التركيز والاهتمام لكل كلمة تقولها، إلى أن فرغت من نفسها وشعرت بالارتياح وحل محل دموعها الابتسام الخفيف، وهنا بدأ (باولو) الحديث وإرسال الطمأنينة

إلى قلبها وأنها ليست وحدها وأنه إلى جوارها إلى مالا نهاية، وعليها
سيان ذلك والتفكير في اللقاء الرائع الذي يجمعهما سوياً..

ثم سألتها عما تريد أن تأكل أو تشرب.. وأشار إلى النادل الذي حضر
على الفور بمظهر نظيف مهندم وتحدث بأسلوب مهذب للغاية، ثم بدأ
بتقديم نفسه إليهما:

النادل: "أنا اسمي (أحمد قابيل) وأنا الآن في خدمتكما كي تقضيا
وقتاً طيباً."

ثم ناولهما قائمة الطعام والمشروبات..

نظر إليه (باولو) وهو يشكره.. فلمح قطعة معدنية مثبتة على سترته
مكتوب عليها اسمه بالإنجليزية (أحمد قابيل)..

سأل (ناهد) بعد انصراف النادل: "هل لاحظت اسم هذا النادل؟"

أجابت (ناهد): "لا.. لم أنتبه في الحقيقة أو ربما سمعته لكن لا
أتذكر.. آه.. اسمه قابيل.. أو أحمد.. لا أتذكر."

أجاب (باولو): "أحمد قابيل."

ناهد: وما هو الغريب أو المثير في اسم النادل؟.. لماذا توقفت عند
اسمه هكذا؟ ماذا تريد أن تقول؟"

باولو: لا.. فقط إنني أتعجب!

ناهد: مما تتعجب؟ أنا لا أرى أي شيء غير عادي.

باولو: اسم (أحمد) منتشر في بلادكم للغاية وكذلك اسم (محمد)

لكن سبب تعجبي هو اسم (قابيل)!

ناهد: وما العجب في قابيل؟

باولو: أليس (قابيل) هو أحد أبناء (آدم) أبو البشرية؟

ناهد: نعم!!

باولو: العجيب أنكم تستخدمون اسم (قابيل) وليس (هابيل) مع أن (قابيل) هو القاتل.. المجرم.. الذي تجرأ وارتكب أول جريمة قتل في البشرية.. القاتل الأول، الشرير الأول.. والضحية.. هو (هابيل) الطيب.. الخير.. لكنكم بدلاً من أن تلعنوا وتصبوا جام غضبكم على القاتل.. تخلدون اسمه، وتطلقونه على أولادكم، ولم يصادفني شخص واحد في بلادكم يدعي (هابيل).. أليس هذا بحق السماء شيء يدعو إلى الغضب والاستغراب وعدم الفهم؟! هل لديك يا (ناهد) أي تفسير لهذه الظاهرة.. الظاهرة القابيلية؟

ناهد: "أضحكتني.. إنها ضحكة السخرية.. أو ربما ضحكة الجهل.. وفي الواقع ليس لدي أي إجابة أو تفسير.. لكن معك كل الحق والغريب في الأمر أنني لم أسمع أو أقرأ أو أتقابل مع شخص يلقي علي بهذه الملاحظة، فعلاً كما يسمي البعض (قابيل) على اسم القاتل المجرم الشرير.. وأضف إلى معلوماتك أنه أيضاً أول إنسان يدفن أخاه الإنسان، وليته كان يفتن إلى طريقة الدفن بل وقف عاجزاً إلى أن أتى غراب قاتل مثله ليدفن غراباً آخر ضحية.. لذلك قام القاتل الغراب بتعليم القاتل الإنسان كي يخلص من جريمته، فتشارك الاثنان (الغراب وقابيل الإنسان) في أول جريمة.. أول مجرم.. أول شرير.. وأول (حانوتي).."

يا للعجب!

أنت مذهل يا (باولو).. لديك فلسفة خاصة بك وأفكار وملاحظات تخصك وحدك، أنا سعيدة أنني وجدتك..

دخل مدرس الرياضيات إلى الفصل، وبدأ في عمل اختبار شفوي مفاجئ، وذلك بأن بدأ بسؤال التلاميذ عن جدول الضرب ولقد كان يسأل بسرعة والتلميذ يجب بسرعة كبيرة.. والذي يستغرق أكثر من ثلاث ثوانٍ للتفكير في الإجابة.. يخرج من هذا السباق.. بالطبع من كان حافظاً لجدول الضرب عن ظهر قلب.. فرح بهذه المسابقة، ومن أهمل في حفظه أو لم يراجع ويؤكد على حفظه منذ فترة، شعر بالقلق والخوف..

وبدأت الأسئلة؛ يشير الأستاذ إلى التلميذ بشكل عشوائي ثم يوجه له سؤالاً.. مثلاً حاصل ضرب 8×7 ؟ وعلى الطالب أن يجيب في أقل من ثلاث ثوانٍ..

خرج كثير من التلاميذ من المسابقة حيث تبقى القليل منهم الذين استطاعوا الإجابة بشكل سريع للغاية.. إلى أن تبقى خمسة تلاميذ، وكان (نادي) واحداً من هؤلاء الخمسة.. بعدها غير الأستاذ قوانين المسابقة حيث قال: سيتغير زمن الإجابة من ثلاث ثوانٍ إلى ثانية واحدة بمعنى أنك تسمع السؤال وتجب على الفور دون تفكير مثلاً كأن يسألك أحدهم عن اسمك، بالطبع لن تفكر وستذكر اسمك على الفور، هكذا الإجابة التي أريدها.. يجب أن تكون فورية.

نظر التلاميذ الخمسة إلى بعضهم البعض..

بدأت الأسئلة تدور عليهم بشكلٍ سريعٍ للغاية.. كانت مسابقة صعبة على باقي التلاميذ الذين خرجوا من المسابقة.. ولكنها في المقابل كانت مرعبة لهؤلاء الخمسة..

خرج اثنان.. حيث احتاجا للتفكير لبعض الوقت قبل الإجابة.. حتى لو كانت الإجابة صحيحة، وتبقى (نادي) واثنان آخران..

دارت الأسئلة مجدداً، خرج واحد ثم خرج الثاني، وكان الفائز هو التلميذ (نادي علي أبو زيد)

صفق الجميع له وكتب الأستاذ على السبورة بخطٍّ عريضٍ..

(الفائز هو: نادي)

وبعدها قدم الأستاذ إلى (نادي) الفائز علبة من الشوكولا كان قد أحضرها بعد أن اشتراها من ماله الخاص لتقدمها إلى الفائز، وبينما التصفية مستمرة، كانت وكالة المدرسة تمر على الفصول للاطمئنان على العملية التعليمية.. فسمعت أصواتاً عالية تصدر من فصل المتفوقين بالصف السادس، توجهت إلى الفصل وفتحت الباب فسكت الجميع، سألت أستاذ الرياضيات عما يحدث ولم هذه الضوضاء، فشرح لها الأستاذ ما قام به.. فرحت لـ (نادي) وصفقت له ثم أعلنت أنه في الغد في طابور الصباح ستعلن اسمه وربما يكرمه مدير المدرسة..

ثم سألت (نادي): بما أنك يا (نادي) هكذا متفوق في الرياضيات.. هل تعلم أنني كنت مدرسة أولى للرياضيات قبل أن أصبح وكالة المدرسة؟

هز (نادي) رأسه بالنفي.. لم يكن يعلم..

(أبلة رتيبة): إذا تعال أسألك في الرياضيات.. هل تعرف طريقة أخرى غير جدول الضرب تستطيع أن تصل بها إلى نتيجة ضرب رقم في آخر؟

نادي: بالطبع من الممكن أن نجمع الرقم الأول في العدد الثاني لنصل إلى حاصل هذا الجمع كي تكون إجابة ضرب الرقمين.

أبلة رتيبة: لا.. الجميع يعرف هذه الطريقة.. فهذا شيء معتاد، هل تعرف طريقة أخرى غير شائعة ومعروفة للجميع؟

نادي: نعم.. أعرف عدة طرق وقيمت بتجربتها أكثر من مرة وأثبتت صحتها.

أبلة رتيبة: أعطني مثلاً؟

نادي: مثلاً.. حاصل ضرب أي رقم $9 \times$

يساوي طرح ١ من الرقم المضروب في ٩

والناتج نظرحه من رقم ٩ نضعه على يمين هذا الرقم

فستكون الإجابة أمامنا..

أبلة رتيبة: لم أفهمك.

ثم نظرت إلى أستاذ الرياضيات قائلة: أفهمت ما قال؟

ونظرت إلى باقي التلاميذ قائلة: أفهم أحدكم؟.. أعطني مثلاً على

ذلك يا (نادي).. تعال إلى السبورة.. امسك بالطباشير واكتب لنا مثلاً

واشرحه.

توجه (نادي) وأمسك بالطباشير ثم كتب..

$$\text{مثلاً } 6 \times 9$$

$$6 - 1 = 5$$

$$9 - 5 = 4$$

$$\text{النتيجة} = 45$$

صفتك الجميع لنادي مرة أخرى وصفقت معهم (أبلة رتيبة) وأستاذ الرياضيات..

عاد (نادي) إلى بيته فرحاً وفي قمة السعادة حاملاً علبة الشوكولا إلى أن دخل على أمه (وداد) احتضنها وأعطها علبة الحلوى..

وبعد سؤاله: من أين لك بها؟ إنها تبدو باهظة الثمن!

حكى لها ما حدث في الفصل.. فرحت به أشد الفرح وقبلته، فتحت علبة الحلوى وأعطته منها الكثير..

طلبت (دولت) من أمها الخروج من المنزل حيث بدأت تتعافى وتحسن بعد مرور فترة على العملية وأنها تستطيع المشي والخروج وحدها.. حيث تشعر بملل زائد عن الحد، إنها ستذهب لزيارة (سهام) التي تسكن آخر الشارع.. أي بعد دقائق فقط من السير على الأقدام.

وافقت الأم مرحبة حيث أن المشي مفيد لها..

وما أن دخلت (دولت) على (سهام).. حتى انتفضت (سهام) قائلة:

أيها المجنونة!! لم غادرت سريرك؟ المفترض أن هذه عملية كبيرة وتحتاج لوقتٍ طويل للنقاهة.

دولت: نعم.. لقد مر وقت كافٍ.. وطبيعي أن أحاول المشي ولو ببطء.. واطمئني أكنت أسير ببطءٍ شديد.. أي كل من شاهدني سيدرك أنني لست في حالتي البدنية الطبيعية.

سهام: ولكن ما الذي جعلك تخرجين وتأتين إلى هنا؟ هل حدث أي جديد؟

دولت: نعم.. حدث ولكن في عقلي.. عقلي وأفكاري أنا وحدي.
سهام: "ماذا؟.. أجننت من جديد؟"

دولت: يمكن!! بعد أن نجحت خطة التخلص من الزواج بسرعة وسهولة.. أرى أن الخطوة القادمة يجب أن تكون بالوصال.

سهام: أي وصال؟

دولت: وصالي بحبيبي (جيوشي).

سهام: ماذا!!؟

دولت: "نعم.. أنا لم ولن أستطيع فراقه أكثر من ذلك.. ماذا ننتظر؟ أرى أن الخطوة القادمة.. هي سفري إلى (جيوشي) والزواج منه في الإسكندرية."

سهام: "لقد قمت بمساعدتك من قبل، استخدمت نفوذي وعملي وساعدتك بكل قوة.. ماذا أستطيع أن أقدم لك هذه المرة؟"

دولت: لا شيء.. أنا فقط أشاركك الرأي.. أطلعك على ما أنتوي فعله.. أنت ابنة عمي وصديقتي الوحيدة هنا.. وأقرب لي من أمي وأخي العنيف هذا وأبي المسكين طريح الفراش.

سهام: ومتى ستقومين بالتنفيذ؟

دولت: "في الأيام القليلة القادمة.. أنا فقط أطلب منك خدمة.. وخدمة أخيرة."

سهام: أي خدمة؟ ماذا تريدين؟!!

دولت: "خذي بعض قطع الذهب هذه."

وأخرجت كيسًا صغيرًا من صدرها ثم فتحته.. كان به بعض المشغولات الذهبية، ثم أكملت: "قومي ببيعها.. وأحضري النقود في المساء.. سأحتاج نقودًا كثيرة الفترة القادمة.. السفر إلى الإسكندرية مكلف.. ولا أعلم ظروفني، هل سأجد (جيوشي) في اليوم الأول أو ربما أحتاج للمبيت في فندق ليلية أو أكثر."

سهام: "وهل ستنامين في فندق وحدك؟"

دولت: "نعم.. ولم لا؟.. أنا لم أعد صغيرة.. ولا تقلقي.. أنا فكرت كثيرًا وسأتدبر الأمر.. كل ما أطلبه منك، الدعاء فقط."

سهام: وفقك الله يا ابنة العم.. وحقق لك أمنياتك.. أكيد أنت مجنونة.. وبالرغم من ذلك أنا معجبة بطريقة تفكيرك وكنت أتمنى أن أفعل مثلك.. الأيام تسرق عمري.. وأنا لا أفعل شيئًا في حياتي إلا العمل في المستشفى.. وليس لي أسرة أو أولاد.. سأدعوك كثيرًا يا (دولت)."

تاجر (المواشي) يقوم بفحص كل بقرة وكل جاموسة وكل عجل صغير.. بدأ (فتحي) في إعلان ضيقه وتدمره..

فتحي: "لا يعقل هذا يا (حاج هريدي).. أربع ساعات وأنت تفحص الماشية واحدة واحدة.. كفى هذا.. هل تراني أغشك وأقوم ببيع ماشية مريضة أو بها أي عيوب؟"

هريدي: "لم أقصد هذا.. لكني أخشى على نقودي."

فتحي: معك حق.. لكن بهذه الطريقة.. سنجلس هنا ثلاثة أيام قبل أن تنتهي.. ولقد عرضت عليك مساعدة رجالي.. فرفضت."
هريدي: "لقد قاربت على الانتهاء، وسأعطيك نقودك، فليبارك لك الله."

فتحي: "حسنًا.. فليوفقنا الله."

شرد (فتحي) بعقله بعيدًا عما يفعله (الحاج هريدي) من فحص للماشية ببطءٍ وبعناية، فالصنعة التي على وجهه.. لم تزل آثارها حتى الآن.. ما فعلته أخته (دولت).. لن يمر.. اليوم تتم البيعة.. وفي الغد حديث آخر..

مرت (ناهد) على مدرسة (دنيا) حيث دائماً ما تمر بسيارتها من أمامها، توقفت ودخلت إلى المدرسة ثم إلى حجرة المديرية..

لم تكن المديرية سعيدة وهي تتحدث عن مستوى (دنيا) التعليمي المتواضع.. وأن البيت لا يقوم بأي دورٍ لمساعدة المدرسة في النهوض بمستوى (دنيا) فهي بالكاد تجيب عن أي سؤال.. وفي الغالب تكون الإجابة خطأ، كذلك هي منطوية بشكلٍ زائد عن الحد.. ليس لها أصدقاء في المدرسة تقريباً، ومؤخرًا بدأت تظهر عليها علامات عنف.. صارت

عيفة مع التلاميذ والتلميذات، تصرخ في وجوههم كثيراً، وبالأمس قامت بضرب إحدى التلميذات وأسقطتها على الأرض..

وأنا كنت بصدد الاتصال بك.. لمناقشة هذا الوضع الخطير! وحمدًا لله أنك حضرت.. ماذا يحدث لـ (دنيا)؟ واضح أنه من تأثيرات وعوامل خارج المدرسة.. ربما من البيت أو من أي مكانٍ آخر.. أنا لا أدري.. لكن واجبي أن أحذرك وبشكلٍ مباشر لا يعرف المجاملات.. ابنتك (دنيا) يا (مدام ناهد) في خطر.. إنها تتأخر دراسياً وتعليمياً وأيضاً تبدلت أخلاقها واتجهت للانطواء مع بوادر عنف.. للأسف أنا مضطرة أن أحولها إلى الإخصائية النفسية في المدرسة..

خرجت (ناهد) حزينة يائسة.. تشعر بالفشل.. في كل شيء.. فشل في الزواج والسعادة الزوجية الرومانسية التي كانت تحلم بها منذ أن كانت في عمر المراهقة،

والفارس الذي سيأتي إليها على حصان أبيض ويحملها خلفه فوق ظهر الحصان ليطير بها بعيداً إلى مكانٍ مليء بالأشجار وشلالات المياه والفراشات الملونة.. ليس فيه إلا هي وحببها.. يقضون أجمل وأسعد الأوقات في عشقٍ وحبٍّ وغرام، تهيم به عشقاً ويهيم بها حباً، يطعمها في فمها، ويضع أصابعه في خصلات شعرها إلى أن تغفو وتذهب في سباتٍ عميق، تأتيها أجمل الأحلام إلى أن تستيقظ على ابتسامة من وجهه الجميل، فيطبع قبلة حانية على وجهها.. ويقدم لها الزهور مع الإفطار..

استيقظت من أحلام اليقظة التي رحلت بها بعيداً، والآن هي على الأرض جالسة على مقعد القيادة في سيارتها، وإذا بها تنتبه إلى فكرة طرأت على رأسها، سارت إلى بوابة المنزل بعد أن صفت سيارتها أمام الباب وليس في مرأب الفيلا.. دخلت لتنادي (عواطف).. حضرت (عواطف) والانزعاج والقلق يظهران على وجهها الشاحب دائماً..

ناهد: استعدي ستخرجي معي الآن.. في خلال عشر دقائق تكوينين معي أمام البوابة.

دخلت (عواطف) في السيارة مع (ناهد) وإذا بـ (ناهد) تقول لها: "خذييني إلى منزل ذلك الصبي الذي كان قد أتى لمساعدة (دنيا).. ما اسمه؟.. نسيت، ذكريني؟"

عواطف: "اسمه (نادي).. لكن لماذا يا سيدتي؟.. هل فعل شيئاً دون أن أعلم؟.. هل أتى إلى هنا؟.. لماذا تريدان ملاحظته ومعاقبته؟.. ماذا حدث؟.. وأنا لم أفعل شيئاً ولم أشارك في أي فعلٍ مخالف."

قالت (ناهد) وهي في غاية الدهشة والتعجب: "ماذا تقولين أنت؟.. أي عقاب؟.. لماذا ذهبت بعقلك بعيداً هكذا؟ أنا فقط أريد أن يأتي لمساعدة (دنيا) كما رتبنا من قبل وفسد كل الترتيب السابق.. أريد أيضاً أن أعتذر له عما بدر من زوجي (نادر) تجاهه.. (دنيا) تضيع مني يا (عواطف).. أفهمين؟.. أنا قلقة عليها للغاية ولن أنتظر إلى أن تزداد الأمور تعقيداً وتفصلها المدرسة وتطردوها.. لن أتحمل كل هذا، لذلك يجب أن أتصرف وبسرعة وأنا أرى أن الحل الذي قدمته أنت وكلامك

السابق عن هذا الصبي (نادي) حل مؤقت لنحاول إنقاذ الموقف إلى أن نرى ماذا يمكننا أن نفعله!“

وبينما أنهت (ناهد) حديثها، كانا قد وصلا إلى بيت (نادي) في الشارع الضيق بحي خورشيد..

صعدت (عواطف) وبعد غياب برهة من الوقت عادت ومعها (نادي).. هبطت (ناهد) من السيارة وألقت التحية على (نادي) واعتذرت له عما بدر من زوجها.. ووعدته ألا يتكرر هذا الأمر مرة أخرى، ثم طلبت منه أن يأتي معها لمساعدة (دينا).. وافق (نادي) قائلاً: أنا استأذنت أمي وهي وافقت لكن عليّ ألا أتأخر.. يجب أن أنام مبكراً.. عندي مدرسة صباحاً.

دخل إلى السيارة بصحبة (ناهد) و(عواطف) التي كان بصرها مثبتاً على (الخرابة) والذكريات تلاحقها.. فلم تسمع من حديث (ناهد) — (نادي) أي شيء، كل ما كان في عقلها وقلبها، ضحكات ابنتها (ميرفت) وصوت زوجها يطلب منها كوب الشاي بالنعناع المفضل لديه وقت العصر بعد الغداء ليشربه في الشرفة ويدخن معه سيجارة..

آه.. ليت الأيام والسنين تعود إلى الوراء والبيت يسقط وأنا في الداخل معهم!

وصل (أ. صفوت) إلى المكتب سعيداً ولا يستحوذ على تفكيره أي شيء سوى الانتصار الذي حققه، ثم جلس في مكتبه وطلب من (ميادة) أن ترسل أحداً إلى أقرب محل للحلويات لشراء كعكة شوكولا.. فهو يريد أن يحتفل معهم في المكتب ثم جلس على كرسيه وأخرج الشيك

الذي حصل عليه من (نادر) من جيبه وابتسم.. ثم نظر لأعلى وكأنه راح في تفكير عميق.. دخلت (ميادة) حاملة فنجان القهوة، ورأت تلك الفرحة في عينيه..

ميادة: أراك مختلفاً اليوم.. تبدو عليك السعادة والسرور.. يارب دائماً.

صفوت: نعم أنا سعيد للغاية.. انتصرت في المحكمة بالأمس في الصباح، وفي المساء وضعت قدمي على أول سلالم الاستقرار والمجد والنجاح.

ميادة: كم أن هذا مفرح للغاية!.. وأشكرك أنك شاركتني فرحك وسعادتك، لم أسمع أي خبرٍ حلو منذ زمنٍ بعيد.. أخيراً سمعت منك أخبار نجاحك وانتصارك.. ما أجمل الفرح حين يدخل قلوبنا!

صفوت: هل تحبين سماع الأخبار الجيدة؟.. وتحبين أن تكوني سعيدة دائماً؟.. حسناً إليك هذا الخبر السعيد أيضاً، ولكن دعينا، ننتظر للغد، سأجهز لك مفاجأة سارة في الغد.

مر (جيوشي) على محل عصير القصب وأشار إلى (علي الساكت) أن ينتظره إلى أن يفرغ من عمله، ليصحبه في طريق عودته للبيت، وفي الطريق بدأ (جيوشي) الحديث..

جيوشي: هل تعلم لماذا جئت إلى عملك؟

علي: لا أعلم.. لكن أنا دائماً أستبشر بك خيراً يا (جيوشي) يا أخي.

جيوشي: فعلاً، إنه خير.. أنت إنسان طيب وربنا يحبك.. لذا لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً.

علي: أي أمر؟

جيوشي: هل تذكر يوم أتيت إلى المقهى لتحدثني أنك تشعر بعدم استطاعتك إتمام العمل الشاق في محل العصير؟ بعدها بدأت أسأل أهل الخير.. ووجدت لك فرصة عمل رائعة.. هي ليست بالوظيفة المشرفة.. لكنه عمل حلال.. مكسبه جيد جداً، وفي الوقت نفسه أنت رب العمل، أي تعمل لدى نفسك، ليس هناك صاحب عمل يتحكم بك.

علي: أسلت لعابي وشوقتني يا أخي.. ما أسمعك منك شيء رائع، فأنا لا أبحث عن الوظيفة المرموقة.. أعرف أن هذا مستحيل لكن فكرة المكسب الجيد والعمل دون صاحب عمل، شيء أكثر من رائع.. أخبرني أنا لا أستطيع الانتظار.. ما هذه الوظيفة ومتى أستطيع أن أبدأ؟ وما هي متطلباتها؟

قال (جيوشي) ضاحكاً: تمهل يا علي.. ستعلم كل شيء الآن.. اسمع يا سيدي.. يوجد رجل يجلس على المقهى أحياناً قليلة وأنا لا أعرف عنه الكثير، لكن علمت أن يريد بيع عربية (حمص الشام) التي يعمل عليها.. هو صاحب العربية ولها مكان محدد ومعروف في منطقة استانلي وتحديدًا على كوبري استانلي.. موقع رائع.. والبيع هناك جيد جداً.. الزبائن كثيرة للغاية في الصيف وأيضًا في الشتاء، فما رأيك؟

علي: عربية (حمص الشام).. هذا أمر جيد.. لكن أنا ليست لدي أي خبرة بعمل (حمص الشام) ولا كيفية بيعه.. كيف لي بمعرفة تفاصيل وأسرار تلك المهنة؟

جيوشي: معك حق.. أنا فكرت في كل ذلك وناقشته في الأمر.. أخبرني أنه على استعداد لتدريبك لمدة أسبوع.. أي تكون معه لمدة أسبوعٍ كامل.. تعرف تفاصيل كل شيء.. من أين يأتي بالحمص وكيف يطهو الحمص والانتقال إلى مكان العربية على كوبري استانلي! وكل التفاصيل وأيضًا التعامل مع الدوائر الحكومية.. أي رخصة مزاوله هذه المهنة والشهادة الطبية الخاصة به.. وكل التفاصيل.

علي: أنت فعلاً أكثر من أخ يا (جيوشي).

جيوشي: لا تقل هذا.. أنت لم ترني حين أتيت إلى الإسكندرية أول مرة.. قدم الكثيرون من الناس الذين لا يعرفونني المساعدات إلى أن وقفت على قدمي.. وأنا أفعل مثلهم.. وأنت في وقتٍ لاحق ستفعل هذا وتساعد من يريد المساعدة.. وهكذا الدائرة تدور علينا جميعاً.

علي: "حسنًا، متى نبدأ؟.. فسأخبر صاحب محل العصير أن الغد هو آخر يوم لي في العمل."

جيوشي: لا.. لا تفعل ذلك.. تمهل قليلاً.. هناك أمر هام يجب تدبيره أولاً وقبل البدء في أي شيء.

علي: وما هو؟

جيوشي: علمت أن الباعة الواقفين في الشارع مثل بائع الذرة المشوية أو بائع الآيس كريم.. أو بائع التين الشوكي.. وحمص الشام

وخلافه.. كل بائع له مكان محدد مخصص له.. وله فرع سلك كهرباء من العمود المجاور.. وهذا المكان يخصه كأنه يمتلكه، وكى تحصل على هذا المكان، عليك أن تدفع مقدماً لصاحبه، فالمطلوب أن تسدد ثمن المكان على كوبري ستانلي وتسدد أيضاً ثمن العربة الخشبية والأدوات المستعملة لبيع الحمص في الأكواب.

استأذنت (مشيرة) في الدخول على مكتب الأخصائية النفسية في المدرسة..

مشيرة: هل يمكن أن أستفسر عن أمرٍ ما؟

الأخصائية: بالتأكيد.. عرفيني بنفسك أولاً؟

مشيرة: أنا (مشيرة صفوت) بالصف السادس.

الأخصائية: تفضلي يا (مشيرة).. أنا معك لأسمعك، ما هي مشكلتك؟

مشيرة: لا.. إنها ليست مشكلتي.. إنها مشكلة تخص أخي الأكبر.. هو يعاني من ضمور في العضلات.. عنده مشكلة في المخ.. فهو يجلس على كرسي متحرك منذ أن ولدت وأنا أراه هكذا.. لا يتحرك ولا يتحدث ويحتاج للخدمة والرعاية في كل شيء تقريباً، والأطباء الذين تابعوا حالته، قالوا بأنه سيظل هكذا طيلة حياته.. فهو يتصرف كالأطفال الصغار.. وأنا أحاول جاهدة مساعدته لكن لا أعرف الوسيلة الصحيحة لذلك.

الأخصائية: هذا أمر محزن ومؤثر للغاية يا (مشيرة) أن يولد إنسان دون أي ذنب.. ليجد نفسه معاقاً عن الحركة والكلام.. وهذا ليس عدلاً، لكن الله أكيد له حكمة في ذلك.. أنا لست طبيبة متخصصة في تلك الأنواع من المشكلات.. وأنتم بالتأكيد عرضتموه على أكثر من طبيبٍ متخصص.

مشيرة: نعم.. منذ ميلاده وهو يتعاطى الأدوية والحقن لكن الحالة متوقفة عن أي تقدم.

الأخصائية: لذا هنا يأتي دور التأهيل النفسي بجانب التأهيل البدني، هو يحتاج إلى تقوية لعضلات جسمه.. حيث جلوسه على الكرسي المتحرك يتسبب في مشكلات كثيرة هي أن العضلات لا تعمل منذ سنوات وهذا يؤدي إلى زيادة عدم القدرة على تحريك أعضاء جسمه.. وبالتالي ندخل في مشكلات أكبر، أرى أنه يحتاج إلى تقوية بدنية لعضلات اليدين والقدمين وعضلات الظهر والكتف والرقبة، وهذا يسير جنباً إلى جنب مع التأهيل النفسي وذلك باستخدام الوسائل الترفيهية وعدم تركه وحده والحديث معه باستمرار، ومن الوسائل الترفيهية.. الخروج سويًا إلى أماكن مفتوحة، والتعود على التواجد وسط الناس والاندماج في المجتمع، والتفاعل مع جميع الأعمار السنية مع الصغار والكبار.. الأولاد والبنات وكذلك الحيوانات.. أعتقد التعامل مع الحيوانات المنزلية الأليفة له وقع ومردود طيب للغاية على حالتهم النفسية كالفقط والكلاب.. وتحديدًا الكلاب.. كذلك إقامة الحفلات من وقتٍ لآخر.. وامتلاء المنزل بالمدعوين، فهذا أمر مهم لهم.

مشيرة: "الحفلات.. أُمي قررت منذ فترة إلغاء الحفلات من البيت لنا جميعاً.. خوفاً أن يراه أحد هكذا.. أقصد على كرسي متحرك.. فأصبحنا لا نقيم حفلات أعياد الميلاد منذ يوم ولادتنا وأنا وأخي الآخر." الأخصائية: أعتقد أن هذا التصرف غير سليم وأيضاً غير عادل لبقية أفراد الأسرة.. الحفلات تخلق نوعاً من البهجة والمرح وتبادل الضحكات والنكات مما يضيفي سعادة على الجميع، يجب أن تقيموا حفلاً لعيد ميلاده ويتقدم بكرسيه المتحرك ليقوم بإطفاء الشموع بنفسه وقبلها يتمنى أمنية لا يعرفها إلا هو وحده، وأيضاً يفضل لو حضر إلى الحفل الساحر أو المهرج ليقدم فقرة لطيفة للأطفال، هذا كله ليس علاجاً بل مساعداً قوياً لاندماجه في المجتمع كي يتقبله المجتمع وهو كذلك يحب الناس والحياة..

بمجرد أن دخلت (مشيرة) إلى المنزل، وضعت حقيبتها المدرسية جانباً وبحثت عن أمها (صافيناز).. كانت جالسة مع إحدى صديقاتها تتبادلان الحديث والضحكات.. دخلت (مشيرة) وألقت السلام ثم طلبت من أمها الحوار في شيء هام للغاية.. استأذنت (صافيناز) من صديقتها وسارت مع (مشيرة) إلى المطبخ..

صافيناز: ماذا، ماذا حدث؟

مشيرة: لقد تحدثت مع الأخصائية النفسية اليوم بخصوص (شادي) وتطور حالته وطرق علاجه أو على الأقل تحسين حالته للأفضل.

صافيناز: هل يستدعي هذا الموضوع تلك الضجة التي أحدثتها منذ دخولك وجعلتني أترك صديقتي؟ هذا أعتقد قلة ذوق! دعينا نتحدث

ونبحث هذا الأمر في وقتٍ آخر.. هذا التوقيت ليس مناسباً الآن..
صديقتي في انتظاري.

قالت (مشيرة) باندهاش: لكن يا أمي، إنه ابنك (شادي).. أيعقل أن
تتجاهلي الحديث عنه من أجل صديقتك؟

صافيناز: أعتقد أن (شادي) يعنيني أمره أكثر منك، وما فعلته الآن
لا يليق أبداً.. ابتعدي عني الآن وستكلم في وقتٍ آخر.. رغم علمي أنه
لا فائدة من كل ما تفكرين به..“

وصلت (ناهد) بسيارتها بصحبة (عواطف) و(نادي) إلى الفيلا..
تردد (نادي) في الدخول.. حيث كان خائفاً.. فلقد تذكر ما حدث لهم
في هذا اليوم المشؤوم.. وبكاءه بجوار الشجرة الضخمة في الحديقة
وكأنه كان يبكي في أحضان أمه.. كانت الشجرة حانية عليه أكثر من
صاحب البيت (نادر بك) رغم أنه قد أتى لمساعدة ابنته.. دون انتظار
مقابل..

شعرت (ناهد) بما يمر به (نادي) فأمسكت بيده ودخلت به إلى
الداخل قائلة: ”لا تخف.. أنا معك.. وأشكر لك صنيعك وأحييك على
شجاعتك وإقدامك..“

ثم صعدت به إلى أعلى.. مروراً بالدرج الذي كان يواجهه به (نادي)
العواصف الصادرة من (نادر بك)..

طرقت (ناهد) باب حجرة (دنيا) واستأذنتها في الدخول بصحبة
ضيف.. قامت (ناهد) بخلق التعارف بينهما ثم تركتهما لتعد لهما
بعض الفطائر والمشروبات، كان يبدو على وجه (دنيا) عدم الارتياح

لرؤية (نادي) والاستغراب والتعجب من سبب وجوده.. ماذا تعني أمي أنه أتى لمساعدتي في دروسي؟ إنه في مثل عمري تقريباً.. فكيف سيساعدني؟.. بالإضافة إلى مظهره الفقير للغاية.. لكن سأسمع ما يقول وأطرده بعدها من حجرتي..

جلس (نادي) على سجادة كبيرة تتوسط حجرة (دنيا)

تعجبت (دنيا) قائلة: "لماذا تجلس على الأرض؟.. توجد هنا مقاعد مريحة أو كرسي المكتب أو يمكنك أن تجلس على حافة السرير.. إنه مريح."

نادي: تعالي اجلسي بجواري سأريك شيئاً لطيفاً.

ثم أخرج من حقيبته المصنوعة من القماش التي كان يحملها فوق كتفه.. علبة صغيرة بها بعض حبوب الفول الجاف.. وبدأ يعد خمس حبات ووضعهم في جانب ثم أربع حبات ووضعهم في جانبٍ آخر.. وبدأ (نادي) يلعب معها لعبة تجميع حبات الفول ووضعهم بجوار بعضهم البعض ثم يسألها: كم جمعنا سوياً؟

فتجيب بشكلٍ صحيحٍ وبسرعة.

ثم تحول بعد ذلك إلى إخفاء بعضهم بيده وسؤاله عما يمكن أن يكون عدد الحبوب التي بيده بعد أن أخذنا من ٩ حبات فول ٦ حبات، كم تبقى بيدي؟

أجابت: ثلاث حبات.

صفق لها (نادي) وأعطاهها قطعة من الشوكولا التي كانت في علبة الشوكولا التي ربحها في مسابقة الرياضيات في اليوم السابق.. فرحت (دنيا) بقطعة الشوكولا رغم أنها من النوع الزهيد، مقارنةً بأنواع الحلوى التي في بيتها..

دخلت عليهما (ناهد) بصحبة (عواطف) التي كانت تحمل صحيفة عليها أكواب من العصير.. وبعض (الساندوتشات) والفتائر.. لم يشعرا (نادي، ودنيا) بوجودهما..

استمرت (دنيا) بصحبة (نادي) وكان يلعب معها لعبة الفول الجاف إلى أن مرت ثلاث ساعات كاملة.. نهض (نادي) من مكانه وألقى التحية على (دنيا) والتي حفظت جدول الضرب عن ظهر قلب بمساعدة (نادي) ولعبة الفول الجاف التي أحببتها كثيراً.. جمع (نادي) حبات الفول داخل العلبة ووضعها في حقيبتها القماشية ثم فتح الباب منادياً (دادا عواطف) التي حضرت بدورها وخلفها (ناهد) وطلب (نادي) الإذن في الانصراف والعودة إلى المنزل..

جلست (ناهد) مع (دنيا) وشاهدت للمرة الأولى ابتها وهي سعيدة تضحك ضحكة تصدر من قلبها الصغير وأخبرتها (دنيا) أنها في البداية كانت عازمة على طرده من حجرتها وإن لزم الأمر ستقوم بضربه وإخراجه بالقوة.. لكنها وجدته صبيًا لطيفًا مهذبًا.. وفعلاً يحاول أن يساعدها ولعب معها لعبة الفول الجاف الذي ساعدها كثيراً على تعلم الجمع والطرح وجدول الضرب جيداً..

في طابور الصباح.. وقف (نادي) ملتزمًا بالطابور وسط زملائه وتحديث مدير المدرسة في (الميكروفون).. وأعلن أن الإدارة التعليمية قد أعلنت عن مسابقة أوائل الطلبة.. وهي تقام على مرحلتين:

المرحلة الأولى: المسابقة على مستوى المحافظة، أي محافظة الإسكندرية، حيث تقام مسابقة بين جميع المدارس إلى أن تفوز إحدى المدارس بالمركز الأول.

المرحلة الثانية: المسابقة على مستوى الجمهورية ستحصل على جائزة المركز الأول، وقدرها عشرون ألف جنيه بالإضافة لمبلغ عشرة آلاف جنيه للطالب الحاصل على أفضل تقييم والتي تقوم لجنة خاصة بتقييم الطلبة المشاركين علمياً وأخلاقياً.

وجائزة المركز الثاني، وقدرها عشرة آلاف جنيه، أما جائزة المركز الثالث، فقدرها خمسة آلاف جنيه.

وسوف تقوم كل مدرسة بتحديد عدد خمسة تلاميذ من الصف السادس الابتدائي للمشاركة في المسابقة.. وسوف تقام المسابقة أيام الجمعة والسبت من كل أسبوع.. أي في أيام الإجازات كي لا تتعارض مع أيام الدراسة وتتنسب في توقف أو تعطيل الدراسة..

في الحصة الثالثة.. دخلت لجنة مكونة من مدير المدرسة ووكيلة المدرسة (أبلة رتيبة) ومدرس ثالث.. لاختيار الخمسة تلاميذ المشاركين في المسابقة والذين سوف يمثلون مدرسة الشهيد يوسف السباعي، في مراحل المسابقة المختلفة، وكان أول طالب يتم اختياره هو (نادي علي أبو زيد).

XXXXXXXXXXXXXXXXXX

عاد (صفوت) إلى البيت بعد يومٍ شاقٍ من العمل تخلله مقابلات كثيرة ومناقشات، وما أن دخل إلى المنزل.. حتى جرت إليه (مشيرة) وحكت له ما حدث في المدرسة مع الأخصائية النفسية وما دار بينها وبين أمها (صافيناز) بخصوص (شادي)..

فرح (صفوت) كثيراً باهتمام (مشيرة) بأمر (شادي) وفي المقابل قال لها: أنا سعيد باهتمامك بأخيك المسكين هذا.. أنت ابنتي حقاً، لست كأخيك المختل (أيمن) وأمك (صافيناز).

عندها دخلت (صافيناز) بصوتٍ عالٍ للغاية بعدما سمعت ما قاله عنها وعن (أيمن).. تشاجرا بصوتٍ عالٍ واستخدما الألفاظ النابية، وانتهت تلك المشاجرة بتبادل الاتهامات وقذف بعض الأدوات على بعضهما البعض.. ترك (صفوت) البيت على إثرها.. ولم يدر إلى أين يذهب!

عاد إلى المكتب الذي كان غادره منذ وقتٍ قليل وكانت الساعة قد تخطت الواحدة بعد منتصف الليل.. حاول أن يتمدد على الأريكة للنوم.. لكن النوم أبى أن يأتيه أو ينعم بالراحة.. فأحياناً الإنسان من كثرة الإرهاق والتعب لا يستطيع النوم على عكس القاعدة التي يفهمها الناس، أنك عندما تكون متعباً ستنام سريعاً.. ولم يشعر بنفسه إلا ويد ناعمة رقيقة حانية تربت على كتفه وبصوتٍ خافتٍ هامس: صفوت بك.. أستاذ صفوت.. لماذا تنام هنا؟.. وبملا بسك نفسها؟.. ألن تذهب

معي وخرجنا سوياً ثم أوصلتني إلى بيتي وقدت سيارتك متجهًا إلى بيتك؟

حاول (صفوت) أن يللم شتاته وبعثرة أفكاره وعيناه تحديقان حوله بكل اتجاه وكأنه يتساءل: ما الذي أتى بي إلى هنا؟ لماذا أنا هنا؟ هل نمت على الأريكة؟ يبدو هذا.

غابت (ميادة) لثوانٍ ثم عادت إليه بفنجان ساخن من القهوة.. وهذا أشد ما كان يحتاجه (صفوت) في تلك اللحظة.. شرب قهوته وأبلغها أنه لا بد أن يذهب في جولة مهمة للغاية ولا يستطيع إلغاؤها.. خرج (صفوت) متوجهًا إلى البنك حيث سيتقابل مع صاحب الشقة الذي أحضر العقود.. وسيتم تسليمه نقود الشقة الجديدة في البنك..

وبعدها عاد (صفوت) إلى المكتب متناسيًا ما قد حدث في الليلة الماضية بينه وبين (صافيناز) وطرده من المنزل في منتصف الليل.. إلى أنه لم يجد مكانًا يذهب إليه أو مأوى مريح ينام به ويبدل فيه ملابسه.. لكنه لم يكن حزينًا لما حدث.. حيث حقق حلمه وغايته بأن امتلك بيتًا آخر يستطيع أن يجد فيه راحته

لكن هذا البيت لا يصلح دون ملكة تنيره..

دخل إلى المكتب وطلب من (ميادة) أن تأتي إليه..

صفوت: هل تتذكرين ما أخبرتك به بالأمس؟

ميادة: لقد قلت أشياء كثيرة.. لا أدري أيها تقصد!

صفوت: عندما كنت سعيدًا بالقضية التي ربحتها.. وأخبرتكم بعدها أنها ليست كل السعادة وهناك مفاجأة في انتظاركم في الغد.
ميادة: آه.. نعم.. تذكرت الآن.. ما المفاجأة؟
صفوت: المفاجأة.. أنني اشتريت شقة جديدة لنا سوياً.
وأخرج العقود من حقيبته والمفاتيح معها..
ميادة: شقة لنا سوياً.. ماذا تقصد؟ أولاً مبارك.. لكن ماذا تعني بـ
(لنا سوياً)؟

صفوت: أما زلت يا (ميادة) لا تشعرين بمشاعري تجاهك.. إنني أحبك أأريدك لي زوجة.. لقد تعودت عليك لدرجة أنني لا أستطيع الاستغناء عنك ولا أرى حياتي بدونك ولا يكفي في العمل فقط.. أريدك معي أيضاً في البيت.. في حياتي الشخصية.. أنا لا أجد راحتي.. ولا هدوئي إلا معك.

ميادة: لكن.. لقد فاجأني.. لم أكن أدرك أن هذه هي المفاجأة.. أنا لا أنكر أنني أرى فيك الرجل الرائع والمناسب لأي فتاة، وأميل لك وأكن لك مشاعر قوية لكن الأمر ليس بهذه السهولة.. فأنت متزوج ولديك أولاد.. كيف يكون الحال وتسير الأمور هكذا؟.. أنا لا أقبل أن أكون سبباً في دمار أسرة أو خراب بيت.. لم أكن أتمنى لنفسني أن أكون في هذا الموقف وليس الحب يكفي كي نسعد.. لا بد أن تكون ضمائرنا راضية ومرتاحة لما نقوم به، وأول شروط هذه الراحة هو عدم إيذاء أو جرح الغير.

صفوت: لماذا تنظرين إلى الأمور هكذا؟.. أنا إنسان لست سعيداً، حياتي جحيم.. لا أجد أدنى ولا أبسط متطلباتي كزوج ورجل ورب أسرة في هذا البيت ومع هذه الزوجة الأنانية، سليطة اللسان.. قبيحة الأخلاق.. وأنا لا أسعى وراء فعل الحرام أو ما يخالف القانون.. أنا من حقّي أن أتزوج ثانية.. وأنت ليس عليك أي ضمير أن تكوني زوجة ثانية وخصوصاً أنني لن أقصر في واجباتي تجاههم.. الآن أنا أربح الكثير من المال ولدي القدرة على فتح بيتين.. فلمَ لا؟.. أحبك أنت.. ولن أترك أولادي، لكن أنا أرتاح إليك أنت فلمَ لا؟.. وأنت ستكونين في أمان تام وسعادة معي.

ميادة: أي سعادة؟ سعادة دائمة أم مؤقتة.. وماذا يكون الحال إذا بدلت (صافيناز) زوجتك أخلاقها وبدأت في معاملتك معاملة طيبة وأظهرت لك الحب وسهرت على راحتك ومتعتك.. هل ستظل معها وتنساني أم ماذا؟ هذا أمر غير مضمون.

صفوت: أنا أضمن لك ذلك ومستعد أن أكتب لك اعترافاً أو ورقة أقر فيها أنني لن أتركك أبداً، إلا إذا كنت غير راضية.

ميادة: يا أستاذ (صفوت).. ليس هناك أي مستند قانوني بهذا الاسم أو الشكل وأنت تعلم ذلك كمحامٍ.. الضمان الوحيد الذي يشعرني بالأمان وأني لن أكون في الشارع في يوم من الأيام، أن تكون هذه الشقة ملكي وباسمي.. وكذلك تكتب لي نصف هذا المكتب.

صمت صفوت للحظات، وأطرق برأسه.. ثم قال:

”حسنًا.. معك حق.. لا مانع من كتابة الشقة الجديدة هذه باسمك لكن المكتب.. لا يصح قانونًا.. فأنت لست حاملة ليسانس حقوق ولا عضو عامل في نقابة المحامين.. فمن الصعب أن يكون اسمك مناصفة لي في المكتب.“

ميادة: أنا لم أقصد مزاوله المهنة أو اللافتة والأوراق الرسمية، أنا أقصد الشقة التي تحولت إلى مكتب.. العقار نفسه.. يمكن أن يكون اسمي فيه مناصفة معك.“

صفوت: دعيني أفكر في الأمر.. الآن هل تريدین معرفة مكان الشقة الجديدة ومكانها؟.. هيا بنا الآن لتقولي رأيك ونستعد لعمل أي ديكورات أو تجهيزات بها، سأترك لك هذا الأمر.. فأنت نور حياتي ونور هذا البيت.“

تكررت زيارات (نادي) لـ (دنيا).. وبدأت (ناهد) في الاختفاء والخروج من البيت كثيرًا لمزاوله عملها بين القاهرة والإسكندرية.. وتولت (عواطف) أمر إحصار (نادي) من بيته والعكس.. وتحسن مستوى (دنيا) في الرياضيات والعلوم واللغة العربية والبلاغة بشكلٍ لافت للنظر كما تحسنت أخلاقها، فتخلت عن الانطوائية وبدأت في التقرب من التلاميذ والتلميذات وتكوين صداقات.. مع ظهور الابتسامة على وجهها معظم الوقت وكذلك ابتعدت عن السلوك العنيف الذي كانت تنتهجه في الفترة السابقة.. وفي الوقت نفسه بدأت المنافسات الحامية في مسابقة أوائل الطلبة، وكان (نادي) هو الحصان الأسود.. كما كان يلعبه أغلب المدرسين.. فمظهره البسيط لا ينم عن

علم غزير لكل من يراه لأول وهلة، ولكن ما إن تبدأ الأسئلة للخمسة طلاب الجالس على المنصة حتى يبادر (نادي) بالإجابة حتى قبل أن يتداولوا التشاور بينهم في الإجابة الصحيحة لمدة الدقيقة المسموح للتداول فيها لكل فريق.. وبدأ فريق مدرسة الشهيد يوسف السباعي، في التقدم في المراكز إلى أن أخيراً حقق المركز الأول على مستوى محافظة الإسكندرية، وكان نصراً للمدرسة أول مرة تحققه حيث اشتركت في تلك المسابقة لسنواتٍ متتاليات.. وهي المرة الأولى التي تحقق فيها الفوز بالمركز الأول..

وذات مرة زار (نادي) بصحبة (عواطف) كالعادة (دنيا) للدرس المعتاد وكانت (عواطف) تدخل بـ (نادي) من الباب المجاور للمطبخ.. الجانبي للفيلا وليس الباب الرئيسي كي لا يراهما (نادر بك)..

في هذا اليوم تحديداً.. عاد إلى البيت (نادر) مبكراً بصحبة مهندس زراعي متخصص في تنسيق الحدائق.. وأخذ جولة في الحديقة مع (نادر) وكانا يتبادلان الحديث والاقتراحات عما سيتم عمله من تغيير في تنسيق الحديقة وإضافة نباتات جديدة وزهور مختلفة الألوان وكذلك إقامة (برجولا) وسط الحديقة.. وإذا بالباب الجانبي يفتح وتظهر منه (عواطف) بصحبة (نادي) بعد أن أنهى الدرس مع (دنيا) ووقفاً وجهاً لوجه أمام (نادر) والمهندس الزراعي، توقف قلب (نادي) وتجمدت (عواطف) في مكانها.. لا تدري ماذا تفعل أو تقول!.. مرت لحظة ثقيلة

للغاية على الجميع.. أدار فيها (نادر) بصره بالتبادل بين (عواطف) ثم نظر إلى أسفل لهذا الصبي القذر (من وجهة نظره)..

وبعد لحظاتٍ قليلة.. ركض (نادي) بأقصى سرعة ودار حول الفيلا متجهاً إلى الباب الرئيسي وقلبه يدق بسرعةٍ شديدة، ولحقت به (عواطف).. خرجا سريعاً إلى الشارع، وكانت (دنيا) تقف في الشرفة كعادتها لتشير وتلوح بيديها إلى (نادي) بينما يغادر الفيلا.. فشاهدته يركض سريعاً وخلفه (دادا عواطف).. صاحت بأعلى صوتها من شرفتها في الطابق الأول: "نادي.. يا نادي.. يا دادا.. يا دادا.. ماذا حدث؟!؟"

سمع (نادر) صوت (دنيا) تصيح بأعلى صوتها.. لم يرها حيث أن شرفتها من الناحية الأمامية من المبنى وهو واقف في الناحية الخلفية بصحبة المهندس الزراعي..

آه.. لولا وجود المهندس الزراعي الذي أجبر بوجوده كإنسانٍ غريب (نادر) كي لا يتصرف بحماقة.. فلولا وجوده لأمسك بـ (نادي)، و(عواطف) وربما قام بالحق الأذى بهما بدنياً ونفسياً.. يعلم الله وحده ما كان يمكن أن يحدث لو كان (نادر) بمفرده.. وجود ذلك المهندس الزراعي أدى إلى السكوت الاضطراري لـ (نادر) لكنه لم يستطع نسيان الأمر أو إخراجه من عقله، فالوقت المتبقي لجولة المهندس الزراعي كان (نادر) في حالة غليان وغضب شديد.. تلك اللعينة (عواطف) تتحداني وتحضر قريبا هذا الصعلوك الصغير ليملاً بحشرات جدران الفيلا.. وهذا الولد لم يعِ الدرس جيداً منذ المرة السابقة، فحضر هنا

ثانية.. ولم يكن يعلم (نادر) بالطبع أنها المرة العشرون أو أكثر، وأخيراً أستمع بأذني لصوت (دنيا) ابنتي الوحيدة تصيح من شرفتها: "ماذا يحدث؟" أصبحت (طرطور) في هذا البيت.. هيبتي واحترامي تقلصا إلى أقصى حد.. وأين الأم؟ أين (ناهد) من كل هذا؟ ناهد المهملة.. هل تعلم بأمر هذا الصبي.. أم لا تعلم؟ هي المسؤولة أمامي.

أنهى (نادر) جولته مع المهندس الزراعي واتفقا على كل التفاصيل وأخبره المهندس أنه سيقدم له رسماً تفصيلياً بعد ثلاثة أيام عن الشكل النهائي الذي ستكون عليه الحديقة وقائمة بالنباتات النادرة التي يختصها بعملائه المميزين فقط..

سار (نادر) لتوصيل المهندس إلى البوابة الرئيسية.. وإذا بسيارة (ناهد) تتوقف وتهبط منها.. تلقي السلام على المهندس الزراعي أثناء مغادرته البوابة و(نادر) زوجها يقف خلفه.. ألقى التحية على (نادر) وقالت: "من هذا؟"

أجابها (نادر): "ومن أنت؟! نعم.. من أنت؟! هل لديك إجابة على هذا السؤال؟.. من تكونين وماذا تفعلين في هذا المكان؟ وهل لك أي دور هنا؟"

ناهد متعجبة من هذه الأسئلة التي لا معنى لها إلا أن (نادر) غاضب وأن شيئاً ما قد حدث.. هل لهذا الرجل الذي غادر لتوه علاقة بغضب (نادر)؟ هل وشى بها له في أي شيء؟ هل رآها جالسة مع (باولو) وأبلغ (نادر)؟.. ولكن لقاءاتها مع (باولو) تتم في القاهرة وهما الآن على بعد ٢٢٠ كيلو من القاهرة.. ربما هذا الرجل كان في القاهرة فرآهما.. وماذا

في ذلك؟ فـ (نادر) يعلم أنها طبيعة عملها كمتريجة ومرشدة سياحية وأنها تتواجد بالفنادق والمتاحف وجميع الأماكن السياحية.. لكن (باولو) تحديداً غير مرغوب فيه لدى (نادر).. وعليه علامات استفهام منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي حضر فيه إلى هنا.. إذاً ماذا؟!!

ناهد: ماذا حدث؟.. ومن هذا الرجل؟.. أخبرني.

نادر: أنا لن أخبرك.. لقد تعبت من المناقشات معك.. ولكنك لا تصلحين زوجة ولا أم.. ولن أنتظر حتى أفقد ابنتي كما فقدتك.. والآن استديري وعودي من المكان الذي أتيت منه ولا تعودي هنا أبداً.. وسأرسل ملابسك وأغراضك إلى بيت أبيك.. هل تذكرين بيت أبيك أم تريدين أن أذكرك؟.. عودي إلى حياتك السابقة مع أبيك، هي الحياة المناسبة لك، أنت لا يليق بك سكن الفيلات والاقتران بعالم رجال الأعمال.. اذهبي.. (أنت طالق).

لم تستطع قدما (ناهد) حملها ولم تستطع أن تتحرك صوب بوابة الفيلا للخروج، لم تصدق ما حدث، في دقائق معدودة أصبحت امرأة مطلقة.. يا إلهي! كيف تتطور الأمور بهذه السرعة؟ وكيف تهوي بهذا القدر لتسقط من أعلى قمم الجبال؟.. ماذا عساني فعلت لألقى هذا الجزاء؟.. أنا مستعدة أن أتسامح في الشتائم والسباب والإهانات، لكن لا أريد طلاقاً.. هذا أمر مريع.. مخيف.. مرعب..

وإذا بـ (نادر) تزداد ثورته قائلاً: "أنت ما زلت هنا.. قلت لك

اخرجي."

ثم دفعها وسحبها من يدها وأخرجها خارج البوابة الحديدية.. وسط صراخها وبكائها الهستيرى.. ثم بكل قوة وقسوة أغلق البوابة الحديدية من الداخل وتركها في الجانب الآخر تصرخ وتضرب الحديد بيدها وتركله بقدمها.. حدث كل هذا على مرأى ومسمع من (دنيا) التي كانت واقفة في شرفتها التي تطل على الحديقة والبوابة الرئيسية.. حيث كانت تصيح بـ (نادي) و(دادا عواطف)!

لم تفهم (دنيا) ما حدث ربما لأنها اعتادت على المشاجرات الدائمة بين أبيها.. لكنها فهمت أمرًا خطيرًا.. وهو كلمة (طالق) وهي تفهم هذه الكلمة جيدًا.. وبعدها شاهدت كل تفاصيل ما حدث من طرد أبيها (نادر) لأمها (ناهد) وجرها خارج البوابة وإغلاق الباب.. لم يتحمل قلب (دنيا) الصغير رؤية ما حدث.. شعرت بدوارٍ وصرخت صرخة عالية.. رجت أركان المكان، وطار الطيور هربًا من فوق الأشجار.. ثم سقطت على أرض الشرفة مغشيًا عليها وارتطمت رأسها بالأرض الصلبة للشرفة المصنوعة من السيراميك الصلب..

هرع (نادر) إلى حجرتها.. واتصل بالإسعاف، حاول إيقاف نزيف الدم إلى أن تحضر المساعدة الطبية..

أحضرت (سهام) النقود بعد أن باعت المشغولات الذهبية لـ (دولت) أمضت معها بعض الوقت وأخبرتها (دولت) أن كل ما كانت تحتاجه هو الأموال وبعد أن حصلت عليها، فهي مستعدة للسفر خلصة إلى الإسكندرية في أي وقت..

دولت: أشعر أنني مقبلة على وقت صعب للغاية لحين اللقاء بالحبيب بـ (جيوشي).. أنا لم أذهب إلى الإسكندرية من قبل لكنني كتبت العنوان على أكثر من ورقة، ووضعتهم بحقيتي، ثم وضعت ورقتين؛ واحدة في جيب البلوزة، وورقة أخرى مع النقود.

سهام: بالتوفيق يا حبيبي.. واطمئني.. لن يعرف أحد الأمور التي دبرناها سوياً.

مرت بضع ساعات على مغادرة (سهام) لحجرة (دولت) وبدأت تشعر بالتعب وأنها يجب أن تأخذ قسطاً من الراحة قبل الاستيقاظ فجراً حيث أن أمامها يوم شاق طويل، وبالفعل أطفأت الأنوار وأغلقت أجنانها وراحت في سبات عميق.. استيقظت على يد خشنه ورائحة كريهة.. لم تدر أهي في حلم مزعج.. كابوس.. أم حقيقة؟ وهناك شخص في حجرتها.. هل هو لص علم بموضوع النقود التي أحضرتها (سهام) فأتى لسرقتها؟ وربما يقتلها كي لا تبلغ عنه وعن مواصفاته.. أم أنه كابوس وحلم مزعج؟

وبينما عقلها يتبادل ويفكر بشكل سريع للغاية وهي غير مدركة لما يحدث، وجدت شريطاً لاصقاً يوضع فوق فمها، فلم تستطع الصراخ ولا تحريك فمها.. وبعدها التف حبل سميك خشن للغاية حول ساعديها بعد ضمهما إلى بعض بقوة.. يداها مقيدتان خلف ظهرها.. وفمها مكتم بشريط لاصق قوي.. ثم شعرت بيد قوية للغاية تلف حولها (البطانية) وهي بالداخل.. وشعرت بجسدها يحمل ويرفع إلى أعلى.. ماذا يحدث؟.. هل هي مخطوفة؟

مرت دقائق عصبية عليها للغاية وشعرت أن روحها تسحب من داخلها ببطء.. لا تستطيع الاستغاثة ولا الصراخ وتحاول تحريك قدميها ولكنها أصبحت مقيدة القدمين أيضًا.. وأخيرًا سمعت الباب الذي أحدث صريرًا، يحدث الصوت نفسه مرة أخرى وكأنه يغلق.. وصوت أقفال عتيقة حديدية تغلق، حاولت أن ترى من خلال (البطانية).. لكن بلا فائدة، بعدها سمعت صوتًا يقول: "حمدًا لله على السلامة."

وعصا غليظة انهالت على رأسها.. فراحت بعدها في إغماء ولم تشعر بشيء على الإطلاق، وفي الصباح انطلق (فتحي) في أرجاء البيت بصراخ متواصل..

"هربت الفاجرة.. عملتها تاني."

أخبر أمه أن (دولت) هربت من البيت..

الأم: وكيف عرفت يا ولدي؟

فتحي: دخلت لأطمئن عليها وعلى آثار العملية، وهل تماثلت للشفاء أم لا!!.. طرقت الباب مرات عديدة لكن لم تفتح.. فتحت الباب، فلم تكن في سريرها وكانت خزانة ملابسها مفتوحة أمامي وشبه خاوية إلا من بعض القطع القليلة.. بحثت عنها في جميع أركان المنزل.. لم أجدها.. فما تفسير هذا غير أنها قامت بجلب العار لنا مرة أخرى وهربت!

الأم: "إذا حاول أن تبحث عنها.. ربما ذهبت عند (سهام).. أنت تعلم أنها ابنة عمها وصديقتها الوحيدة."

فتحي: لا يا أمي.. أنا سأذهب إلى محطة القطار.. ربما أستطيع اللحاق بها وأعيدها، وهذه المرة سترى وتشاهد ما يستطيع (المعلم فتحي) فعله.

خرج (فتحي) بسرعة إلى (الكارتة) أو العربة التي يجرها حصانان.. وضربهما بالسوط فانطلقا مسرعين واتجه صوب محطة القطار.. صعد إلى الرصيف.. لم يكن هناك إلا أناس قليلون، حيث أن القطار المتجه إلى الإسكندرية كان قد غادر منذ دقائق..

اتجه إلى مكتب ناظر المحطة وسأله عما إن كان قد شاهد أخته (دولت) على الرصيف أو تستقل القطار، نظر إليه ناظر المحطة متعجباً.. إنه يوجد الآلاف كل ساعة، ومن الصعب معرفة أشخاص بعينهم، بالإضافة إلى أنه لم يغادر مكتبه وظل قابلاً في كرسيه منذ فترة حيث أمامه أعمال ورقية كثيرة يريد الانتهاء منها بالإضافة إلى جرس التليفون الذي لم يتوقف وبسببه تعطلت أعماله..

استدار (فتحي) عائداً.. ولكنه لم يعد إلى البيت.. اتجه إلى حجرة خلف البيت بحوالي مائة متر..

فتح الباب، مما أحدث صريراً عالياً.. سار بخطواتٍ بطيئة وفي يده السوط.. السوط الذي ضرب به الحصانين، نظر إلى كومة القش.. كانت هناك (بطانية) وبداخلها إنسان.. (دولت) نعم إنها (دولت).. أغلق الباب الحديدي القديم وراءه، فأحدث الصرير العالي نفسه.. ووجد عينين تنظران من فتحة (البطانية) والرعب يحيط بهما، تقدم

نحوهما.. أخرجها من (البطانية).. موثوقة اليدين والرجلين وعلى فمها شريط لاصق..

فتحي: هل تظنين أنني مغفل؟.. تريدين الهرب، والذهاب إلى قبيح الوجه هذا! وما هي أخبار العملية؟ هل تماثلت للشفاء؟ أظننت أنني صدقت موضوع العملية أيضًا؟ من الآن فصاعدًا ستعرفين من هو (المعلم فتحي).. أحضرت حقيبة ملابسك هنا معي وسألقتك درسًا أو دروسًا لن تنسيها طيلة حياتك إن كان في عمرك بقية..

خلع عباءته التي وضعها فوق كتفيه، وسار ناحية الحائط.. كان معلقًا عليه، آلة ضخمة يستخدمونها لقص شعر الخيل والحمير، أمسك بهذه الآلة.. واتجه ناحيتها ثم نزع غطاء رأسها حتى انكشف شعرها وبدأ في قص شعرها بالكامل وهي تصرخ بلا صوت بسبب الشريط اللاصق، دموعها تنهمر بشدة ووجهها أحمر للغاية، ودقات قلبها تتسارع بينما تشاهد خصلات شعرها الطويل تلقي أمامها على الأرض.. إلى أن انتهى وثار رأسها ملساء، مجرد جلد، بلا أي شعر ثم أحضر مرآة ووضعها أمام عينيها..

فتحي: "انظري.. هذه أنت.. هذا ما يستحقه كل من يتصدى لـ (فتحي) ويحاول خداعه."

نظرت (دولت) لم تعرف نفسها.. أصبحت مثل الصبي الذي خرج لتوه من السجن أو الجندي البسيط الذي التحق بالخدمة العسكرية.. ظلت تهز رأسها يمينًا ويسارًا وحاولت أن تنتفض لكن وثاق يديها ورجليها كان أقوى منها.. سقطت مغشيًا عليها مرة أخرى..

عاد (فتحي) إلى المنزل أخبر أمه بما حدث في محطة القطار وأنه لم يلحق بقطار الإسكندرية وقال: "استطاعت الهرب الفاجرة.. وبعد ساعتين ستكون مع هذا القبيح جيوشي في الإسكندرية، لو أعلم عنوانه، سأسافر لها وأقتلها سوياً وأغسل عارنا."

انهارت الأم وراحت في بكاءٍ وعويلٍ ونجيب بلا توقف ثم قالت: ماذا حدث لنا يا رب.. عملية استئصال رحم.. ثم فسخ الخطبة، والآن العار بعينه، ابنتي أنا تهرب وتتركنا وتذهب إلى رجلٍ غريب ليس زوجها أو قريبها، الرحمة يا رب.. استرها يا رب.. الرحمة يا رب.. استرها يا رب..

طلب (نادر بك) المستشار القانوني للمجموعة (أ. صفوت) للحضور إلى مكتبه.. وبعد دقائق دخل (أ. صفوت) وبعد أن جلس سأله (نادر بك)..

نادر: هل تسلمت الملفات الخاصة بالنزاعات والقضايا لمجموعة (N.F) أنا مهتم في الوقت الحالي بملف الأرض المملوكة للمحافظة ونريدها كحق انتفاع.

صفوت: نعم.. قرأت هذا الملف ولاحظت أن المحافظة سمحت بحق انتفاع مدة عشر سنوات وإذا أردت أن تكون المدة (ثلاثون عاماً).. ليس هناك سبيل إلا أن تذهب لمقابلة المحافظ ومعك رسومات وأوراق المشاريع التي ستقام على الأرض وإقناع المحافظ بأهميتها

ومدى جدواها ونفعها لأهالي الإسكندرية.. هو الوحيد الذي بيده مد
مدة الانتفاع من عشر إلى ثلاثين سنة.

في طابور الصباح.. قام مدير المدرسة بإلقاء كلمة أمام التلاميذ في
حضور (نادي) وبعدها تم تكريم التلاميذ الخمسة الذين اشتركوا في
مسابقة أوائل الطلبة وحققوا المركز الأول.. لأول مرة لمدرسة الشهيد
يوسف السباعي.. ثم أعلن المدير عن إعلان طلب المحافظ حضور
التلاميذ الخمسة لتكريمهم بعد يومين.. ثم أعلن أيضًا أن إدارة مسابقة
أوائل الطلبة استحدثت جائزة جديدة تقدم لأفضل مدرسة على مستوى
كل محافظة..

كان (نادي) أشد التلاميذ سعادة حيث كان أول أحلامه هو مقابلة
عمدة قريتهم.. والآن يسمع بأذنه أنه بعد يومين سيدخل مكتب محافظ
الإسكندرية ويصافحه وربما يلتقط صورة تذكارية معه.. هي فرحة
وسعادة ما بعدها سعادة..

وعاد (نادي) إلى البيت وحكى لأمه ما حدث في المدرسة.. كانت
(وداد) فخورة به إلى أقصى درجة.. قبلته كثيرًا واحتضنته.. ثم قالت له:
”أراد الله أن يعوضك عما حدث معك في فيلا (نادر بك).. أنا كنت
حزينة للغاية لأنك لا تستحق هذه المعاملة من هذا الرجل.. ربما يدرك
يومًا ما أنك لم تدخل بيته إلا لمساعدة ابنته، دون انتظار أي مقابل ولا
حتى كلمة شكر.“

نادي: لكن يا أمي.. (دنيا) فتاة طيبة ومظلومة في كل ما يحدث حولها، فالله أعطها المال وأخذ منها الاستقرار وصفاء الذهن والسعادة الأسرية.“

وداد: لكن يا (نادي) هذه حكمة ربنا، الله يعطي أشياء ويأخذ أشياء، فالكمال لله وحده.. لا يوجد إنسان على ظهر الأرض يمتلك كل شيء.. حتى الأنبياء، وبعد ما حدث هناك وهي ليست المرة الأولى.. أعتقد أنه لا يصح لك أن تذهب إلى هناك مرة أخرى.. أنا أخاف عليك يا ولدي من هذا الرجل المنزوع العدل والرحمة والبصيرة.. أما (دنيا).. فلها رب يحميها من تهور وأنانية أبيها.

نادي: حسناً يا أمي، أنا أيضاً أرى ذلك.. فمن الصعب علي الذهاب إلى هناك.. أنا أكره الخوف وإحساس الخوف يجعلني في حالة أشعر فيها بالضعف الشديد.. وأنا أكره أن أكون ضعيفاً وأيضاً أنا لا أطمئن لما يحدث في المرة القادمة.. ففي المرتين السابقتين مرت على خير.. حتى أن (دادا عواطف) لم تستطع حمايتي.. لولا أنني ركضت بسرعة.. بعد أن سمعت أنه سيقتلني و(دادا عواطف)!

انتشر خبر هروب (دولت) إلى الإسكندرية بشكلٍ سريع.. ووصل إلى مسمع (سهام) فما كان منها إلا أنها أظهرت الانزعاج من هذا الخبر والخوف على ابنة عمها (دولت).. لكن في داخلها كان قلبها يبتسم فرحاً أن (دولت) استطاعت الهرب واستقلال القطار إلى الإسكندرية دون ملاحقة (فتححي) وأنها الآن لا بد أنها قد تقابلت مع (جيوشي)

ليتزوجا ويبدآن حياتهما بإرادتها دون أي خوفٍ أو ترويع، ثم توجهت إلى (أم دولت) مظهرة كل الحزن والقلق..

سهام: صحيح يا امرأة عمي ما سمعته.. (دولت) رحلت عن البيت؟ قالت الأم باكية: نعم يا ابنتي.. استيقظنا بالأمس، فلم نجدها أو نجد ملابسها.. فلا بد أنها هربت لذلك المجرم الذي أغواها.. ألم تصرح لك بأي شيءٍ يا (سهام)؟ أنت ابنة عمها وصديقتها وأسرارها معك.. هل سمعت منها أنها عقدت النية على الهرب؟

سهام: لا يا خالة.. كنا نتحدث في الأيام الأخيرة عن العملية ومتابعة التغيير على الخياطة وكذلك الانتظام في تناول الأدوية ليس إلا.. ألم تصرح لكم بأي شيءٍ.. أو تصرح لـ (فتحي)؟ آه صحيح أين فتحي؟ كانت (سهام) تريد أن تشاهد الحسرة على وجه (فتحي).. دخل (فتحي) من الباب الحديدي القديم نفسه الذي يحدث صريراً عالياً مخيفاً، وفي إحدى يديه السوط الذي لا يفارق يده والذي يتأذى منه الحصانان.. وفي اليد الأخرى لفافة بها طعام، نظر إلى (دولت) وهي مكومة على الأرض الرطبة القذرة، ورأسها أقرع.. بدت ملامحها مثل ملامح المجرمين أو أصحاب السوابق، اقترب منها ووضع لفافة الطعام جانباً.. ثم قال: "أنت أكيد جائعة.. وأنا أحضرت لك بعض الطعام، وسأنزع الشريط اللاصق من فوق فمك لتمكيني من الأكل وسأفك وثاق يديك ورجليك، وأريدك أن تعلمي أنك إن حاولت الصراخ أو طلب النجدة، فلن يفيدك، نحن في منطقة مهجورة ولا يوجد حولنا أي أحد.. ولا يعجزو أحد أصلاً أن يقترب من كوخ (المعلم فتحي).."

أفهمت؟ ولكن قبل أن أفك وثاقتك وتأكلين طعامك.. هناك شيء واحد فقط يمكن أن يشفي غليلي ويرد لي كرامتي المهذرة.. وطالما أردت أن أفعله لكن لم يكن الوقت ولا الظروف المناسبة.“

ثم خلع عباءته من فوق كتفيه.. واقترب من (دولت) وهي في أشد حالات الإعياء والإرهاق والرعب.. ثم نزع (البطانية) من فوق كتفها وأحضر السوط الذي في يده ووضع على طرفه بعض نقاط من الزيت كانت في قارورة.. وانهال عليها ضرباً بالسوط.. صرخت صرخة مكتومة دون أن تصدر صوتاً حيث منع الشريط اللاصق خروج أي صوت، تقلبت على الأرض مع ضربات السوط من يد أخيها (فتحي) ولم تحمها الملابس التي تغطي جسدها، رآها مغشياً عليها من شدة الألم ومن هول الفعلة الشنيعة والمفاجأة المؤلمة، فتوقف عن ضربها.. رغم أنه كان يلهث بشدة من المجهود الذي يبذله في ضربها بالسوط، خرج من الباب بعد أن أحدث صريراً مخيفاً..

يالها من مسكينة! أن تكون ضحية أخ قاسي القلب.. أو ربما منزوع القلب.. لا يعرف للرحمة طريقاً ولا للخير سبيلاً.. ألم تأخذه أي شفقة أو عطف على أخته؟.. وهل يجوز للقوي ضرب الضعيف وإذلاله؟.. وهل يجوز ضرب البنات أصلاً؟.. فالبنات خلقن للدلال والمعاملة اللطيفة.. رفقاً بالقوارير!

خرجت (سهام) من بيت عمها فرحة وسعيدة أن كل شيء يسير على ما يرام.. (دولت) استطاعت الهرب من قبضة (فتحي) والذهاب

إلى (جيوشي) حبيبها دون أن يستطيع أحد اللحاق بها.. أو هكذا ظنت (سهام)!

وأيضاً سعيدة أن الحوار الذي دار بينها وبين زوجة عمها (أم دولت) لم يسفر عن شيءٍ وأنها استطاعت أن توفر غطاء من الحماية التامة لـ (دولت).. سارت عبر الشارع متجهة إلى بيتها الذي يقبع في آخر الشارع ولم تكن تعلم أو يصل إلى مخيلتها أن (دولت) صديقتها وابنة عمها ملقاة على أرضٍ قذرة في كوخ قديم مهجور.. ولم تأكل منذ يومين ورأسها حليق.. شعرها ملقى على الأرض بجانبها، والكل يعلم جيداً أهمية شعر المرأة للمرأة.. هو التاج الذي يزين رأس أي فتاة.. الآن هي حليقة الرأس.. وفوق كل هذا.. تم ضربها بالسوط الذي يضرب به الحصان، والذي ترك آثاراً على ظهرها.. لن يمحوها الزمن والآلام والأوجاع التي استمرت لساعات وأيام وجروح لم تلتئم.. يا للمفارقة وسخرية القدر!.. تسير (سهام) مرفوعة الهامة فرحة وفخورة بنفسها لأنها ساعدت (دولت) على النجاة والوصول إلى أهدافها..

وعلى بعد أمتار.. كانت (دولت) ملقاة.. مهانة.. متألّمة.. مجروحة.. معذبة وتوشك على الموت وأن تفارق الحياة.

حضر (نادر) في الميعاد المحدد لمقابلة محافظ الإسكندرية.. وكان يجلس في مكتب سكرتير المحافظ وما أن دقت الساعة العاشرة تماماً.. حتى تقدم سكرتير المحافظ إلى (نادر) أن ميعاده الآن للدخول لمكتب المحافظ وسار أمامه ثم فتح له الباب وعاد إلى مكتبه.. وبعد عدة دقائق دخل إلى مكتب سكرتير المحافظ مدير مدرسة الشهيد

يوسف السباعي، ووكيلة المدرسة (أبلة رتيبة) وخلفهما خمسة تلاميذ، كان آخرهم (نادي) مرتدياً أفضل ما يملكه من ملابس في خزانة أمه الصغيرة.

جلسوا جميعاً في انتظار أن تدق الساعة العاشرة والنصف حيث هذا هو الميعاد المحدد لهم للقاء المحافظ، مر الوقت ثقيلاً للغاية على (نادي) ليلقى محافظ الإسكندرية، اللحظة التي كان يحلم بها منذ أن سمع هذا النبأ في الطابور، وما أن دقت الساعة العاشرة والنصف.. حتى فتح مكتب المحافظ وخرج (نادر بك) حاملاً حقيبة أوراق جلدية، ومر أمامهم ثم نظر إلى (نادي).. توقف وأطال النظر إلى (نادي) الذي كان جالساً أو غارقاً في كرسيّ جلديّ مريح، بعدها وقف مدير المدرسة حين شاهد المحافظ بنفسه يخرج من مكتبه للقاءه هو والوكيلة والخمسة تلاميذ ودعوتهم للدخول إلى مكتبه، سار (نادي) ببطء، فقلبه يدق بشدة من وقوف (نادر) أمامه ودق أكثر لحظة مصافحة المحافظ من على باب مكتبه، ودخل إلى الداخل وعقله غير مستوعب وجود هذا الرجل المرعب (نادر) في هذا المكان وهذا التوقيت تحديداً!

لم يغادر (نادر) المكان ولكنه توجه إلى سكرتير المحافظ وسأله..
 نادر: ماذا يفعل هذا الصبي الذي كان جالساً في هذا الكرسي هنا؟
 السكرتير: آه.. إنه أحد التلاميذ المكرمين.. لديهم موعد الآن لمقابلة سيادة المحافظ لتكريمهم.

نادر: هل أنت متأكد؟.. تكريم.. لماذا؟ ماذا فعلوا أو قدموا؟

السكرتير: إنهم من مدرسة الشهيد يوسف السباعي، التي حصلت على المركز الأول في مسابقة أوائل الطلبة على مستوى المحافظة وسيمثلون المحافظة في التصفيات النهائية على مستوى الجمهورية.

نادر: وهذا الصبي الذي كان جالسًا هنا.. هل هو واحد من هؤلاء التلاميذ أم يقرب للمدير أم ماذا؟

السكرتير: آه أعتقد أنه التلميذ الأكثر تميزًا والأكثر نبوغًا بين الخمسة تلاميذ.. المحافظ طلب وجوده بالاسم نظرًا لفرط ذكائه وأعتقد أن اسمه...

نظر في الأوراق أمامه ثم أكمل: "نادي علي أبو زيد".

خرج (نادر) من مكتب السكرتير غير مصدق، متناسيًا تمامًا ما دار بينه وبين المحافظ الذي استمع لطلباته ورد عليه أن يمر بعد شهر على الأقل كي يكون المحافظ قد تباحث الموقف مع مستشاريه قبل الرد عليه بالإيجاب أو الرفض..

ظل عقله مشغولًا بما سمع من سكرتير المحافظ عن هذا الصبي القذر الذي رآه مرتين يقتحم فيلته مع (عواطف).. وعيناه لا تصدقان أنه في مكتب المحافظ نفسه الذي كان فيه وأن المحافظ يخرج بنفسه من مكتبه لملاقاته على الباب.. فهو لم يفعل معه هذا وهو صاحب ورئيس مجلس إدارة مجموعة (N.F).. هذا جنون!

وماذا.. ماذا.. نابغة!.. أوائل الطلبة.. المركز الأول!

هذا.. هذا الصبي.. كيف هذا؟!.. عقلي يكاد يخرج من رأسي، لا أصدق!

ظل (نادر) هكذا يهذي ويتمتم.. إلى أن وصل إلى سيارته في المرأب أسفل مبنى المحافظة.. حاول قيادة سيارته.. لكنه لم يدر ماذا يفعل، لدرجة أنه اتجه إلى طريق غير الذي كان من المفترض أن يقود السيارة فيه..

دق تليفونه عدة مرات في السيارة.. لكنه لم يكن في حالة متزنة تسمح له أن يرد أو يتحدث مع أي شخص وفي أي موضوع، وعاد إلى الهذيان مرة أخرى: نادي.. متفوق.. ذكي.. غير معقول!!!

ظلت (ناهد) خارج البوابة الحديدية بعد أن طردها (نادر) وأخرجها بعد سحب يدها خارج البوابة وإغلاق البوابة من الداخل، كل هذا بعد طلاقها، وقفت على الرصيف وهي تبكي بشدة غير مصدقة لما حدث، ولم تلحظ انهيار (دنيا) في الشرفة وسقوطها وارطام رأسها، فكرت.. إلى أين تذهب.. كانت صورة أبيها تتراقص أمام عينيها، بيته ليس بعيداً.. ولكنها لن تستطيع القيادة.. هي في حالة مزرية للغاية وأيضاً هي لا تريد استعمال هذه السيارة، هي سيارة (نادر) وهي لا تريد منه أي شيء.. فتحت باب السيارة وألقت المفاتيح بداخلها ثم أغلقت الباب وسارت إلى الشارع لطلب تاكسي، وفي الطريق لم تستطع تمالك نفسها والتوقف عن البكاء، راحت صور ما حدث تمر أمام عينيها بلا توقف وبلا أي إرادة منها في إيقاف تلك الصور والأحداث، وبعدها تذكرت (باولو) ومعاملته الرقيقة الحنون لها.. كم من مرة فتح لها باب السيارة! وكم من مرة حرك الكرسي في المطعم لتجلس ثم يرده مكانه! وكم من مرة قدم لها زهوراً رقيقة! وكم من مرات ومرات استمع إليها

بكل اهتمام وتقدير حتى لو تحدثت لساعات! وكم من مرة اطمأن عليها وهي مريضة! وفي إحدى المرات حدثها تليفونيًّا من داخل الصيدلية وأعطى الصيدلي السماعه ليعرف أعراض ما تعانيه ليستطيع شراء الدواء المناسب لها..

انتظرت (مشيرة) أباهما (أ. صفوت) وظلت بجوار النافذة تنتظر أن تشاهد سيارته وهي تصطف أمام المنزل.. وفي ساعة متأخرة من الليل.. عاد (صفوت) وصف سيارته.. أغلقت (مشيرة) النافذة وركضت نحو الباب ثم فتحته في انتظار أبيها.. وما أن دخل حتى أخبرته أنها تريده في أمر هام للغاية ولا يستطيع الانتظار للصباح حيث كانت متوقعة الرد من أبيها أنه سيطلب منها تأجيل هذا الأمر للصباح.. ابتسم (صفوت) قائلاً: طالما أنت مصرة.. أنا كلي آذان مصغية رغم أنني متعب ومجهد للغاية ورأسي بها آلاف الموضوعات وتعبت من كثرة المداولات والمناقشات وقراءة الأوراق والملفات.

مشيرة: (شادي) يا أبي.

صفوت: ماذا به شادي؟

مشيرة: لا أجد أي مساندة من أحد للاهتمام به، فلقد تحدثت مع الأخصائية النفسية ونصحتني بأن نحاول دمجها في المجتمع.. عمل حفل لعيد ميلاده ودعوة الأصدقاء والأقارب والجيران أيضًا، وأن نقوم بتربية حيوان منزلي أليف.. وأيضًا شراء بعض الألعاب والملابس الجديدة له كما نقوم بإعطائه الاهتمام الأكبر..

صفوت: هذا شيء جميل.. لكن يا ابنتي.. نحن فقط نخشى عليه من سخرية الناس أو النظر إليه بعين العطف المبالغ فيه.

مشيرة: على العكس.. وجوده بين الناس أفضل له ولن يعامله أحد معاملة فيها سخرية أو عطف.. فكل من حولنا يحبونه، وكذلك هناك مشكلة أخرى..

صفوت: أي مشكلة؟!

مشيرة: هما في الواقع مشكلتان.. الأولى: أن أمي تدعي أنها ليس لديها أموال للإنفاق على الحفل.

والمشكلة الأخرى: أنها أيضًا ترفض دخول أي حيوانات البيت، فهي لا تحبهم وتخاف من القطط والكلاب وأيضًا تخشى من التلوث والأمراض.

صفوت: فعلاً المشكلة الأولى قائمة.. لي هناك ميزانية تكفي للحفلات لكن سأخصص مبلغًا للحفلات لأجل إسعاد (شادي).. أما مسألة رفض أمك للقطط والكلاب، أنا أسمع أن القطة في البيت من الممكن أن تنقل بعض الأمراض التي تضر بوجود فتاة جميلة صغيرة مثلك في المنزل، فدعينا نركز على كلب جرو صغير وأنا سأعمل جاهدًا على إقناع أمك بالسماح لنا باقتناء وتربية كلب لطيف.

ذهب (علي الساکت) إلى المقهى بحثًا عن (جيوشي) الذي كان قد أخبره أنه من الأفضل أن يتقابلا مع (عم طلبة) صاحب عربة (حمص الشام) للتشاور معه وفهم الأمور بتفصيلٍ أكثر.

جلس على إحدى الطاولات وطلب كوبًا من الشاي الثقيل..
 وراحت الأفكار تتجول داخل رأسه بلا توقف.. هل ما هو مقدم عليه
 هو العمل الصحيح؟ من عامل في محل عصير قصب.. إلى صاحب
 عربة حمص الشام في الشارع.. يتعرض للأمطار والأتربة والعواصف
 أحيانًا.. يقف على قدميه طوال الوقت ويتعرض لمضايقات مفتشين
 الصحة ورجال الأمن أحيانًا.. وهل المكسب يساوي أو يوازي كل
 هذه المهانة والتضحيات؟ وهل بعد كل هذا سينجح؟.. هل يستطيع
 أن يكون له زبائن يعرفونه ويأتون لتناول الحمص من عنده؟.. وماذا عن
 طهي الحمص؟.. هو لا يفقه شيئًا في الطهي ولا يستطيع في الوقت ذاته
 أن يزيد من الأعباء والأحمال على (وداد) المسكينة المتألمة دائمًا وهو
 يقف عاجزًا عن أن يأخذها للعلاج في أهم وأكبر المستشفيات، فهي
 تعالج نفسها بنفسها ببعض الأعشاب والوصفات الشعبية..

إذا من سيطهو هذا الحمص؟.. وكيف سينقله من البيت إلى حيث
 العربة القابعة عند كوبري استانلي في أفضل وأهم مناطق كورنيش
 الإسكندرية الشهير.. وكيف له بغسيل وتنظيف الأدوات التي يستخدمها
 ويقوم بتجهيزها لليوم التالي؟ وماذا عن الطعم وسر الصنعة؟.. من
 سيعلمه كل هذا؟.. والأهم، من أين له بالمال الذي سيدفعه نظير العربة
 والأدوات؟.. ثم نظر إلى السماء.. إلى أعلى قائلاً: يارب الفرج من
 عندك والعتاء من عندك والرزق من عندك.. أعطني يارب وأجزل لي
 العطاء، كي أعالج (وداد) وأربي أولادي أحسن تربية.

وبينما هو ينظر إلى السماء.. دخل (جيوشي) ومعه رجل عجوز
يستند على عكاز خشبي.. وقفا أمام (علي) ولم يشعر بوجودهما
إلا عندما تكلم (جيوشي) مازحاً: بركاتك يا عم علي.. لا تنسانا في
الدعاء.. أم أنك تدعو علينا؟

ظلت (ناهد) حبيسة حجرتها لفترة.. تصل إلى ثلاثة أيام.. لا تتحدث
مع أحد، حاول أبوها التحدث معها كثيراً وقام بمحاولات متعددة كي
تتناول معه الطعام لكن بلا فائدة.. هو لا يفهم أي شيء.. عندما فتح
لها الباب، ارتمت على كتفه باكية ومنهارة تماماً.. ولم تقل غير جملة
واحدة: "نادر طلقني يا بابا."

وأغلقت عليها حجرتها القديمة التي ما زالت بأثاثها وأغراضها التي
كانت تملكها قبل الزواج كما هي.. السرير المنمق ذو الفرش والوسائد
الكثيرة التي يغلب عليها الطابع الأنثوي.. بالألوان البنفسجية.. وكذلك
المنبه القديم بجوار السرير والمكتب الأبيض الصغير ومعه كرسي
أبيض، حاول الأب أن يفهم ما حدث.. لكن دون جدوى.. وطلب
منها أن يذهب إلى (نادر) للتحدث معه وفهم ما مر به الاثنان ومحاولة
الصلح بينهما ليتراجع عن مسألة الطلاق هذه.. لكن دون جدوى، لا
تجيبه (ناهد) هي فقط صامته، ومن آنٍ لآخر، تذهب إلى الحمام لتتقيأ
وتفرغ ما في بطنها رغم أن معدتها بلا طعام منذ أيام!

تتذكر (دنيا) وما يمكن أن تمر به.. لا يمكن أن يكسر قلب تلك الفتاة الرقيقة.. لكن ماذا بوسعها فعله؟ الأب ظالم.. بطشه شديد، ولن تستطيع فعل ما عكس أو ما ضد إرادته.. الرحمة يا رب.

في ذلك الوقت لم يتوقف (باولو) عن السؤال عن (ناهد) في المكتب الذي تعمل من خلاله ك مترجمة ومرشدة سياحية.. والإجابة كما هي، لا يعرفون عنها شيئاً.. وإذا بفتاة تعمل هناك صرحت أنها صديقة قديمة لـ (ناهد) وكانت تسكن قريباً من بيت والدها قبل زواجها.. ستحاول الذهاب إلى بيت والدها للسؤال عنها.. لعل حدث لها أي مكروه أو حادث.. ربما تكون في المستشفى.. يجب أن تطمئن عليها.

وبالفعل ذهبت إلى بيت أبيها.. وعادت إلى المكتب بالخبر الفاجعة الذي وقع كالصاعقة على الجميع (ناهد تطلقت ولا تتحدث ومقيمة مع أبيها)

انتظر (نادر) لفترة طويلة بجوار سرير (دنيا) حتى أخيراً استفاقت وهي تشعر بألم في رأسها المربوط بالشاش كما تشعر بصداغ شديد.. نظرت حولها.. وجدت أباه وفي عينيه لمحة خوف وقلق ومنتظر أن يسمع منها أنها بخير، ولكن دنيا لم تنطق بكلمة الخير التي ينتظر (نادر) سماعها.. ولكنها قالت:

”أين أمي؟.. لقد رأيت كل شيء.. لماذا عاملتها هكذا؟.. أمي طيبة ولا تستحق منك ذلك.“

نادر: هكذا، أسهر بجوارك لليلتين بلا نوم كي أطمئن عليك.. وأول ما تنطقين به هو.. ماما.. نعم هي أمك.. ولكن أنا أبوك.. الذي يحبك

ويفعل أي شيءٍ من أجلك، ربما في وقتٍ ما سأشرح لك ما حدث..
 أنت الآن ما زلت صغيرة ولا يجب أن تتدخل في مثل هذه الأمور.
 أدارت (دنيا) ظهرها لـ (نادر) ونظرت ببصرها عبر النافذة المفتوحة
 لجانب حجرتها..

نادر: أنا أريدك في موضوع آخر أكثر أهمية مما نحن فيه الآن، ما
 هي قصة ذلك الصبي الصعلوك، الذي رأيته مع (عواطف) مرتين في
 بيتنا هنا؟.. وما علاقتك أنت بهذا الأمر؟ سمعتك من شرفتك تصيحين
 عليه.

دنيا: إنه ولد هائل.. ممتاز.. ذكي للغاية.. مهذب للغاية.. ولا يطلب
 أي شيء.. أتت به (دادا عواطف) لمساعدتي في فهم دروسي بعد أن
 فشلت المحاولات مع أفضل المدرسين البريطانيين الذين أتوا إلى هنا
 لمساعدتي وقبض مبالغ مالية كبيرة.“

ضحك (نادر) بسخرية قائلاً: ”ماذا؟.. أتريد أن تقولي لي أن هذا
 الولد المعدوم.. الفقير.. متفوق عليك أنت دراسياً؟!.. يفهم في المواد
 الدراسية أكثر منك.. لدرجة أنه يساعدك ويدرس لك؟!..
 يا للسخرية! أنا لا أصدق.. حسناً.. أكملني.“

قالت (دنيا) بعد أن نهضت من سريرها وأحضرت بعض الكتب من
 فوق مكتبها ووضعتهم أمام (نادر): انظر.. هذا كتاب الرياضيات.. انظر
 إلى تلك الأسئلة قبل أن يأتي (نادي) كنت أتركها بلا إجابات أو أجيب
 إجابات خطأ، كنت لا أفهم شيئاً.. أما هذه الصفحات بعد أن بدأ (نادي)
 في مساعدتي، انظر.. هذا خطي.. أجبت عن كل الأسئلة بشكل صحيح

وبدون مساعدة حيث استطاع (نادي) بطريقةٍ بسيطةٍ للغاية أن يشرح لي وفهمت معه ما لم أستطع فهمه مع المدرسين العظماء المبجلين البريطانيين.. أفهمت الآن يا أبي، ماذا يفعل ذلك الصبي الصعلوك القدر الفقير في فيلتك العظيمة؟.. كان يساعد ابنتك الفاشلة البليدة إلى أن وصل بها لدرجة رائعة وأصبحت من بين الثلاثة الأوائل في فصلي.. بعدما كنت الأخيرة، وكنت على وشك الانهيار المعوي وبدأت أكره الناس ولا أريد أصدقاء، ومن كان يسألني في شيء، أرد عليه بالعنف ومن الممكن أن يتطور هذا العنف ويتحول إلى الضرب بالأيدي أو بأي شيء أمامي، مسكين يا (نادي).. تساعد الناس ثم تسب وتشتتم، وتوصف بأبشع وأسوأ الكلمات.. وممن؟ من والد البنت التي تساعدها أنت من وقتك، وقت مذاكرتك، ودون مقابل، وأيضًا (دادا عواطف) الطيبة.. كم مرة هددتها وأثرت فيها الخوف والهلع والتهديد بالضرب أو القتل!.. كانت تحاول مساعدتي.. فهي صاحبة هذه الفكرة وهي صديقة لأم ذلك الصبي الفقير القدر!!!

نهض (نادر) من مكانه وسار تجاه الباب وخرج.. دون أدنى كلمة.. شعر أن ابنته وذلك الصبي قد لقناه درسًا لن ينساه طيلة حياته.. وأنه صغير للغاية ويزداد صغرًا إلى أن أصبح قزمًا أمام ما فعله الثلاثة.. (عواطف، ودينا، ونادي) ولكن.. كبر وغرور رجل الأعمال ما زال داخله.. عقله غير مصدق لما قالتها (دينا) حتى بعد أن شاهد الصفحات في الكتاب والمقارنة بين ما قبل ظهور (نادي) وبعدها..

خرج إلى سيارته فجأة وسار مسرعاً متجهًا إلى مدرسة (دنيا) وهناك اتجه على الفور إلى مكتب مديرة المدرسة، عرف نفسه عليها وطلب أن يعرف موقف ابنته الدراسي وكيف تؤدي علمياً وأيضاً أخلاقياً وسلوكياً، وبعد أن شرحت له المديرة كل ما قالته (دنيا) وزادت عليه مواقف كثيرة حدثت في المدرسة وأن (ناهد) حضرت من قبل ووعدت بالعمل على تحسين وضع (دنيا) الدراسي والأخلاقي، ومن بعد زيارة (ناهد) بدأت (دنيا) فعلاً في التحسن وكان هذا واضحاً في إجاباتها في الرياضيات والعلوم واللغة العربية والبلاغة.. وهذا بشهادة المدرسين الذين لا يفهمون حتى الآن هذا التحول الغريب والسريع.. كيف لتلميذة فاشلة بليدة وعنيفة ومنطوية، أن تتحول في وقتٍ قصير إلى ذكية مبهرة، من أفضل الثلاثة الأوائل؟ زادت ثقتها بنفسها.. كونت صداقات.. ولم تعد منطوية.. وصارت الابتسامة لا تفارق وجهها ولمحات الذكاء تلمع في عينيها.

ما زال المدرسون في حجرة التدريس يتحدثون عن هذا الأمر.. ولا يفهم أحد السر!!

استفاقت (دولت) على آلام مبرحة وشديدة بظهرها وكتفيها، لم تتمالك نفسها وأجهشت بالبكاء من شدة الألم ومن المهانة التي لم تذوق طعمًا لها طيلة حياتها.. وممن؟ من أخيها.. شقيقها.. (فتحي)!!

ظهر فاقد الحس والرحمة.. ظهر (فتحي) بعد فترة ومعه لفاقة بها طعام وضعه بجانب لفاقة الطعام التي أحضرها بالأمس.. نزع الشريط

اللاصق من فوق فمها قائلاً: "يمكن أن تأكلي فقط.. لا صراخ ولا كلام."

ثم فك وثاق يديها وقدميها.. وقال: يوجد هناك حمام في آخر الكوخ.. صحيح هو حمام دون المستوى.. لكن هذه هي الحياة الجديدة التي يجب أن تعتادي عليها.

قالت (دولت) باكية: أنا أختك يا (فتحي).. لماذا تعاملني هكذا؟ فتحي: أختي.. عاملتني كرجل مغفل.. اعتقدت أنها ذكية.. تستطيع خداع أخيها وأهلها وقريتها بأكملها، أنا حذرتك كثيراً أن تسيري على الصراط المستقيم وإلا سيكون لي شأن آخر معك.. وأنت استخففت بكلامي.. ما رأيك؟ هذا هو شأني معك.. هل يعجبك؟ وستظلين هكذا بقية حياتك.. حبيسة هذا المكان.. لا شمس ولا هواء ولا ناس ولا حرية.. فقط ذل ومهانة.

طالت الجلسة التي جمعت (علي الساكت) بـ (جيوشي) و(عم طلبة) استأذنهما بعد فترة قصيرة (جيوشي) في الذهاب وإنهاء بعض الأعمال ثم العودة لهما لاحقاً..

في هذه الجلسة عرف (علي) من (عم طلبة) معلومات كثيرة وإجابات كثيرة على الأسئلة التي كانت تدور داخله..

علي: كنت فقط يا عم طلبة، أريد أن أعرف إذا لم يكن لديك مانع.. لماذا تريد بيع العربة وترك المهنة؟ هل هناك شيء لا بد أن أكون حذراً منه أو ما شابه؟

قال (عم طلبة) ضاحكًا: لا.. لا.. ليس هذا، أنا فقط كما ترى قد كبرت في العمر، سني الآن تخطى السبعين عامًا.. وسرت أستند على عكاز حيث أن مفاصلي ورجليّ باتت لا تقويان على حملي دون مساعدة.. بجانب أنني لم يعد لدي الصبر والقدرة على التعامل مع الزبائن كالسابق عندما كنت بقوتي وصحتي.

علي: ولماذا تبعها؟.. لماذا لا يأتي أحد من أولادك أو أسرتك لمساعدتك؟

عم طلبة: أولادي؟! وأين هم أولادي؟.. كلهم تركوني.. أنا عندي أربعة بنات وثلاثة صبية.. البنت تزوجت رجلًا من بدو مرسى مطروح.. يمتلك أراضي كثيرة يتاجر بها.. بالإضافة إلى تجارة الأغنام وبضائع تأتي من ليبيا، ولم تأت لزيارتي منذ أكثر من خمسة عشر عامًا.. لدرجة أنني لا أعرف عن أولادها أي شيء، أقصد أحفادي، أما الثلاثة صبية.. اثنان هاجرا إلى اليونان منذ وقتٍ طويل والثالث هاجر إلى إيطاليا، ولم يعد منهم أحد حتى على سبيل الزيارة لرؤيتي والاطمئنان علي.. أتصدق هذا!!؟

علي: لا تحزن أيها الرجل الطيب، فكلنا بجوارك، كنت أريد أيضًا أن أعرف ماذا تفعل بالحمص!.. من أين تأتي به؟ وأسعاره وكيفية طهيه؟ وكيف تنقله إلى العربية وجميع هذه التفاصيل؟

عم طلبة: هناك طريقتان.. الأولى: أن تقوم بملء كل شيء بنفسك من الألف إلى الياء.. بمعنى أن تشتري الحمص بكميات كبيرة وبسعر الجملة من التجار في (المنشية) ثم تأخذه إلى بيتك وتشتري قدرين

كبيرين لطهي الحمص.. وتطهو بنفسك أو أحد من أهل بيتك ثم تنقله إلى العربية في منطقة كوبري ستانلي، هذه الطريقة أنا لا أتبعها، هي صعبة للغاية.. ربما يكون فيها توفير بعض المال لكنها تحتاج إلى عملٍ شاق ومجهود، أما الطريقة الثانية: فتقوم بالاتفاق مع متعهده، يقوم هو بعمل كل شيءٍ ويمر عليك مرتين في اليوم، يحضر لك قدر الحمص حتى عربتك ويأخذ القدر الفارغ، ثم يمر مرة أخرى وهكذا، وتدفع له نظير ذلك.. فلا تشتري أنت حمص ولا تطهوه ولا تحمله ولا أي شيءٍ، وهذا ما أفعله أنا.. أنا فقط أمتلك أدوات تقديم الحمص، ألا وهي الأكواب الزجاجية والأكواب البلاستيكية التي تضع فيها الأكواب الزجاجية الساخنة كي تعزل الحرارة عن يد الزبون والملاعق الطويلة وكفى..

علي: معك حق، الطريقة الثانية أكيد أفضل وتناسب ظروفك أكثر، أنا لا أستطيع أن أطهو الحمص وكذلك زوجتي.. صعب عليها ذلك لأنها مريضة.. ولا تقوى على فعل أي أعمالٍ زائدة..
عم طلبة: شفاها الله.

علي: ومتى أستطيع أن أبدأ وكم تطلب؟

عم طلبة: أرى أنه الأفضل أن تأتي معي كل يوم ولمدة أسبوع للتدريب على العمل ومعرفة كل التفاصيل، وخلال هذه الفترة نصدر لك التراخيص والشهادة الصحية، أما عن النقود.. أنا لم أطلب الكثير.. خمس عشرة ألف جنيه.. وأضمن لك أنك ستربح منها الكثير وتفتح لك بيتك دون الحاجة لأحد.

في هذه الأثناء عاد (جيوشي) وانضم لهما بعد أن طلب كوبًا من الشاي الثقيل وسمع آخر جملة من الحوار..

جيوشي: يا عم طلبة.. أنت رجل طيب وأخونا (علي) ظروفه صعبة، هل من الممكن أن تقلل هذا المبلغ، وستكون أنت الربح ولك الثواب؟
عم طلبة: هذا صعب لكن يمكن أن أكتفي بأحد أربعة عشر ألف جنيه فقط.

جيوشي: أرى أن اثني عشر ألف جنيه مبلغ مناسب.
عم طلبة: بارك الله لك.. تستطيع يا (علي) أن تبدأ معي من باكر صباحًا.

علي: أعطني مهلة يومًا واحدًا.. أخبر صاحب محل العصير.. هو ينتظرنى للعمل في الغد، ولا أستطيع أن أعامله هكذا.. هو راجل طيب وكان يحسن معاملتي، سأبدأ معك من بعد غد صباحًا وأكون معك على أتم استعداد ونقوم بالإجراءات الحكومية أيضًا وعمل الشهادة الصحية..

مد (جيوشي) يده في جيبه وأخرج ألف جنيه أعطاها لعم طلبة قائلاً:
”هذا (عربون) يا (عم طلبة) وقريبًا ندبر لك بقية المبلغ.“

نظر (علي) إلى (جيوشي) وكأنه يعاتبه أو يتساءل.. ألف جنيه.. وبقية المبلغ.. كيف أستطيع أن أدبر كل هذه المبالغ؟

تبادل (جيوشي) النظرات مع (علي).. وكأنه يرد عليه قائلاً: لا تقلق، الله معنا.. يدبرنا ويدبرها.

عاد (علي) إلى البيت فرحًا بإبرام اتفاق مع (عم طلبة) على بدء العمل معه للتدريب من بعد الغد، وفرح أيضًا أنه أخيرًا سيخفف عنه عذاب الأعمال الشاقة والأحمال الثقيلة التي كان يعانها كل يوم.. ولكن كان داخله هم ثقيل لا يستطيع الهروب منه.. من أين له تدبير اثني عشر ألف جنيه كي يصبح مالكا للعربة والمكان المميز الذي تقف فيه؟ دخل علي (وداد) وجدها تخطط بعض الملابس المهترئة.. تخطيطها بدقة وعناية ثم تعيدها إلى حالتها الأولى وكأنها جديدة، لاحظت الهم في عيني زوجها، أمسكت بيده وقبلتها قائلة: لا أعلم ما بك بالضبط؟ لكن أشعر بالهم داخلك ينغص عليك حياتك.. لا تقلق.. فالله هو مدبر هذا الكون بما فيه.. ونحن الضعفاء.. جزء من هذا الكون.

نزل كلام (وداد) بردًا وسلامًا على قلب (علي) دون أن تدري تفاصيل ما هو مقدم عليه.. ولأول مرة ينام (علي) براحةً وأمانٍ شديدين.. رغم أنه لا يجد الإجابة على السؤال؛ من أين له أن يدبر مبلغ اثني عشر ألف جنيه؟

بدأت تصفيات أوائل الطلبة بين محافظات الجمهورية، مدرسة واحدة تمثل كل محافظة، وكانت مدرسة الشهيد يوسف السباعي، المدرسة الممثلة لمحافظة الإسكندرية، العاصمة الثانية لمصر.. وهؤلاء الخمسة طلاب هم الممثلون عن المدرسة.. أي هم الممثلون عن المحافظة بأكملها، محافظة ذات ٧ ملايين نسمة، وهذا الطفل الصعيدي الأصل، أهم فرد في الخمسة تلاميذ.. وكان الترتيب أن

تقام التصنيفات كلها في يوم واحد في القاهرة حيث تحضر مدارس المحافظات كاملة، أي ثلاثين مدرسة يمثلون ثلاثين محافظة، كل مدرسة بها خمسة تلاميذ.. أقيم جدول مرحلة أولى حيث تتلاقى كل مدرستين وتخرج المدرسة الخاسرة، ثم مرحلة ثانية مثل الأولى، وتخرج أيضاً مدرسة خاسرة، وفي المرحلة الأخيرة، يحسم اللقاء بين آخر مدرستين، الفائز منها يكون الفائز بالمركز الأول، وبالفعل ذهب مدير المدرسة والوكيلة (أبلة رتيبة) بصحبة التلاميذ الخمسة في حافلة صغيرة بالصباح الباكر متجهين إلى القاهرة للقاعة الكبيرة التي ستقام عليها التصنيفات.. وهناك منصة تشبه خشبة المسرح.. مكونة من ثلاثة أجزاء؛ طاولة يجلس عليها خمسة كلاب، وبعدها منصة صغيرة للأستاذ الذي يلقي الأسئلة، وبعدها طاولة أخرى يجلس عليها خمسة تلاميذ أيضاً..

مرت المرحلة الأولى، انتصرت فيها مدرسة الشهيد يوسف السباعي، على المدرسة التي كانت تنافسها.. وأجاب التلاميذ كل الأسئلة بشكل صحيح.. وكان من الواضح أن (نادي) الذي يجلس وسط التلاميذ الخمسة، أي اثنان عن يمينه واثنان عن يساره، هو المميز والذي يستطيع أن يجيب بشكل سريع وبلا تردد، وبعد فترة من الوقت الطويل، وقاربت التصنيفات على النهاية.. لم يتبق إلا مدرستان للمرحلة النهائية، مدرسة لاطوغلي الابتدائية (القاهرة) ومدرسة الشهيد يوسف السباعي (الإسكندرية).. وعند بدء المسابقة وإلقاء الأسئلة، تدخلت مديرة الإدارة التعليمية وأوقفت إلقاء الأسئلة، ثم أخبرت الجميع أن

قوانين المسابقة وإلقاء الأسئلة في هذه المرحلة ستتغير.. في السابق كان يلقي سؤال على كل مدرسة ويتشاور الطلاب الخمسة ثم يتحدث أحدهم بالإجابة، ولكن الآن سيلقى سؤال على كل طالب على حدة، وهو وحده الذي سيجيب عليه دون مساعدة أو تشاور مع الزملاء الأربعة الآخرين..

قامت المديرية بهذا الإجراء بعدما انتبهت إلى براعة (نادي) وأهمية وجوده بين الطلاب وأنها إذا استطاعت أن تحيده جانباً.. فربما تستطيع مدرسة لاطوغلي الفوز بالمسابقة، وقد اتضح فيما بعد أن ابنة تلك المديرية كانت واحدة من التلاميذ الخمسة في مدرسة لاطوغلي..

بدأت المسابقة بعد أن حاول مدير مدرسة الشهيد يوسف السباعي، العمل باللائحة القديمة، لكن مديرة الإدارة التعليمية أصرت على اللائحة الجديدة المعدلة وتم لها ما أرادت، دارت الأسئلة حول الطلاب في المدرستين، وكانت النتيجة أن أجاب طلاب مدرسة الشهيد يوسف السباعي، ثلاثة أسئلة صحيحة من خمسة أسئلة وبالنتيجة نفسها كانت مدرسة لاطوغلي، إذاً تعادل..

بعدها سيتم سؤال ثلاثة أسئلة لكل مدرسة.. وعلى طالبين من كل مدرسة مغادرة المنصة وبقاء ثلاثة طلاب فقط للثلاث أسئلة.. اختارت (أبلة رتيبة) الطلاب الثلاثة وكان بينهم (نادي).. وبعد الأسئلة؛ أجاب طلاب مدرسة الشهيد يوسف السباعي، على سؤالين من ثلاثة أسئلة، وكانت النتيجة نفسها للمرة الثانية لمدرسة لاطوغلي.. تعادل مرة أخرى، بعدها تم إنزال طالبين آخرين من كل مدرسة من المنصة ويبقى

طالب واحد لكل مدرسة.. اختارت (أبلة رتيبة) (نادي) ليقى ويستمر في المسابقة ليمثل المدرسة، واختارت إدارة مدرسة لاطوغلي طالبة للبقاء لتمثيل المدرسة..

تم توجيه سؤال إلى (نادي).. إجابة صحيحة

سؤال لطالبة مدرسة لاطوغلي، إجابة صحيحة

تعادل مرة أخرى.. ستستمر الأسئلة إلى أن يخفق أحدهم، فيصبح الآخر فائزاً..

الكل في الصالة أسفل المنصة واضعاً يده على قلبه، وتعالَت الأصوات، كان هناك أقارب كثير وأصدقاء يشجعون طالبة مدرسة لاطوغلي..

سؤال لمدرسة الشهيد يوسف السباعي، الإجابة صحيحة.

سؤال لمدرسة لاطوغلي.. الإجابة صحيحة

بعدها قدم الأستاذ الذي يوجه الأسئلة ورقة بيضاء وقلماً للطالب والطالبة، وألقى عليهما سؤالاً مطولاً وصعباً في الرياضيات مليئاً بالأرقام.. وأعطاهم ثلاث دقائق للوصول إلى النتيجة الصحيحة، وكان حل هذا السؤال يتطلب معرفة جيدة بعمليات الطرح والجمع والضرب والقسمة، والقسمة المطولة..

مرت الدقيقة الأولى والطالب والطالبة لا يتوقفان عن الكتابة، وفي الدقيقة الثانية في نهايتها، نهض (نادي) من مكانه وأعطى الورقة للأستاذ.. طلب منه الأستاذ أن يطويها ويعطيها له مطوية، وبعد دقيقة،

أي في الدقيقة الثالثة، طلبت الطالبة من الأستاذ أن يزيد لها دقيقة أخرى، أشار لها أن هذا صعب..

وإذا بمديرة الإدارة التعليمية تتدخل للمرة الثانية قائلة للأستاذ: لم لا؟ هل نسأل الجمهور الموجود بالصالة؟

ثم استدارت موجهة سؤالاً لكل من تواجد في الصالة:

هل توافقون أن نعطي طالبة مدرسة لاظوغي دقيقة أخرى؟

أجاب أغلب الحاضرين بصوت عالٍ: نعم.. نعم.. نعم نوافق.

نظرت إليه المديرية، هنا صاح الأستاذ: إذاً نعطي الطالبة دقيقة أخرى تبدأ من الآن.

وبعد مرور الدقيقة، توجه إليها الأستاذ.. وأخذ منها الورقة ثم طلب منها أن تطويها أولاً ثم عاد إلى منصبه..

ثم قال للجميع:

الإجابة الصحيحة، هي ٤٣٧٧.. دعونا نفتح الورقتين لنرى من منهما وصل إلى الإجابة الصحيحة.. وإذا أخفقا، نستمر في السؤال.. وإذا تعادلا، نستمر أيضاً في الأسئلة، أما إذا أخفق أحدهم، فتكون إجابة الآخر هي الصحيحة، ويكون هو الفائز..

مرت لحظات عصيبة على (نادي) قلبه يدق بشدة ويدعو الله سرّاً أن يمنحه النجاح..

وكذلك كان العرق يتصبب من جبين المدير و(أبلة رتبية)..

فتح ورقة (نادي) أمام الجميع وكان الناتج النهائي هو ٤٣٧٧ .. فرح (نادي) وأخذ يردد: الحمد لله .. الحمد لله .. الحمد لله .

وكذلك فرحت (أبلة رتيبة) .. وأشار المدير بيده تحية لـ (نادي) .. بعدها فتح الأستاذ ورقة طالبة مدرسة لاطوغلي، وكان الناتج النهائي ١٧٧ .. الإجابة خطأ.

طار (نادي) فرحاً .. وركض إلى (أبلة رتيبة) ومدير المدرسة، لكن المديرية صاحت بصوت عالٍ: "كيف هذا؟ لا بد في الأمر شيء خطأ .. من قال أن هذا الناتج خطأ؟ .. دعوني أرى بنفسي، وهنا سارت بجوارها (أبلة رتيبة) حيث هي في الأصل كانت مدرس أول لمادة الرياضيات، وتمت مراجعة خطوات كل طالب، وبالفعل كانت خطوات (نادي) كلها صحيحة، وأدت إلى الناتج الصحيح، أما الطالبة المنافسة، فقد أخطأت في إحدى الخطوات، بدلاً من أن تقوم بضرب رقمين، قامت بجمعهما، ولهذا كان الناتج النهائي أقل بكثير وبعيداً عن الناتج الصحيح.

لم يصدق (نادي) نفسه!!

إنه الأول على محافظة الإسكندرية وهو الأول على مستوى الجمهورية

وقف بجوار المدير والوكيلة لالتقاط الصور وأبسوه وشاحاً باللون الأخضر مكتوب عليه (المركز الأول) ثم ألقّت المديرية التي كان الحزن يبدو عليها واضحاً وجلياً، كلمة، شكرت الجميع وهنأت الفائز والمدرسة الفائزة، وقالت بأن الجوائز ستأتي إلى المدرسة في صورة شيكات .. شيك باسم مدرسة الشهيد يوسف السباعي، بمبلغ ٢٠ ألف

جنيه، شيك باسم (نادي علي أبو زيد) بمبلغ ١٠ آلاف جنيه.. شيك باسم مدرسة لاظوغلي - المركز الثاني - مبلغ ١٠ آلاف جنيه.. شيك باسم مدرسة أسوان - المركز الثالث بمبلغ ٥ آلاف جنيه..

جلس (صفوت) على مائدة الإفطار صباحًا وكانت (مشيرة) جالسة في الكرسي المقابل له بملابس المدرسة، غمزها (صفوت) بعينه.. بطريقة فهمت منها أنها لا تقلق بشأن ما طلبت لـ (شادي).. بخصوص إقامة الحفلات ودعوة الأصدقاء والأقارب وأيضًا بخصوص شراء حيوان أليف، وكانت (صافيناز) في المطبخ تعد (الساندوتشات) لـ (مشيرة، وأيمن) ووضعها في (اللانچ بوكس) لأخذهما للمدرسة..

وإذا بـ (صفوت) يضع علبة صغيرة من القطيفة الزرقاء في الطبق المخصص لإفطار (صافيناز).. وما إن عادت بعلب الطعام المخصصة للمدرسة.. حتى جلست على مقعدها وفتحت الغطاء الذي كان فوق طبقها.. شاهدت تلك العلبه الصغيرة.. ما هذا؟ وبابتسامه مليئه بالسعادة، نظرت إلى (صفوت) وبجواره (أيمن) وفي المقابل تجلس (مشيرة)..

قال (صفوت): افتحيها.. إنها لك.

شهقت شهقة عالية بعد أن فتحت العلبه.. غير مصدقه أنه الخاتم (السوليتير) الذي طالما حلمت به، أمسكت به ووضعته في إصبعها.. ولم تخف ضحكة عالية خرجت منها، قامت وقبلت (صفوت) قائلة: أخيرًا حققت لي أميتي.. كم أنا سعيدة! كنت أظنك لا تحبني وبدأت تكرهني.

انطلق نفير صوت حافلة المدرسة التي تقل (مشيرة، وأيمن).. بعدها سألت (صافيناز) (صفوت) وهي تضغط على أسنانها وقالت بعينين ضيقتين:

لكن لماذا كل هذا العطاء والحنان ونحن نتشاجر تقريباً يومياً؟.. كيف لك بشراء مثل هذا الخاتم الماسي؟.. ومن أين لك بتلك الأموال؟.. ألم تدعي ضيق ذات اليد والفقير دائماً؟!!

صفوت: نجحت في بعض القضايا وحصلت على أتعاب سخية.. ولكن الموضوع الأهم هو أنني أربي لك رغباتك.. فهل تلبين أنت أيضاً لي رغباتي؟

صافيناز: رغباتكم.. وما يمكن أن تكون تلك الرغبات؟

صفوت: إنها ليست رغبات شخصية لي.. إنها تخص ابنا (شادي). صافيناز: وما علاقة (شادي) بشراء خاتم (سوليتير) لي.. كنت أظن أن من المستحيل أن أقتنيه؟!!

صفوت: (مشيرة) سبق وأن تحدثت معك في أمرين.. أحدهما: إقامة بعض الحفلات لإدخال البهجة والسرور على (شادي) وأيضاً مساعدته في الاندماج بالمجتمع، وأن كل من حوله يتقبله كما هو.. والأمر الثاني: هو تربية حيوان أليف.. حيث أن (مشيرة) قالت بأنه ربما يساهم في شفاء (شادي) ولو بعض الشيء.

صافيناز: هم م م م، الآن فهمت، قل لي هكذا.. وأنا أتساءل؛ لماذا اشتريت لي الخاتم؟ عموماً أنا لست أقل منك حباً لـ (شادي)..

سأضحى من أجلكم وأقبل فكرة الحيوان وأيضًا فكرة الحفلات، ولكن ما بخصوص الحيوان.. أرجو أن يكون كلبًا صغيرًا، فأنا أكره وأخاف من القطط، ولي شرط.. لا يطلب مني أحد خدمة أو الاهتمام بالكلب، جميع احتياجاته مسؤولية (مشيرة).

قال (صفوت) فرحًا: "حسنًا.. اتفقنا.. هذا جيد.. سأبلغ (مشيرة) لتبدأ في إعداد حفل في أقرب وقت.. وأيضًا في البحث عن كلبٍ صغير حديث الولادة كي يعتاد عليه (شادي) ويني معه علاقة طيبة."

كانت (صافيناز) تتحدث ولم ترفع عينيها من على الخاتم الذي وضعت في يدها، وكانت سعيدة سعادة لا توصف وبدلت الأفكار التي كانت مزدحمة في رأسها بأن علاقتها بـ (صفوت) وصلت لطريق مسدود.. طريق اللا عودة.. وأنها تكاد تكون متأكدة أنه لم يعد يحبها.. بل يكرهها.. ولكن مع ظهور هذه الهدية الثمينة.. تبدلت أفكارها إلى النقيض تمامًا حيث شعرت من خلال هذا الخاتم الثمين، أنه يصلحها ويعلن عن حبه وعشقه لها من جديد.. ولهذا ستصفح عنه وتعطي نفسها فرصة أخرى لمحبهته ومواصلة الحياة معه..

بالطبع لم تكن (صافيناز) تعلم ما حدث في الليلة السابقة.. حيث توجه (صفوت) بصحبة (ميادة) لشراء (الشبكة).. حيث أن ميعاد وزاجهما قد اقترب بعد أن بدأت الشقة في مراحلها النهائية من أعمال الديكورات.. وبينما كانت (ميادة) منشغلة بمشاهدة تشكيلة كبيرة من المشغولات الذهبية.. (الشبكة) أخرج صفوت من جيبه ورقة مقطوعة من مجلة.. التي كان بها إعلان عن الخاتم (السوليتير) ذي الماركة

الإيطالية الشهيرة.. والذي كانت (صافيناز) تلح على (صفوت) لشراؤه منذ أن رأته في المجلة.. وسأل البائع عما إن كان هذا الخاتم موجودًا وكم ثمنه.. وظهرت علامات الأسف على وجه البائع.. إذ قال: "للأسف يا (صفوت بك) ليس لدينا الخاتم الأصلي.. لكن يوجد نسخة مقلدة منه.. طبق الأصل.. وبسعرٍ زهيد للغاية."

فرح (صفوت) عند سماع ذلك.. فطلب من البائع أن يراه.. فأجابه البائع: "نحن هنا نبيع الأصلي فقط ولا نتعامل فيما هو مقلد.. لكن يوجد محل آخر على الرصيف المقابل يبيعه.. سأرسل في طلبه لك."

ثم صاح البائع على صبي يعمل عنده وعرض عليه صورة الخاتم ثم طلب منه الذهاب إلى المحل المقابل لهم وإحضار الخاتم، وإخبار صاحب المحل أنه سيعيده له وأسأل أيضًا عن ثمنه..

عاد الصبي بصحبة الخاتم.. فرح به (صفوت) وقرر أنه سيشتريه، ولكن له طلب.. أن يوضع في علبة من علب هذا المحل الذي هو فيه لشراء (شبكة ميادة) وافق البائع.. وبالفعل اشترت (ميادة) الشبكة التي رأتها مناسبة لها.. و(صافيناز) لا تعلم أن ما في إصبعها وملتفًا حوله.. هو تقليد وليس أصلي.. زهيد الثمن.. لا يساوي شيئًا تقريبًا..

وبهذه الحيلة البسيطة والعلبة القטיפية الزرقاء التي عليها شعار أحد أكبر محلات المجوهرات، استطاع صفوت إخماد نار (صافيناز) وتحقيق الهدوء وإعلان الهدنة معها، وأيضًا تحقيق مطالب (مشيرة) والتي لا تخصها بل لمساعدة شقيقها (شادي)..

وفي الوقت ذاته بدأ (صفوت) حياة جديدة مع (ميادة) والتي شعر معها بالتعويض عن السنين السوداء التي قضاها مع (صافيناز) ولولا ظهور (ميادة) في حياته في الوقت المناسب لظل هكذا (صفوت) يدور في ساقية (صافيناز) كالثور المعصوب العينين، فيدور ويدور.. ويدور.. بلا توقف وبلا أمل للنجاة أو إصلاح الحياة مع المستبدة (صافيناز).
كانت (مشيرة) أسعد إنسان في البيت بعد أن أعطاه (صفوت) وكذلك (صافيناز) الضوء الأخضر للترتيب لإقامة حفل لطيف على شرف (شادي) وكذلك اقتناء جرو (كلب) صغير يكون من اختيارها هي..

وعلى الفور أمسكت بورقة وقلم، وكتبت أسماء كل من تعرف أو لديهم صلة بهم.. وكذلك قامت بدعوة أصدقائها من المدرسة والنادي.. ثم تركت مساحة لأصدقاء (صافيناز) وكذلك (صفوت) وأيضاً (أيمن).. وبعدها جلست إلى مكتبها الصغير الموضوع فوقه كمبيوتر وطابعة.. وبدأت في عمل تصميم لطيف لكروت الدعوات التي سترسلها أو توزعها على المدعوين، وبالفعل.. صممت كارتاً لطيفاً للغاية عليه صورة وجه (شادي) بالحجم الكبير واسمه.. وتحتها عبارة تحوي "التشرف بدعوتكم لحضور الحفل" .. ثم وضعت الميعاد والتاريخ بعد أن استشارت أمها في تحديد اليوم حيث أن (صافيناز) هي المسؤولة عن (بوفيه) الطعام والحلوى والمشروبات.. بعدها ضغطت على الزر الذي يعطي الأمر للكمبيوتر بأن يرسل هذه البيانات إلى الطابعة لطباعتها.. ثم توجهت إلى محل قريب إلى بيتهم يبيع أدوات

زينة للحفلات وأعياد الميلاد.. والتقطت من هناك أشياء رقيقة لزينة المنزل والكثير من البالونات الملونة.. وكانت (مشيرة) سعيدة كأن هذا الحفل لها هي..

وفي اليوم التالي.. في المدرسة.. بدأت (مشيرة) تسأل كل زميلاتهما.. وتخبرهم برغبتها في اقتناء وتربية كلب صغير حديث الولادة.. من تعرف طريقاً للمساعدة فلتبلغها، وأيضاً سألت المدرسات.. وتوجهت إلى الأخصائية النفسية التي هي صاحبة الفضل في هذه الفكرة.. وسألتهما عما إن كانت تعرف أي كلب صغير للتربية.. والمفاجأة أنها أوامت إليها برأسها.. أي.. نعم.. أعرف

إن لها أختاً تهتم بالحيوانات ومتطوعة في جمعية الرفق بالحيوان ومن السهل عليها أن تجد لها كلباً من سلالة جيدة ويكون حديث الولادة..

كل شيءٍ يسير كما أرادت (مشيرة) وبين هذا وذاك.. فهي تقضي بقية وقتها في استذكار دروسها.. واللعب مع (شادي) وقضاء وقت مرح معه وأيضاً محاولة تعليمه أساسيات حروف اللغة العربية..

فدائماً ما تضع أمامه ٢٨ مكعباً من الخشب.. كل مكعب مكتوب عليه حرف باللغة العربية ومن الجهة الأخرى، صورة لحيوان أو طائر يبدأ اسمه بهذا الحرف..

ولديها أيضاً العديد من الصور لحيوانات وطيور.. تستعين بها ليعرف (شادي) شكل الحيوان وكذلك الصوت الذي يصدر منه.. فتقوم (مشيرة) بتقليد صوت البقرة أحياناً وأحياناً أخرى زئير الأسد،

ومرة ثالثة صوت طائر الكروان.. وهذه الأدوات دائماً موضوعة بجوار (شادي)..

كاد عقل (باولو) أن يتوقف عن العمل.. مرت ثلاثة أيام دون أن يرى (ناهد).. لقد اعتاد على لقاءها ورؤيتها كل يوم تقريباً.. وكل يوم هناك جديد من الزيارات للمتاحف التي لا ينتهي عددها أو المساجد الأثرية أو الغداء على ظهر باخرة نيلية مع جولة في نهر النيل العظيم.. أو قضاء اليوم بين الأهرامات الثلاثة وأبي الهول.. ومرة أخرى زيارة الفيوم بجمال بحيرة قارون وشلالاتها.

وشعر مع هذا التوتر.. أن هناك شيئاً مهماً للغاية ينقص بغياب (ناهد) ولا يعوضه أي إنسانٍ آخر.. أو أي نشاطٍ يمكن أن يقوم به لتمضية الوقت، عقله يفكر فيها دوماً.. وقلبه يدق بشدة خوفاً عليها ولهفة إلى لقاءها.. أما لسانه فيتحدث دائماً بلا صوت مسموع.. يسألها ويعاتبها على اختفائها.. يتغزل بشعرها المنمق أو عطرها الفواح أو بساطة ملابسها.. أو عذوبة صوتها وأحياناً ألوان أظافر يدها..

يشعر بوحدة وغربة.. بالطبع هو في غربة.. فهو مجرد سائح مكسيكي يعيش في مصر بصورة مؤقتة، يزور ويتجول وبعدها يعود أدراجه إلى بلاده.

ولكن منذ أن التقى (ناهد).. لم يشعر أنه غريب.. تلاشى إحساس الغربة وأنه سائح في بلاد أخرى.. يشعر كأنه في المكسيك ولكن فقط انتقل من العاصمة "مكسيكوسيتي" إلى ولاية أخرى للتنزه.. ما زال محدثاً نفسه: "لا بد أن أفعل شيئاً."

لم يستطع النوم، انتظر حتى الصباح والديقة من الوقت تمر كأنها الدهر.. وما أن دقت الساعة الثالثة حتى خرج وتوجه إلى المكتب الذي تعمل (ناهد) من خلاله، وهناك تقابل مع صديقتها التي سبق أن زارتها وأتت بالخبر اليقين، أن (ناهد) انفصلت عن زوجها وتعيش مع أبيها..

طلب منها أن تصاحبه وتأتي معه لزيارة (ناهد) فهو يريد لها في أمرٍ هام.. أجابته بسخرية شديدة: "هل فقدت عقلك؟.. نحن هنا في القاهرة.. و(ناهد) مقيمة في الإسكندرية.. هل تدرك هذه المسافة؟"

باولو: أعدك أننا سنذهب ونعود قبل حلول المساء.. أنا بحثت الأمر جيداً ونظرت في الخرائط ومدرك جيداً للمسافات والأوقات والزحام أيضاً.. أرجوك.. أرجوك.. قومي بإسداء هذه الخدمة لي.. أنت لا تعلمين كم العذاب والألم الذي أعيشه كل لحظة.. وربما (ناهد) أيضاً تكون في أشد الاحتياج لوجود أصدقاء حولها.

رق قلب الصديقة، ووافقت على مضمض وعلى وعدمه أن تعود قبل المساء كي لا تقع في مشاكل مع أسرتها إذا تأخرت..

استقلا سيارة (ليموزين) مخصوصة.. وكاد (باولو) من العجلة أن يطلب من السائق الذي كان يقود السيارة وملتمساً بالسرعة القانونية.. أن يبدا الأماكن ويقود (باولو) السيارة مكانه وبأقصى سرعة وإن التقطه الرادار سيدفع المخالفة.. لكن يريد أن يصل بأقصى سرعة..

وبالفعل وصل (باولو) ومعه صديقه إلى بيت والد (ناهد) في حدود الثانية عشرة ظهراً.. سعدت الصديقة ودقت جرس الباب.. فتح

لها الأب الدائم التواجد في المنزل حيث أحيل إلى التقاعد منذ عدة سنوات..

رحب بها.. فهو يعرفها جيداً.. ودعاها للدخول.. وإذا بالصديقة تستأذن أن هناك صديقاً قد أتى بصحبته لزيارة (ناهد) والاطمئنان عليها.. بالطبع رحب الأب.. ودخل (باولو) إلى الشقة، ثم جلس على مقعدٍ قديم بعض الشيء لكنه مريح..

أبلغ الأب (ناهد) بوجود الضيفين.. خرجت إليهما (ناهد) بعدها بعدما أصلحت هندامها.. خرجت إليهم وهالة من النور تحيط بها.. هكذا رآها (باولو) كأنه ملك منير أتى نحوه.. رقص قلبه فرحاً وسعادة وتسارعت أنفاسه مع ابتسامة عريضة وعينين لامعتين، انعكس بريق ظهور (ناهد) عليهما وكأنها امرأة..

يا لها من لحظةٍ فارقة في حياة (باولو)!.. لن يشعر بسعادةٍ في حياته أبداً كما يشعر الآن عندما طلت تلك المرأة المصرية بنورها قادمةً إليه.. تصافحاً باليد.. وشعر بقشعريرة تسري في بدنه.. ردت إليه روحه الغائبة، تبادل حديثاً يدور أغلبه حول صحة (ناهد) وأنها لا بد وأن تستعيد نشاطها وتعود للعمل مرة أخرى وأن تدع الأيام تصلح ما كسره الآخرون..

دق جرس الباب.. نهض الأب وفتح الباب.. كان هناك رجل يحمل دفترًا وأوراقاً في يده.. سأل على السيدة (ناهد منصور) سارت إليه (ناهد) بعدما سمعت اسمها وأن هذا الرجل يسأل عليها.. طلب منها التوقيع باستلام تلك الوثيقة.. وبعد أن وقعت..

نظرت فيها.. وجدتها (وثيقة طلاق)!

عاد (نادي) بعد الانتصار العظيم والحصول على المركز الأول.. إلى الإسكندرية حيث بيته.. إلى حضن أمه (وداد) سعيداً للغاية غير مصدق أنه الأول على المحافظة ثم على الجمهورية.. في السابق كانت أقصى أحلامه هو أن يكون الأول على مدرسة ثم على القرية.. قرية النخيلة - مركز أبو تيج - أسيوط، والتي لا يتعدى تعداد سكانها خمسين ألف نسمة.. الآن هو الأول على الإسكندرية ثم على الجمهورية التي يزيد سكانها على المائة مليون نسمة.. يا له من عوض من الله ونصرة بعد كم الإهانات والسخرية التي تعرض لها من أناس أمثال (نادر) وغيره! استقبلته أمه (وداد) بفرحةٍ شديدة، تناست معها الآلام التي كانت تهاجمها منذ لحظات قليلة.. وأطلقت زغرودة مدوية.. أتت على إثرها أخت (نادي) الصغيرة (ألفت) والأخ الأكبر (راشد)..

كان الجميع في فرحةٍ شديدة..

وفي اليوم التالي.. تسلم (نادي) بحفل المدرسة وبعد تكريمه شيئاً بمبلغ عشرة آلاف جنيه ومدوناً باسم ولي أمره.. الأب.. داخل مظروف أنيق.. فتح (نادي) المظروف وأخرج الشيك وقرأ ما فيه.. حيث كانت هذه هي أول مرة يتسلم جائزة مالية وعلى شيك بنكي وأيضاً لأول مرة يرى فيها شكل الشيك البنكي.. كان يسمع عنه فقط..

(يصرف إلى السيد/ علي أبو زيد همام، مبلغ ١٠,٠٠٠ جنيه فقط لا غير - عشرة آلاف جنيه فقط لا غير

إمضاء

مدير الإدارة التعليمية)

تمنى (نادي) في هذه اللحظة، أن يوضع هذا الشيك في إطارٍ ذهبي..
ويعلق على الحائط في بيته..

وبينما هو شارٍد بخياله بعيداً.. إذ تقدم إليه المدير وقدم له شهادة تقدير باسمه وأنه حاصل على المركز الأول في مسابقة أوائل الطلبة وسط تصنيف من جميع الحاضرين.. فكانت الصالة ممتلئة بالطلاب وعائلاتهم إلا من أسرة (نادي).. حيث الأم مريضة والأب الذي يلهث وراء لقمة العيش..

عاد (نادي) إلى البيت.. ولم تكن أمه تعلم أنه سيحصل على مبلغٍ مالي.. كانت تظن أنه تكريم معنوي وأدبي فقط..

دخل عليها (نادي).. وكانت في المطبخ تعد طعام الغداء.. وقف خلفها وأخرج الشيك من المظروف ثم قال لها: "أمي.. استديري ببطءٍ وانظري ما في يدي".

استدارت (وداد) لتجد ورقة صادرة من بنك وعليها اسم زوجها والمبلغ (عشرة آلاف جنيه) صرخت واحتضنت (نادي) بشدة قائلة:

"يا فرج الله.. يا فرج الله.. لك الحمد والشكر يا رب.. التداير من عندك.. ورحمتك بعبادك وسعت كل شيء.."

أبوك يا (نادي) كان في أشد حالاته لتدبير مبلغ عشرة آلاف جنيه.. ثم يرسل الله لنا هذا المبلغ عن طريقك أنت.. أنت نور وبركة هذا البيت يا ولدي.. أنت فرحتي الكبرى.. لن نستدين ويستطيع أبوك أن يكون صاحب العمل الذي يريده ويبدأ عهدًا جديدًا، وإن كان به تعب وشقاء، فهذا يرجع مردوده إلى أبيك وليس إلى صاحب عمل آخر يجني ثمار تعب وعرق وشقاء من يعملون عنده..

أخيرًا.. تم حل المشكلة وبشكلٍ أسرع مما يتخيله أحد.. لك الحمد والشكر يا رب.

قام (علي) بصرف الشيك من البنك والتوجه إلى (عم طلبة) وأعطاه النقود ثم قام بعمل الإجراءات القانونية.. وصار هو المالك لعربة حمص الشام الواقعة بشكلٍ قانوني عند كوبري استانلي.. في حي استانلي.. هذا الحي الذي توجد فيه فيلا (نادر)..

أتم تدريبه مع (عم طلبة) وعرف جميع أسرار تلك المهنة والجوانب الإيجابية والسلبية.. بعدها بدأ عمله وحيدًا.. وهو صاحب العمل والمالك الجديد لعربة حمص الشام.. الذي اعتاد عليها الناس في الصباح والمساء.. وبسرعة تأقلم الزبائن مع المالك الجديد (علي) وبابتسامته استطاع أن يجذب عددًا كبيرًا من الزبائن يومًا بعد يوم..

وكان يهتم بالنظافة بشكلٍ كبير.. فالأكواب والملاعق دائمًا نظيفة.. ويضع بجانبه سلة مهملات.. فلا يلقي أي شيء على الأرض..

وكانت ملابسه دائمًا نظيفة وذقنه حليقة منمقة.. وبدأت أحواله تتغير، فلم يعد ساكتًا شاردًا بذهنه كما كان من قبل.. بل صار مبتسمًا

بشوشاً مقبلاً على الحياة وعلى العمل الذي هو فيه الرئيس والمرؤوس..
ويكفي أنه يعمل في الهواء الطلق على كورنيش الإسكندرية أمام البحر
الأبيض المتوسط، ويقف على كوبري قد بني على الطراز الإيطالي
اليوناني.. مستوحى من تصميم قصر المنتزه..

تم الاتفاق بين (صفوت) و(ميادة) على تحديد موعد عقد القران..
واتفقا على أنه لن يكون هناك حفل للزفاف.. لكنهما سيخرجا سوياً
لقضاء السهرة والعشاء.. وحددا يوم السبت القادم..

أنهت (مشيرة) بطاقات الدعوة لحفل (شادي) وقدمت مجموعة
منهم لأبيها لدعوة أصدقائه، وحددت يوم الجمعة القادم لإقامة الحفل..
أي قبل يوم واحد من زفاف أبيها على سكرتيرته (ميادة)..

أعطى (صفوت) أثناء اجتماعه — (نادر بك) بطاقة دعوة لحضور
الحفل على شرف ابنه (شادي) المعاق جسدياً ويجلس على كرسي
متحرك.. وأن هذا الحفل مقام على شرفه وله أهمية خاصة وتأثير
إيجابي في حالته النفسية.

ثم طلب (صفوت) من (نادر) الحضور هو وأهل بيته.. أهلاً بهم..
أجابه (نادر) بأنه ليس له من أهل غير ابنته الوحيدة (دنيا) فسيصحبها
معه..

عندما أخبر (نادر) (دنيا) بأمر الحفل.. اعتذرت عن الحضور مع
أبيها.. فسألها عن السبب.. إنه مجرد حفل لأحد مستشاريه ومقام على
شرف ابنه..

دينا: كيف تطلب مني أن أحضر معك حفلاً وأكون سعيدة ومبتسمة وأنت قد كسرتني.. وحولتني إلى حطامٍ وأشلاء؟!!

نادر: أنا.. أنا أفعل بك هذا.. ربما أنت لا تدركين مدى حبي لك واهتمامي بك وخوفي عليك.. أنت النور الوحيد الذي يضيء حياتي.. عملي مليء بالصراعات والنزاعات والمنافسات والأعداء.. وعندما أعود إلى البيت لأراك أمامي.. تزول مني كل القلاقل والمشاكل.. فكيف تظنين أنني كسرتك أو أجرؤ أن أؤذيك؟.. لا أفهمك!

دينا: أمي.. أمي يا أبي.. أين هي؟ وماذا حدث؟.. كيف لبنت في مثل سني أن تعيش دون أم؟.. هل أدركت الآن أنك كسرتني؟.. وهذا الصبي المسكين (نادي) الذي أهنته وهددته وطرده وطارده وهو يقدم لي العون والمساعدة.. أليست هذه إهانة لي ولهذا الصبي البريء..

هل أدركت الآن وفهمت لماذا لا أستطيع أن أفرح دون أم وأيضاً لأنني ظالمة مثلك؟.. ظلمت هذا الصبي وأنا عاجزة عن نصرته.. جعلني أنا أيضاً ظالمة وانتهازيه ومنتفعة..

نادر: كبرت يا (دينا).. صرت تستخدمين كلمات وألفاظاً كنت أظنك أصغر كثيراً.. عموماً أنت معك حق.. أما عن أمك.. فأرجوك أن تتركي هذا الأمر جانباً الآن.. وسيأتي يوم قريباً.. أطلعك على تفاصيل كثيرة بخصوص هذا الأمر.. أما بالنسبة لـ (نادي).. فلك كل الحق.. أنا تأكدت بنفسني من كل شيء، هو فعلاً.. جاء لمساعدتك كما أنه ذكي ومتفوق بشكلٍ مبهر.. لكن اعذريني يا ابنتي.. رجل الأعمال مثلي.. يعمل في سوق العمل المفتوح وأرى وأتعامل مع جميع صنوف

البشر وأحياناً دون قصد أحكم على من أمامي من مظهره أو وضعه الاجتماعي.. أو وظيفته.. لكن أعدك أنني سأصلح كل هذا.. دعينا نبدأ.. ما رأيك أن تأتي معي إلى الحفل وندعو (نادي) للحضور معك كنوع من الترضية والاعتذار؟

دنيا: فعلاً.. هل يمكن يا أبي أن ندعوه ليأتي معنا؟

نادر: نعم يا حبيبتي.. لسببين.. الأول: أنك ابنتي وأحب أن أراك سعيدةً وألبي لك رغباتك.. وثانياً: أنني فعلاً حكمت ظلمًا على هذا الصبي وهو تحمل قسوتي معه.. ولم يكن يستحق تلك المعاملة وخصوصاً أنه كان يأتي لمساعدتك وحقق معك نجاحات لم يستطع تحقيقها الكبار ذوات الخبرة والدراية بعملية التدريس وإيصال المعلومة.. واضح أيضًا أن (عواطف) لها عندي حق المصالحة..

بدأت آلام الضرب المبرح على ظهر (دولت) في التلاشي.. ولكنها رغم ذهابها، تركت الألم النفسي ينهش روح وقلب (دولت) وأحياناً يكون الألم الجسدي والضرب بالسياط أخف وطأة وعذاباً من ألم الروح.. من الظلم ومن استقواء القادر على الضعيف.. وخصوصاً القادر المعذب.. هو الأخ الشقيق الكبير.. الأخ الوحيد.. من أين أتى بقلبٍ يرى أخته الصغرى تضرب وتعذب بالسيوط وييده هو؟ والأكثر ألمًا ووجعًا أنه جردها من تاج رأسها.. من شعرها الناعم المنسدل على ظهرها.. التي كانت تعتنى به لسنواتٍ إلى أن وصل طوله إلى أسفل الظهر.. والكثير من الفتيات يحسدونها على هذا الشعر الناعم الطويل الأسود اللامع.

شعرت بجوعٍ شديد.. نظرت حولها وفتحت لفافات الأكل.. فلم تجد إلا خبزاً يابساً وقطعة من الجبن وفي اللقافة الأخرى.. أيضاً خبز يابس وقطعة من الجبن، لم يكن هذا الطعام المفضل لديها.. لكن أنى لها أن تستهي أي طعام وهي على هذه الحالة.. مضروبة.. مجلودة.. حليقة الرأس.. تجلس في مكانٍ قذر.. ربما مليء بالحشرات والجرذان..

بعد أن فرغت من الطعام القليل، حاولت النهوض لتفقد المكان.. مظلم به رائحة عطنة.. غير محببة للنفس.. كريهة ربما للحيوانات.. توجد أكوام من (التبن).. وبعض أدوات الزراعة.. وفي النهاية يوجد حمام.. لم تكن لها الشجاعة لتنظر إليه..

حاولت أن تسترق السمع.. ماذا يحدث في الخارج.. ربما يمر أناس يتحدثون فتسمع أصواتهم وتستغيث بهم.. كان الهدوء قاتلاً ولا تسمع غير أصوات الريح وصوت نباح بعض الكلاب البعيدة.. ولم تسمع صوت عصافير.. معنى ذلك أن الأشجار تبعد بمسافة عن هذا الكوخ اللعين الذي شهد أيام عذابها.. كيف هذا؟! فتاة ضعيفة رقيقة تضرب بالسوط ويتم جلدتها، ويبدأ أخيها!!

لم يستطع (باولو) مغادرة منزل (ناهد) كما وعد صديقتها بالعودة إلى القاهرة في أسرع وقت.. إلا بعد أن اطمأن على (ناهد) وهدأت بعد نوبة بكاءٍ هستيرية طويلة..

عندها فقط.. طلب (باولو).. الحديث مع والد (ناهد).. واستعان بصديقتها للترجمة من إنجليزيته الركيكة.. للعربية لوالد (ناهد)..

جلس ثلاثتهم في حجرة الصالون..

بدأ (باولو) حديثه بطريقة غريبة وغير مألوفة لدى الشعب المصري..

باولو: أنا أريد أن أتزوج ابنتك (ناهد).

الأب: ماذا؟.. إنها مفاجأة.. لقد كانت متزوجة منذ الأسبوع

الماضي.. كيف تطلب هذا الطلب؟.. أنا مندهش للغاية!!

باولو: ربما أنا لا أستطيع استخدام طريقتكم في الكلام وعمل مقدمة

طويلة قبل أن أطلب ما أريد.. أنا تعودت على الأسلوب المباشر.

الأب: حسناً.. أنا أحترم فيك هذا.. لكن فقط الأحداث تسير بشكلٍ

سريع جنوني.. ابنتي كانت متزوجة من أسبوع، والآن مطلوب مني أن

أسلمها لرجل آخر لتتزوج.. هذا أمر صعب للغاية وأرجو أن تحترم

تقاليدنا وثقافتنا!

باولو: أنا بالفعل أحترم التقاليد والثقافة المصرية.. لكنني في الوقت

ذاته أعلم أن (ناهد) لن تصبح بخير إلا معي أنا.. أنا الوحيد القادر على

احترامها وحبها والحفاظ عليها دون ضغوط أو آلام.. وكلما أسرعنا في

الارتباط، كان هذا أفضل لها..

الأب: عموماً هي لا بد أن تقضي ثلاثة شهور دون الزواج.. هذا

يسمى عندنا بشهور العدة.. هل سمعت عنها؟

باولو: نعم قرأت عنها عندما كنت أقرأ عن تقاليد الزواج والطلاق

في الإسلام.

الأب: آه.. الإسلام.. حسناً.. إنك نطقتها بلسانك.. الإسلام.. كيف لك أن تتزوج من مسلمة وأنت غير مسلم؟.. هذا لا يجوز ولا يصح في ديننا.

باولو: لقد طلبت من (ناهد) منذ فترة كتباً عن الإسلام بالإسبانية، وأنا الآن عن قناعة تامة جاهز للتحويل من الكاثوليكية إلى الإسلام.. وسألت في هذا الأمر وعلمت أنه لا يستغرق أكثر من جلسة تعقد في الأزهر الشريف.. وتتم هناك المراسم ونطق الشهادتين.. وأثناء حياتي مع (ناهد) يمكن أن تعلمني كل ما تعرفه عن الإسلام وأنا سأقرأ أيضاً.

الأب: دعني أكون صريحاً معك.. أنا معجب للغاية بوضوح وصراحتك وأسلوبك المباشر البعيد عن المراوغة.. وأيضاً أفكارك المنظمة وقراراتك وأنت حسبت أمورك بكل تفاصيلها، وهذا يجعلني أطمئن على (ناهد) معك.. لكن الأمر لها هي إن وافقت.. فمبارك عليكما ولن يحدث شيء رسمي إلا بعد انقضاء شهور العدة.. وإن رفضت فأرجو أن تنسى هذا الأمر تماماً ولا تحاول أن تكرر طلبك.

باولو: متفقين.. ولك مني كل العهد والاحترام.

اتخذ (باولو) وصديقة (ناهد) طريقهما للعودة إلى القاهرة وقبل حلول المساء في الطريق.. استرجع (باولو) ما حدث لـ (ناهد).. شعر ناحيتها بمسؤولية كبيرة وتدفق داخله إحساس غريب لم يشعر به من قبل.. هو الحب الحقيقي، أن تحب دون حدود وتعطي بلا مقابل..

طلب (باولو) من صديقة (ناهد) أن تصطحبه في الغد إلى الأزهر الشريف ليعلم أكثر عن الإسلام..

بدأ العد التنازلي لإقامة أول حفل على شرف (شادي) وكانت (مشيرة) تعمل في البيت بمساعدة الخادمة كخليفة نحل.. تطير في كل مكان.. وتضع لمساتها الجميلة في كل ركن في البيت، بدأت من السقف إلى الأرضيات ومن حائط إلى آخر ومن ركن إلى ركن، ووضعت شموعاً صناعية تعمل بالبطارية خلف زجاج كل نافذة، فكان المنظر ليلاً لمن يمر في الشارع بديعاً للغاية!

وبدأ الضيوف يتوافدون.. وكانا (صفوت) و(صافيناز) عند مدخل البيت في انتظار الضيوف للترحيب بهم... وسأل (صفوت) زوجته وأم أولاده (صافيناز): من دعوت إلى الحفل؟

أجابت: اثنين من صديقتي المقربين.. أنت تعرفهما.. (نانسي) و(أمينة)..

ثم سأله السؤال نفسه: وماذا عنك يا (صفوت).. من دعوت؟
أجاب: (نادر بك) رجل أعمال.. أعمل لديه كمستشار قانوني منذ فترة وجيزة.

صافيناز: مستشار قانوني.. إنك لم تخبرني بقبولك أي وظيفة.. آخر علمي بعملك هو مكتب المحاماة، لماذا لم تخبرني؟

صفوت: نحن لم نتحدث منذ فترة ودائماً كنا في شجار وخلافات وكنت أترك البيت.. هل تتذكرين؟.. وهل تذكرين أيضاً يوم شجعت رأسي بعد أن رميتني بمنفضة السجائر؟

صافيناز: لماذا تريد أن تذكرني بهذه الحادثة؟.. لماذا تريد أن تعيد علينا مشاهد المشاكل والأزمات؟.. نحن اليوم في حفل ابنك والكل سعيد.. لا تحاول تغيير وتعكير صفو الجو.

صفوت: أنا أعكر صفو الجو.. انظري إلى يدك.. إلى الخاتم السوليتير.. الذي في إصبعك.. أهم أمنياتك.. الذي دفعت فيه آخر مبلغ كان متبقياً معي.. أنت لا تعلمين أنني قبلت تلك الوظيفة عند (نادر بك) كمستشار قانوني.. لأجلك أنت، لأجل شراء خاتم الماس.

صافيناز: عموماً.. إنني لست غاضبة.. أتمنى لك التوفيق والنجاح في هذه الوظيفة.. حسناً.. (نادر بك) ومن أيضاً قمت بدعوته؟

صفوت: آه.. دعوت تلك الفتاة المسكينة (ميادة) السكرتيرة.. أنت تعرفينها، فهي تتفانى في العمل وتستحق أن أحسن معاملتها.

قالت (صافيناز) غاضبة: (ميادة) السكرتيرة!.. كيف تفعل هذا؟.. إن كانت مسكينة وتتفانى في العمل.. فتعطيها مكافأة أو علاوة أو زيادة في راتبها.. لكن تدعوها وسط أقاربنا وأصدقائنا.. هذا لا يصح.. تصرف غير سليم.. اسمح لي يا (صفوت).. هي ليست من وسطنا وليست من مستوانا.. لا أصدق أنك فعلت ذلك.

الحفل رائع.. والجميع سعيد.. موسيقى هادئة متناغمة في المكان وروائح عطور السيدات تفوح في كل ركنٍ وطاولة الطعام مليئة بالخيرات والحلوى ومشروبات منعشة.. والزينة والبالونات في كل مكان.. تسمع أصوات الضحكات من ركنٍ لآخر..

و(شادي)..(شادي) هو عروس الحفل.. الحفل المقام على شرفه.. يرتدي ملابس جميلة جديدة.. ملونة تضفي نوراً على وجهه البريء.. وأمام وحول كرسيه المتحرك توجد بعض ألعابه وأدواته التعليمية.. المكعبات التي عليها حروف اللغة العربية مع الحيوانات وأسماء الطيور، وكذلك أوراق (الكوتشينة) وبعض الأقلام الملونة ودفتر للرسم.. وهارمونيكا لعزف الموسيقى..

دق جرس الباب.. نهضت (مشيرة) لفتح الباب.. فإذا هما صديقان من ثلثة (أيمن).. كان قد دعاهما للحفل.. حيث سمحت له أمه (صافيناز) بدعوة اثنين فقط من أصدقائه.. تشاجر مع أمه لأنه يريد دعوة الثلثة بالكامل وعددهم لا يقل عن اثني عشر فرداً.. بالطبع انتهى النقاش والشجار بينهما برجاحة كفة أمه.. وانصاع (أيمن) لأوامرها، وقام بدعوة اثنين فقط من أصدقائه.. وها قد وصلا لتوهما..

وما إن جلست (مشيرة) بجانب (شادي) حتى دق جرس الباب مرة أخرى، حضر (نادر بك) ومعه (دنيا).. استقبلهما (صفوت) بفرحة شديدة وقدمهما لـ (صافيناز) زوجته وقدم (دنيا) لأولاده (أيمن، ومشييرة، وشادي)..

سألت (دنيا) أباها: ”بابا.. أنت أكدت على (دادا عواطف) وأكد ستأتي بصحبة (نادي).“

وبعد دقائق، وصلت (عواطف) ومعها (نادي)..

قامت (صافيناز) باستقبالهما بعد أن فتحت الباب.. نظرت إليهما بنوعٍ من الاحتقار.. واضعةً يدها لتسد فتحة الباب قائلة: من أنتما؟ وماذا تريدان؟

عواطف: نحن مع (نادر بك).. هل وصل مع (الست دنيا)؟
صافيناز: آه هو أحضرك للمساعدة.. عموماً باب المطبخ من جانب البيت.. عبر هذا الممر.

استشاطت (عواطف) غضباً، أما (نادي) فلم يكن مهتماً بحديثهما.. كان منشغلاً بالاستمتاع برؤية الزينة الخارجية للمكان عبر الفتحة الضيقة للباب، بعض الزينة الداخلية والبالونات..

عواطف: آسفة.. أنا فقط أريد التحدث إلى (نادر بك) و(الست دنيا).. هل وصلا؟

صافيناز: نعم.. هما هنا.. انتظرا مكانكما ولا تتحركا.
دخلت وأخبرت (نادر) و(دنيا) أن هناك شخصين غريبين بالباب يسألان عنهما!

نادر: أهلاً يا (عواطف).. اتفضلي ادخلي.

ثم مد يده إلى (نادي) لمصافحته: أهلاً يا (نادي).. أنا أعلم أنك تخاف مني.. لا تخف، أنا كنت أفهم الأمر بشكلٍ خطأ.. تقبل عذري.. وأريد أن أشكرك على مساعدتك لابتتي.. هي تحترمك وتقدرك كثيراً.. أهلاً بك.. تفضل.

عواطف: لكن يا (نادر بك).. أعتقد أن (الست هانم) التي فتحت الباب غير مرحبة بوجودنا.. وطلبت مني الذهاب عبر باب المطبخ.
 نادر: لا عليك.. سأشرح لها.. زوجها صديقي.. تفضلاً.
 ذهب (نادر) إلى (صفوت) و(صافيناز) واستأذنهما في دخول (الدادا) الخاصة بابتته (دنيا) وكذلك صديق لها في الدراسة، اسمه (نادي)..

فهل تسمحان؟؟!!

صفوت: بالطبع.. البيت بيتك.. والحفل حفلك.. وأهلاً بضيوفك.
 قالت (صافيناز) محاولة إخفاء نظرة الاشمئزاز التي ارتسمت على وجهها: أكيد.. أهلاً بضيوفكما.

فرحت (دنيا) لقدم (دادا عواطف) و(نادي).. رافقت (نادي) وقدمته إلى (أيمن) الذي تعرفت عليه منذ دقائق قليلة.. وبعدها أخذته ليصافح (شادي) الذي أقيم هذا الحفل على شرفه، وبينما مد (نادي) يده ليربت على كتف (شادي) مبتسماً، أتت (مشيرة) صائحة بصوت عالٍ موجهة كلامها إلى (نادي):

أنا أعرفك.. رأيت صورتك.. أنت.. أنت التلميذ الحاصل على المركز الأول في مسابقة أوائل الطلبة.. هل هذا صحيح؟.. أنت...
 انتبه الجميع.. بعد أن توقف كل الضيوف عن الكلام وسمعوا ما قالته (مشيرة).. شعر (نادي) بالخجل؛ وأماً برأسه وابتسم..

هنا تدخل (نادر) قائلاً: نعم بالفعل إنه تلميذ ذكي ونابعة، حصل على المركز الأول على مستوى محافظة الإسكندرية وقد كرمه المحافظ وأنا رأيتُه وقابلته هناك في مكتب سيادة المحافظ، وحصل أيضاً على المركز الأول على مستوى الجمهورية.. ودعوني أعترف لك.. أن هذا الصبي الصغير له الفضل في تحسن مستوى ابنتي (دنيا) حيث كانت متأخرة دراسياً.. ساعدها وشرح لها معظم الدروس.. والآن هي من الأوائل.. دعونا نحياه ونصفق له..

صفق له الجميع.. وكان (شادي) ينظر إلى (نادي) بسعادة وكأنه يعرفه من قبل.. أما (مشيرة) فقد صبت جل اهتمامها على (نادي).. قدمت له الحلوى والمشروبات وتحدثت معه في أمورٍ عديدة..

دق جرس الباب.. هرعت (مشيرة) إلى الباب.. إذا بها الأخصائية النفسية في المدرسة.. حاملة باقة ورود في يده.. وفي اليد الأخرى تحمل صندوقاً بلاستيكيّاً به فتحة.. مخصص لحمل الحيوانات الأليفة..

لم تتمالك (مشيرة) نفسها من الفرحة، وقبلت الأخصائية النفسية.. إنه كلب صغير.. وعدت فأوفت!

أخرجت (مشيرة) الكلب الصغير وضمته بكلتا يديها.. بني اللون مائل إلى الذهبي الغامق.. أذنان طويلتان.. شعر كثيف.. من سلالة (جولدن ريتريفر)..

كان الكلب سعيداً ويهز ذيله باستمرار.. سارت به (مشيرة) ناحية (شادي) الذي ابتسم وأظهر علامات الفرح.. بوجود كلب..

وقالت له (مشيرة): هذا الكلب لك.. أنت يا (شادي).. هل تقبله صديقاً لك؟

أوماً (شادي) برأسه فرحاً.

ثم وضعت (مشيرة) الكلب بجوار قدمي (شادي) بجانب الكرسي المتحرك وحواله ألعاب كثيرة..

هنا تقدمت (دنيا) من (مشيرة) لتسألها: ماذا ستطلقون على الكلب؟.. هل اخترت له اسماً؟

تجمع الحضور وجلسوا على الأرض، والكلب الوافد الجديد.. يلهو بتلك الألعاب المصنوع أغلبها من البلاستيك والخشب والقماش، وبعد لحظات بدأ الكلب يمسك المكعبات الخشبية التي عليها الحروف العربية مع صور للحيوانات والطيور مع كل حرف.. ويأخذها في فمه ثم يسير بها ناحية (مشيرة) ويضعها أمامها.. ثم يذهب ناحية (شادي) ويأخذ مكعباً خشبياً آخر..

نقل أول مكعب وهو يهز ذيله.. ثم وضعه أمام (مشيرة).. وبعدها عاد إلى (شادي) ونقل المكعب الثاني.. ووضعها بجوار الأول أمام (مشيرة).. ظل هكذا إلى أن نقل عدد ستة مكعبات وبعدها توقف.. وجلس أمام (مشيرة) فاتحاً فمه وهازاً ذيله.. تعجب الجميع من هذا الفعل لذلك الكلب الصغير!

نظرت (مشيرة) إلى المكعبات كاملة، وكانت كالآتي:

الأول: حرف (د) ومعه كلمة (دب)

الثاني: حرف (ي) ومعه كلمة (يخت)

الثالث: حرف (و) ومعه كلمة (وردة)

الرابع: حرف (ا) ومعه كلمة (أسد)

الخامس: حرف (ر) وكلمة (رجل)

السادس: حرف (س) وكلمة (سلحفاة)

صمت الجميع ولم يفهم أحد ما حدث.. إلى أن تكلم (نادي) بصوته الصغير وخرق الصمت قائلاً: أعتقد أن بوجود تلك المكعبات بجوار بعضها البعض، هذا يشكل كلمة، أو بالأحرى يشكل اسم هذا الكلب الجميل.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض.. فعلاً فكرة جيدة للغاية.

نظر الجميع إلى المكعبات المتراسة وشكلت كلمة (دي وار س)

ديوارس.

فرحت مشيرة بهذا التفسير.. "رائع يا نادي."

سأطلق عليه اسم (ديوارس) فرح الجميع بهذا الاسم..

دق جرس الباب للمرة العاشرة وربما أكثر، لم يسمع أحد الجرس، حيث الجميع مشغول بنجم الحفل الجديد (ديوارس) الكلب، منذ دقائق كان (شادي) هو محط تركيز واهتمام الجميع، لكن الآن (ديوارس) سحب من تحته البساط كما يقولون وأصبح الجميع غير مصدق لذكاء ومهارة (ديوارس) دق الجرس مرة أخرى، وأخيراً انتبهت (صافيناز) وذهبت لتفتح الباب، فوجدت فتاة طويلة ونحيلة بملابس

متواضعة للغاية تقف بالباب وفي يدها علبة حلوى، ولكن على وجهها ابتسامة صافية وما وراء الابتسامة خوف ورعب وهلع من هذه اللحظة الفارقة، المرعبة، لحظة دخولها منزل حبيبها وزوجها القادم، نظرت إليها (صافيناز) بنظرة المرأة المعتادة، نظرة فاحصة من الأسفل إلى الأعلى.

صافيناز: "أنا أعرفك، رأيتك من قبل، من أنت؟!"

ميادة: "ألم أدخل لحضور الحفل أولاً؟"

صافيناز: "آه، عفواً، تفضلي."

دخلت (ميادة) دون أن تجيب سؤال (صافيناز) وتجولت بنظرها في المكان إلى أن رأت طفلاً أو مراهقاً يجلس على كرسي متحرك.. (شادي).. ذهبت إليه وحيته وأعطت علبة الحلوى، ثم توجهت إلى (صفوت) الذي لم يكن يعلم أنها دخلت، حياها بحرارة، وجلست إلى جواره، والجميع سعيد مع (ديوارس).

تكاد (صافيناز) تموت غيظاً بعد أن تجاهلت تلك الضعيفة سؤالها ولم تعرفها بنفسها، تدخل بيتها دون أن تخبرها من هي، يا للوقاحة!

أشارت (صافيناز) إلى (صفوت) أن يأتي لها..

صافيناز: "من هذه المخلوقة قليلة الذوق التي تجلس بجوارك؟"

قال (صفوت) ناظرًا إلى حيث أشارت (صافيناز): آه، ألم تعرفيها؟

إنها (ميادة) السكرتيرة، صارت أجمل، أليس كذلك؟

صافيناز: إنها تشبه النخلة! تخيل سألتها: من أنت؟ ولكنها تجاهلت سؤالي، ودخلت، أنا صاحبة البيت، صاحبة الحفل، فعلاً قلة ذوق.

صفوت: ”ربما لا تقصد، لكن لا تعلمي يا (صافي) كم اجتهادها في العمل واعتمادها عليها في جميع الأوراق والملفات في المكتب.

اقترب (صفوت) وقدم مشروباً إلى (نادر بك) وأخبره أنه سمعه يقول عن هذا الصبي الواقف بعيداً هناك بجوار (مشيرة) أنه مساعد ابنته (دنيا) إلى أن تحسن مستواها، أنا يا (نادر) بك لدي المشكلة نفسها، ابنتي (مشيرة) مجتهدة للغاية ومن الأوائل، لكن المشكلة في ابني الآخر (أيمن) فهو يلهو أكثر مما يتنفس، فكنت أتمنى لو استطاع هذا الصبي الحضور لمساعدة (أيمن) في المذاكرة والدروس، كم يتقاضى في الحصة الواحدة أو في الشهر؟ وهل تعتقد أنه يقبل؟

نادر: ”لا، إنه لا يتقاضى أي أموال، يفعل هذا من باب المساعدة ودائماً يقول لـ (دنيا): ”الناس للناس“ لدرجة أن (دنيا) بدأت تردّد تلك الكلمة كثيراً كلما تحدثت عن المساعدات.

ثم أشار (نادر) إلى (عواطف) التي كانت تجلس في زاوية بعيداً عن كل الحضور، أخبرها أن تحضر (نادي) إليها، هو و(أ. صفوت).. حضر (نادي) خائفاً بعض الشيء، وقف أمامهما، قال له (نادر): صافح يا (نادي) الأستاذ (صفوت) المحامي.

نظر (نادي) و(صفوت) إلى بعضهما البعض، وقالوا في صوتٍ واحد مع إشارة بالإصبع: ألسنت أنت الأستاذ الذي كان في القطار؟

صفوت: "أست أنت الولد الذكي، عبقرى الرياضيات، الذى كان فى القطار؟"

تعارف كلُّ منهما على الآخر وأدركا أن الدنيا صغيرة للغاية حيث يتقابل الاثنان لمرة أخرى.

سأل (صفوت) (نادى) عن أحواله وعن أبىه وإخوته، ثم استدار إلى (نادر) قائلاً: تصور يا (نادر بك) أنا قابلت هذا الصبى المدهش (نادى) فى القطار عقب حصولى على حكم من محكمة أسبوط لصالح المواطن الذى اختصم وزارة الداخلية ووزير الداخلية شخصياً، وكانت هذه القضية فاتحة خير على.

بالطبع قبل (نادى) أن يأتى لمساعدة (أيمن) بدءاً من الغد.

وكان (صفوت) أكثر الناس سعادةً حيث كان سيوفر أموال المدرسين الخصوصيين وأن (نادى) لن يتقاضى شيئاً.

كان تركيز (مشيرة) موزعاً ما بين الكلب (ديوارس) و(نادى).. وأخيها (شادى).. أما (أيمن) فكان تركيزه الأول مع (دنيا) وصاحبيه، أما (صافيناز) فكانت منشغلة بصديقاتها، ومن آنٍ لآخر تراقب (ميادة) وتتعبها بعينها، أما (صفوت) فكان أكثر الناس سعادة، الغد يوم زفافه على (ميادة) وتبدأ رحلة الراحة والسعادة، ووداعاً للمشاكل والعراك، ووداعاً لصافيناز.

أما (نادر) فكان يفكر معظم الوقت فى صفقة سيبدأ فى إجراءاتها من الغد، وفى أحد الأركان المظلمة المنزوية، جلست (عواطف) ويبدو

الحزن على وجهها، لقد حان وقت ذهابها للوقوف أمام (الخرابة) لتودع أسرتها وابتتها (ميرفت) ولكنها لا تستطيع المغادرة، أكيد (نادر بك) لن يوافق، الجميع سعيد والفرحة تملو وجوههم، لكنها من داخلها تتألم وقلبها يبكي بقطرات من دم لا يراها ولا يشعر بها إلا هي، روحها تنسحب منها ببطء، هل فقط تعيش من أجل هذه الفتاة المسكينة (دنيا)؟ أما (دنيا) فكانت تلهو وتمرح مع (نادي) فقط، ومن آنٍ لآخر، تتذكر (ناهد) أمها، وتشعر أنها تريد أن تبكي وترتمي في أحضانها، لكنها تدرك أن حولها أناس كثر ولا بد أن تتمالك وتتماسك.

ارتفع صوت الصرير العالي من الباب الحديدي، دخل (فتحي) بقامته الضخمة الطويلة وفي يده السوط ولفافة في اليد الأخرى، وضع اللفافة بجوار (دولت) التي أصابها الرعب والهلع وهي تنظر إليه وجسدها متكوم بشكلٍ نصف دائري، ثم رفع (فتحي) السوط وانهاه به على كومة من (التبن) تستند (دولت) بظهرها عليها، ظنت أنها ستجد وأن ضربة السوط هذه ما هي إلا بداية لضربات كثيرة ستتهبط وتلسع ظهرها ورأسها الحليق، الأقرع.. صرخت وبكت، ثم استدار (فتحي) ولم يضرها، فقط ضربة واحدة على (التبن) بجوارها، وسار ناحية الباب خارجًا بزهو يسمع توصلات واستغاثات من (دولت): "حرام عليك يا (فتحي) دعني أخرج، ولن أفعل أي شيء، أريد أن أرى أمي، وأبي المريض، اعف عني وأخرجني من هذا المكان القذر، أكاد أحتق، أكاد أموت.. فتحي، يا فتحي."

دخل (فتحي) البيت، فسمع صوت بكاءٍ ونحيب، وهو يفتح الباب، إنها أمه، ومجرد أن رأته، ركضت إليه قائلة: "الحقني يا (فتحي)".

فتحي: ماذا حدث يا أمي؟ ماذا؟!

الأم: اليوم كنت في السوق أشتري بعض الأغراض، وسمعت النساء يتحدثن عن هروب (دولت) وحبيب القلب.. الإسكندرية، وكلام آخر كثير، ماذا نفعل؟ وأبوك الذي يرقد على سريره لا يدري بما يحدث حوله، لقد نبهت على الممرضة التي تأتي لإعطائه الحقن، ألا تتحدث أمامه بأي كلمةٍ عن (دولت).. "اتفضحنا ومش عارفة اسكت مين ولا مين".

فتحي: "طبعًا، أليست هذه (دولت) ابنتك الجميلة، تربيتك؟ كم من مرة طلبت منك أن أؤدبها وأريبها بطريقتي لكنك كنت دائمًا في صفها وتمنعيني عنها! الآن تبكي، الآن تحصدي زرعك، تربيتك الفاشلة، فضحتنا وذهب إلى ذلك القبيح (جيوشي) في بلد كبير مثل الإسكندرية، كيف لنا أن نجدها هناك؟"

الأم: "ماذا يعني هذا؟ هل سترك لحمنا هكذا؟ هل نسمع لفضائحنا وسيرتنا تتناولها الناس في الأسواق وعلى المقاهي؟ يجب أن نفعل شيئًا، تصرف يا ولدي، أنت الآن رجل البيت، ليس لي رجل غيرك، بعد مرض أبيك، أنت الآن ابني وزوجي وأخي وأبي وكل شيء، تصرف يا ولدي بما يحلو لك ولن أناقشك."

فتحي: "حسنًا يا أمي، أعرف جيدًا ما ينبغي لي فعله."

دق جرس الباب في بيت (جيوشي) الساعة الثالثة فجراً، مع ضربات قوية على الباب، فتح وهو يكاد يرى أمامه، إنها الشرطة..

الضابط: أنت جيوشي؟

جيوشي: نعم، ماذا حدث؟ لم، ما هي تهمتي أنا لم أفعل شيئاً.

أمر الضابط من معه من جنود ومخبرين بتفتيش المكان بالكامل، بعدما قاموا بقلب البيت رأساً على عقب، أخبروا الضابط أنه لا يوجد أحد..

جيوشي: أنا من حقي أن أعرف لماذا هذا التفتيش؟

الضابط: قم بارتداء ملابسك وتعال معنا... أنت مقبوض عليك، أنت متهم باختطاف فتاة، تدعى (دولت).. ولا بد من الحضور لقسم الشرطة ثم تعرض على النيابة العامة بعدها.

جيوشي: ماذا؟ (دولت)! اختطاف؟! ومن هو مقدم البلاغ؟

الضابط: شخص يدعى (فتحي).. يدعي أنه شقيقها،

مرت لحظات عصيبة للغاية على (جيوشي) وبعد العرض على النيابة، أمر وكيل النيابة بإطلاق سراحه بكفالة مالية، بعد كتابة تعهد بعدم علمه بمكان (دولت).. في الطريق إلى بيته بعد أن غادر مبنى النيابة العامة، كاد عقله أن يخرج من مكانه ليحلق في أرجاء الكون للبحث عن (دولت) ومعرفة الحقيقة، ما زال لا يفهم ما حدث (دولت) ليست في القرية، و(فتحي) أخوها قدم بلاغاً للشرطة اتهمه فيه باختطافها، لم يستطع العودة إلى المنزل، بل توجه إلى محطة (سيدي

جابر) للقطارات، قرر السفر فوراً ودون أي استعدادات إلى أسيوط، إلى القرية لمعرفة ما حدث وإزالة الغموض وعلامات الاستفهام التي تتراقص أمام عينيه، بعد وقتٍ طويل ومجهودٍ شاق، وصل إلى أسيوط، اتجه مباشرةً إلى منزل (دولت).. وقف على مسافةٍ بعيدة يحاول مراقبة ما يحدث مثبتاً بصره على نافذة حجرة (دولت).. النوافذ مغلقة ولا أثر لأي نور أو إضاءة داخل حجرتها، شعر أنه ربما يمكنه في مكانه لساعاتٍ وأيام دون الوصول إلى أي شيء، قرر أن يذهب لملاقة ابنة عمها (سهام) هي الوحيدة القريبة لقلبها ومعها كل أسرارها، دخل إلى المستشفى العام، وسأل عن رئيسة الممرضات (سهام).. أخبروه أن وقت عملها، سيبدأ بعد ساعة، كان التعب والجوع قد حل به، ذهب إلى مطعم خارج المستشفى، أكل وشرب كوباً ثقيلاً من الشاي بينما يراقب الباب الخارجي للمستشفى، وإذا به يرى (سهام) تهبط من عربة أجرة وتدخل عبر الباب، دفع الحساب سريعاً وركض إلى أن لحق بها في الدهليز الطويل، اقترب منها، فإذا بها تصدر شهقة عالية..

سهام: (جيوشي).. ماذا تفعل هنا؟ وهل (دولت) معك؟ ألا تخشى أن يراكما أحد، هذا تصرف جنوني.

جيوشي: هل يمكن أن نجلس بعيداً عن الناس لتتحدث؟

جلسا في حجرة جانبية مخصصة كمخزن لأدوات التمرريض، وقالت له: إذا دخل أحد علينا فتظاهر أنك مندوب من شركة القفازات الطبية التي توردها إلى المستشفى.

جيوشي: حسناً، لا تقلقي.. ما هي قصة (دولت)؟ لقد سألتيني عما إن كانت (دولت) معي، أنا لم أرها منذ فترة طويلة.

ثم حكى لها ما صار معه وظروف القبض عليه إلى أن أتى إلى هنا، فإذا بـ (سهام) تشهق ثانية قائلة: ”يعني (دولت) ليست معك؟ لم تأت إليك؟ إذا أين هي؟ لقد تركتها في آخر ليلة تقابلنا فيها وهي عاقدة العزم على السفر إلى الإسكندرية لملاقاتك.“

ثم حكى له (سهام) كيف تخلصت من زواجها وأشاعت بأنها استأصلت الرحم، وكل ما مر بينهما، إلى أن سلمتها أموال المشغولات الذهبية، ومنذ تلك الليلة، لا تعلم عنها شيئاً..

(جيوشي) منذ تلك اللحظة وهو في حالة من الغيظ والحقن والكره لـ (فتحي) لم يشعر بها من قبل، توجه إلى منزله وسأل أحد العاملين خارج المنزل عنه، فأشار له أن (المعلم فتحي) سار من هذه الناحية لملاقة أحد تجار (المواشي).. سار (جيوشي) في ذلك الطريق ومر من أمام الكوخ الذي ترقد فيه حبيبته (دولت) والذي اتهم أنه اختطفها، يسير مسرعاً ويمر من أمام الكوخ دون أن يرى أنه على بعد خطواتٍ من إعادة الروح إلى (دولت) المسكينة المهانة المنكوبة في مكانها، لا تغادره والآلام في روحها قبل جسدها ترفض أن تفارقها..

مر وقت طويل و(جيوشي) أهمل عمله وجعل كل هممه، البحث عن (دولت) حتى وإن كانت قتلت أو ماتت، لا بد وأن يجد جثتها، هكذا كان يفكر.

تم عقد قران (صفوت) و(ميادة) وسط فرحةٍ طاغيةٍ من (صفوت)..
 إنه أخيراً يمكن أن يحيا مع من تحترمه وتقدره وتعرف قيمته، سأله
 المأذون عما إن كان قد سبق له الزواج، أجاب (صفوت): نعم.
 هنا أخبره المأذون أنها أوامر وزارة العدل، لا بد من إخطار الزوجة
 الأولى بخطابٍ رسمي أنك تزوجت، وطلب منه عنوان الزوجة الأولى
 (صافيناز).. أجاب (صفوت): بالتأكيد، أنا رجل قانون وأحترم القانون.
 ثم أعطاه عنوان مكتبه التي تعمل به (ميادة) (الزوجة الثانية)
 كسكرتيرة وهي من تستلم كل الخطابات والمراسلات، فعل هذا
 (صفوت) مبتسماً وواثقاً من نفسه ومستوى ذكائه..

أعلن وأشهر (باولو) إسلامه وسأل عما إن كان يستطيع أن يحتفظ
 باسم (باولو) دون تغيير، وأقنع (ناهد) وأباها بالسفر معه إلى المكسيك،
 وقد قاربت فترة العدة على الانتهاء وهناك يستطيعان أن يتزوجا في
 السفارة المصرية بالعاصمة (نيو مكسيكو)..
 وبعد مرور عدة سنوات..

يقضي (نادي) في كلية الهندسة في السنة النهائية وقتاً طويلاً ما
 بين المحاضرات في قاعات المحاضرات وبين (الورش) في قسم
 الكهروميكانيكا.. بصحبة أقرب الأصدقاء وزميله في الكلية (إسماعيل
 مساعد) وأربعة طلاب آخرين موكل لهم كفريق عمل من ستة طلاب
 عمل، مشروع التخرج، وبعد المناقشات والمداومات بينهم وتبادل

الاقتراحات، لم يجدوا أي فكرة مشروع مناسبة وقابلة ومتفق عليها بينهم جميعاً لتنفيذها كمشروع تخرج في الكلية، وفي إحدى المرات تغيب (إسماعيل) صديق (نادي) عن الحضور للكلية لمدة يومين، انتاب (نادي) القلق حيث لم يعتد (إسماعيل) على الغياب عن الكلية حتى في أيام إصابته بنزلات البرد الحادة، كان يأتي ولا يتغيب، ذهب إلى الشقة المفروشة التي يقطنها، حيث هو ليس من أهالي الإسكندرية، هو من منطقة في الصحراء الغربية تدعى (سيدي براني) جنوب العلمين، ويقضي أيام الدراسة في شقة مفروشة وفي إجازة الصيف يذهب إلى بلده وسط عائلته ليقضي به فترة الإجازة..

طرق (نادي) الباب عدة مرات ولم يجب أحد، فمضى وأتى اليوم التالي وتكرر الشيء نفسه، لم يجب أحد، وفي اليوم الثالث ظهر (إسماعيل) والشحوب تبدو آثاره واضحة على وجهه والإجهاد وقلة النوم، واللون الأسود يكسو أسفل العينين وحولهما.

نادي: أهلاً يا (إسماعيل) لقد قلقت عليك للغاية، لم أرك منذ يومين، أين كنت؟! هل أنت بخير؟!

إسماعيل: نعم أنا بخير، عذراً عن هذا الغياب ولكن لم يكن الأمر بيدي، كانت الأحوال ليست بخير، وكنت أمر بظروف صعبة بعض الشيء.

نادي: أنا صديقك، أخبرني لعلني أستطيع أن أخفف عنك.. ماذا حدث؟

إسماعيل: حالة وفاة في العائلة وحالة إصابة شديدة انتهت ببتري في القدم، اثنان من شباب العائلة.

نادي: رحم الله المتوفى، هذا خبر محزن حقاً، البقية في حياتك يا صديقي، نسأل الله له الجنة، ولكن، ماذا حدث؟ أهي حادثة سيارة؟!
إسماعيل: لا، إنه لغم.

نادي: لغم؟! ماذا تقصد؟ لغم انفجر، كما نسمع، أم ماذا؟

إسماعيل: نعم، لغم أرضي، مدفون في الرمال منذ أيام الحرب العالمية الثانية، انفجر فيها اللغم، قتل واحد وهتك قدم الآخر، اضطر الأطباء معه لبتر القدم للحفاظ على حياته، وهذه ليست الحادثة الأولى، وأكد ليست الأخيرة، لا نعلم الدور على من!

نادي: نعم، للأسف أنا سمعت وقرأت عن هذا الموضوع، يأتي الغزاة ويضعون الألغام لعدم تقدم أعدائهم، ثم يرجعون بحوزتهم خرائط توضح أماكن الألغام المزروعة، وملاك الأرض، يدفعون الثمن على مدار عشرات أو مئات السنين، هذا بالإضافة إلى عدم القدرة على الانتفاع بهذه الأراضي الشاسعة في أي شيء، لا زراعة، لا رعي، لا صناعة، ولا أي شيء، تبقى هكذا أراضي للشيطان.

إسماعيل: نعم، أنا مثلك قرأت عن هذا الموضوع كثيراً وقتلته بحثاً، ولا أجد إجابة، من أعطاهم الحق لجعل أرضنا هي مسرح عملياتهم وأرض نزاعهم؟ ومن أعطاهم الحق لزرع ألغام مدفونة تحت الرمال؟ هم يعلمون أماكنها في الخرائط ونحن لا نعلم! لعنة الله على الألمان والإنجليز، لو كان هناك ذرة إنصاف فلا بد من مقاضاتهم في المحافل

الدولية وطلب تعويضات وإلزامهم بإزالة الألغام بالكامل على نفقتهم، مع دفع تعويضات عن منع الدولة من استغلال تلك الأراضي الشاسعة طيلة أكثر من ٧٥ عامًا، هل تعلم أن عدد الألغام يقدر بـ سبعة عشر وخمسمائة ألف لغم.. ١٧,٥ مليون لغم، موزعة على مساحة أرض شاسعة وكبيرة للغاية، تقدر بحوالي ربع مليون فدان، من الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، وهناك إحصائيات قدرت عدد الألغام بـ ٢٣ مليون لغم، وتبذل الدولة محاولات لإزالة الألغام واستطاعوا حتى الآن إزالة ٢ مليون لغم، ويتبقى ٢١ مليون لغم.

نادي: إنها حقًا لكارثة، والمجتمع والمنظمات الدولية تصم أذائها عن هذه الفاجعة، لا بد لإنجلترا وألمانيا أن يشتركان في إزالة تلك الألغام، الآن، أتتني فكرة في رأسي، لم لا يكون مشروع التخرج، عمل آلة أو طريقة ما، لإزالة تلك الألغام، العلم تقدم وتطور كثيرًا ونحن بعد شهور قليلة سنصبح مهندسين، أليس كذلك؟ فلم لا نعمل على اختراع آلة نستطيع بها إزالة الألغام، وإذا نجحت الفكرة ربما تستعين بها الدولة لإزالة الألغام وقبل الاستفادة بالأراضي، إنقاذ المواطنين من الموت من انفجار أي لغم.

إسماعيل: إنها فكرة رائعة، حقًا يا (نادي) هل يمكن أن نقدم خدمة للقبائل التي تعيش في خطرٍ دائم؟ ليس فقط لأنهم أهلي، إنهم مصريون مثلنا، لا نقف مكتوفي الأيدي، هيا نعرض الفكرة على بقية الزملاء.

استعد (أيمن) للذهاب لافتتاح مطعم البيتزا، الذي تشارك فيه مع زميلٍ له، بعد أن فشلت جميع المحاولات لإتمام دراسته، فقد رسب

في الثانوية العامة لعدة سنوات متتالية، والآن هو يشترك في مطعم لعمل البيتزا، وقد ألح على والده (أ. صفوت) لشهورٍ طويلة لمساعدته بمبلغ من المال، لمشاركة صديقه (أكرم) في إيجار هذا المطعم، كان حفلاً افتتاحياً بسيطاً، حضره بعض الجيران القاطنين حول المطعم ولم توافق (صافيناز) على الحضور، كانت تشعر بالمرح وأن مستواها لا يرتقي أن تفتح مطعماً صغيراً للغاية يقدم بعض المعجنات، ويحتوي على طاولتين فقط، حيث يعتمد على توصيل الطلاب للمنازل بسيارة (أكرم) شريك (أيمن).. أما (مشيرة) فقد وعدته أن تمر عليه للمباركة والتحية بعد أن تفرغ من العمل في مكتب أبيها، حيث هي تخرجت في كلية الحقوق في العام الماضي، والآن تقضي فترة سنتين للتدريب في مكتب محام، وبالطبع هي تلقى تدريبها في مكتب أبيها (أ. صفوت) في عامها الأول، وما زال أمامها عام آخر حتى تستطيع مزاوله المهنة كمحامية معتمدة مستقلة، وبالفعل قررت الذهاب إلى مطعم (أيمن، وأكرم) لحضور الافتتاح، لكنها قررت الذهاب إلى البيت أولاً، لتبديل ملابسها، وارتداء جينز وحذاء رياضي خفيف وأيضاً اصطحبت معها الكلب (ديوارس) حيث اعتادت أن تأخذه في نزهة في الشوارع الهادئة القريبة من البيت كل مساءً بعد عودتها من العمل، وما أن عادت إلى البيت حتى انقض عليها (ديوارس) ملوحاً بذيله وسعيداً للغاية، سألت (مشيرة) أمها بعد أن ألفت السلام على (شادي): ألن تأتي معي يا أمي، هذا أول يوم في افتتاح مطعم (أيمن)؟

صافيناز: هل هذا يطلق عليه (مطعم)؟! إنه مكان يوجد به طاولتان فقط، وصغير وضيق للغاية.

مشيرة: إنها البداية يا أمي، وصغير أفضل كي يستطيع أن يتحملا نفقاته إلى أن يحقق أرباحًا، وأيضًا هو يعتمد على (الدليفري) أكثر من الزبائن بالداخل.

صافيناز: لا تحاولي معي، لن أذهب، وضعي الاجتماعي لا يسمح ولا شيء يجبرني على النزول بمستواي إلى هذا الحد.

مشيرة: يعني يا أمي، نترك (أيمن) وحده في أول يوم افتتاح وأنت تعلمين حجم الإخفاقات والفشل الذي تعرض له في الدراسة، رسوبه لسنوات كون لديه عقدة، وأخيرًا وجد نفسه في هذا المجال، فلا بد أن نساعد ونشجعه.

صافيناز: ولماذا تطلبي مني أنا؟ أين أبوه؟ أين صفوت؟ أأنا يحضر؟! مشيرة: أنا تركت أبي في المكتب يستعد للذهاب إلى مجموعة (N.F) لديه هناك اجتماع هام مع (نادر بك) وبعض العملاء لمناقشة بنود اتفاق صفقة جديدة للمجموعة.

كانت (مشيرة) تكذب على أمها، ليس هناك أي اجتماع لـ (صفوت).. كل ما في الأمر، أنه يقضي فترة الليل والمساء في بيته الثاني مع زوجته الثانية (ميادة).. و(مشيرة) هي الوحيدة التي تعلم هذا السر، أطلعها عليه (صفوت) حين أتت للتدريب معه، وثقته الكبيرة بها واعتماده عليها، حيث كانت إنسانًا مسؤولاً منذ أن كانت طفلة..

وكانت (ميادة) لا تزال تعمل سكرتيرة لدى (صفوت) لأسباب كثيرة، أنها كانت تحب عملها هذا، والثاني لتكون بالقرب من زوجها طيلة الوقت، والسبب الثالث؛ هو إزالة الشكوك حول عدم وجودها في المكتب، وطيلة الفترة الماضية و(صفوت) و(ميادة) يعيشان في هدوءٍ وراحة، وأسفرت تلك الزيجة عن إنجاب بنت جميلة.

دق جرس هاتف (نادر) فإذا به (د. أدهم) خطيب (دنيا) حيث يستأذن حماه (نادر بك) في زيارتهم الليلة لرؤية (دنيا) وربما يخرجان لقضاء بعض الوقت سويًا للتنزه خارج المنزل، كانت (دنيا) قد تم خطبتها إلى طبيب الامتياز (د. أدهم) الذي رآها في إحدى المناسبات، تعلق بها وتقدم لخطبتها، وافقت (دنيا) عليه بعد أن فقدت الأمل أن يبادلها (نادي) حبًّا بحب، فقد دق قلب (دنيا) لـ (نادي) بشدة في المرحلة الثانوية، ولكن (نادي) لم يكن يشعر بها كحبيبة، ولكن كصديقة وأخت، طال انتظارها وصبرت كثيرًا طوال سنوات الجامعة، وأخيرًا فقدت الأمل وإزاء إلحاح وضغوط أبيها، وافقت على (د. أدهم) الذي كان (نادر) يرى فيه الزوج المناسب لابنته (دنيا) التي كانت تفتقد وجود أمها (ناهد) إلى جوارها بشدة، وقد حاولت (دادا عواطف) أن تعوضها غياب أمها، لكنها نجحت بعض الوقت وأخفقت أوقات كثيرة حيث أن الأم عادةً لا تعوض وليس لها بديل..

وفي الوقت الذي كانت (دنيا) تمر بفترة المراهقة، وما أدراك ما فترة المراهقة! والتي كانت فيها بحاجةٍ إلى وجود (ناهد) الأم بجوارها، وبعدها فترة النضوج الفكري والعاطفي، كانت (ناهد) تحيا حياة

مستقرة مليئة بالسعادة مع زوجٍ رائعٍ (باولو).. لم تكن أبداً تحلم بزواج مثله، خلوق، متواضع، يعطيها اهتماماً ورعاية ليس لها مثيل، يساعدها في كل شيء.. وتعتمد عليه في أي شيء، فهو سندها بحق، وكانت دائماً ما تتساءل أمام معظم مواقفه العظيمة: لماذا دائماً ما كانوا يفهموننا أن الأجانب لا يعتمد عليهم وأنهم أنصاف رجال، وليس هناك مثل الرجل المصري؟

ولكن مع تجربة حياة امتدت لعدة سنوات، اكتشفت أن الرجولة ليس لها علاقة بالجنسية أو بلد الإقامة، إنها ثقافة وتربية تظهر في مواقف وأزمات، ومما زاد تعلق (ناهد) بـ (باولو) أنه صار أباً لولدها (عبد الله) واستطاع (باولو) أن يمحو أي آثار سلبية تركها (نادر) بمعاملته السيئة في قلب وعقل (ناهد) لكن الشيء الوحيد المتبقي ولن تمحوه الأيام أو الأماكن أو الأشخاص، هو حبها وتعلقها بابتها (دنيا).. والتي تحاول الاتصال بها في المنزل خلصة من آنٍ لآخر حين يكون (نادر) خارج المنزل، وهذا يتم بالتنسيق بين (ناهد) و(دادا عواطف) التي مازالت على الدرب سائرة ولم تتخلف يوماً عن الذهاب إلى بقعة الذكريات، أمام (الخرابة) التي زاد فيها منسوب القمامة وارتفع إلى أعلى واستمرت زيارتها لـ (وداد) من وقتٍ لآخر، والذهاب معها أحياناً لزيارة الطبيب المعالج الذي يتابع حالة (وداد) ويحاول السيطرة على آلامها،

وكان العلاج مكلفاً للغاية وفوق طاقة واحتمال ميزانية (علي) الذي ما زال يعمل على عربة حمص الشام، مما اضطر (نادي) إلى العمل بجوار

والده في المساء فوق كوبري استانلي، ولكن على عربة تين شوكي، يبيع التين الشوكي للمصطافين ومرتادي الكوبري ولم يشعر معها بأي خجل أو حرج من العمل كبائع للتين الشوكي، كي يوفر العلاج لأمه، ولم يضع أمام عينيه أنه في السنة النهائية لكلية الهندسة وأنه دائماً من الأوائل ومرشح أن يتم تعيينه في الكلية كمعيد بعد التخرج، واعتاد أن يقابل الكثير من زملائه في الكلية، يأتون إليه ليشتروا التين الشوكي والحديث معه، حيث كان حديثه ممتعاً للجميع، وكانت (دنيا) تمر عليه كثيراً لشراء التين الشوكي، وهذه هي نقطة الخلاف الوحيدة بينها وبين خطيبها (د. أدهم) حيث كان يراها فتاة ممتازة في كل شيء إلا هذه النقطة، ألا وهي إصرارها على المرور على عربة التين الشوكي في كل مرة يخرجان فيها سوياً، وكأنها مكان يجب أن تثبت فيه حضورها، مما جعله يكره ذلك الشاب (نادي).. وفي الوقت نفسه، كانت (دنيا) تلاحظ وجود (مشيرة) بصحبة الكلب (ديوارس) مرات كثيرة عند عربة التين الشوكي، وكان هذا يشعرها بالاختناق، ربما الغيرة، الغضب، الكره لـ (مشيرة) و(نادي) ولكن هل هي حقاً تستطيع أن تكره من أحببت لسنواتٍ طويلة؟ هل يمكن للمحب أن يكره الحبيب؟.. لا، إنها فقط نار الغيرة التي تهدأ أحياناً وتشتعل أحياناً أخرى، خصوصاً عندما كانت تشاهد التلفاز ويكون معروفًا فيلمًا عاطفيًا ملتهبًا، كانت دائماً تتخيل (نادي) يلعب معها دور بطولة هذا الفيلم، في الوقت الذي كانت صورة (د. أدهم) بعيدة تمامًا عن عقلها وقلبها، وهو الخطيب الحالي وزوج المستقبل.

عاد (نادي) إلى البيت بعد يومٍ مرهقٍ وشاقٍ، ليس فقط من الوقوف على قدميه طيلة المساء وجزء من الليل، أو لتقطيع التين الشوكي وتقشيره للزبائن، والأشواك التي تملأ يديه والتي اعتاد عليها وأصبح لا يشعر بوجودها في جلده ولا بوخزها ولكن إرهاق التفكير، فلقد ظل طيلة الوقت يفكر، فيما حدث لإسماعيل صديقه وعائلته والرجل المتوفى والآخر المبتور القدم، والرقم الرهيب من الألغام المزروعة في أرضنا، في صحرائنا، وأخذة التفكير في الشكل والوظيفة لهذا الاختراع، كيف يعمل؟ ومكوناته، وتكلفته، وشعر أنه يجب أن يعمل كثيراً ليدخر المال لتغطية تكلفة هذا المشروع أو أي مشروعٍ آخر، فعادةً ما تقسم التكلفة على الطلاب المطلوب منهم تقديم مشروع التخرج، وهم ستة طلاب، والكلية لا تقدم دعماً مادياً، لكن تكتفي بالدعم الفني، والسماح لهم باستخدام الورش والمعامل في الكلية، فقرر أن تبدأ فترة المساء بدلاً من السابعة مساءً، لتكون الخامسة مساءً، أي يعمل ساعتين إضافيتين، كي يستطيع أن يفي بالتزاماته تجاه نفقات علاج أمه، وكذلك ادخار بعض الأموال للمساهمة بها في تكلفة مشروع التخرج، وفي هذه الليلة، قضت (مشيرة) و(ديوارس) معه بعض الوقت، ولاحظت أنه ليس كعادته، فأطلعها على ما يدور في رأسه، بدأ من قصة (إسماعيل) صديقه إلى أن انتهى إلى التفكير في تفاصيل هذا الاختراع والعمل الإضافي..

في هذه الأثناء كانت (دنيا) تتجول بسيارتها ذهاباً وإياباً، منتظرة أن تغادر (مشيرة) حرم عربة التين الشوكي، وكلما زادت (مشيرة) في وقتها مع (نادي) ازداد كره (دنيا) لها والغضب منه وعليه..

ألقي (نادي) السلام على أمه (وداد) بعد أن قبل يديها ورأسها، وكانت هذه هي عادته دائماً، لا يصافح فقط، ولكن يقبل كلتا يدي أمه ورأسها، وكانت (وداد) تحب هذا كثيراً من (نادي).

سأل عن إخوته.. (ألفت) في حجرتها، تذاكر دروسها، حيث كانت في الصف الثاني في كلية رياض الأطفال، واختارت هذه الكلية بنفسها، فلطالما حلمت أن تكون طبيبة أطفال ولكن مجموعها لم يكف للالتحاق بكلية الطب، فاخترت رياض الأطفال لحبها في التعامل مع الأطفال، وقررت تعلم مهارات التعامل مع الأطفال المتأخرين في الكلام أو المتأخرين في النمو العقلي والذهني والجسدي، فصارت أخصائية تخاطب، رغم أنها ما زالت في الصف الثاني في الكلية، وذاع صيتها بين الأمهات اللاتي لديهن أطفال تأخروا في النطق أو التلعثم في الكلام..

أما (راشد) فهو الآن في الوحدة، معسكر القوات البحرية، برتبة صول في البحرية، حيث تطوع للقوات البحرية بعد أن تعثر في الدراسة التي لا يحبها ورسب في المرحلة الإعدادية، وبعدها تطوع في الجيش - سلاح البحرية - وهو الآن يعمل في خفر السواحل، فبقيت ثلاثة أيام في الوحدة ويومين في البيت، وهكذا، ويقضي الليل على (لنش) خفر السواحل يعجوب الشواطئ والسواحل للتأمين، وهذا جزء من عمله، والجزء الآخر هو الاشتراك في تدريب المجندين الجدد، على الالتزام والضبط والربط، الحياة العسكرية بكل ما فيها، وكان قرار (راشد) بالالتحاق بالبحرية كمجنّد، قراراً صائباً للغاية، حيث ترك لديه مردوداً

إيجابياً للغاية وأصلح من أخلاقه، حيث بعد سنوات رسوبه، كان قريباً من إدمان المخدرات لقربه من أصدقاء السوء الذين حاولوا أن يضموه إلى ثلة الفساد، لكن الحياة العسكرية أعادته إلى صوابه وحب الوطن كان غالباً..

علمت (ميادة) أن (صفوت) منح (أيمن) مبلغاً كبيراً من المال ليكون نواة لامتلاك محل بيتزا، وكان من المفترض أن يكون هذا المكان (تمليك) ولكن (أيمن) بدد جزءاً كبيراً من المال على نزواته مما اضطره لإلغاء فكرة التمليك حيث أن المال الذي أخذه من أبيه (صفوت) أصبح أقل من النصف وبالكاد يكفي لاستئجار مطعمٍ صغير.. استشاط غضباً، وطالبت (صفوت) بفتح حساب في البنك باسم ابنتهما وتكون هي الوصية على هذا الحساب إلى أن تبلغ الفتاة سن الرشد (واحد وعشرون عاماً).. تجاهل (صفوت) طلبها، وكانت هذه هي بداية انقلاب وتحول الحال بينهما من الهدوء والسكينة إلى الخلافات الدائمة، اتهمته (ميادة) أنه ظالم ويفرق بين أولاده، منح (أيمن) مبلغاً مالياً كبيراً، وماذا عن ابنتها؟ هل لأن (أيمن) ابن (صافيناز) أم ماذا؟!

وعاد (صفوت) إلى حاله الذي عاشه من قبل مع (صافيناز).. الدفاع عن نفسه طوال الوقت وتحمل الاتهامات والتي تصل إلى الإهانات أحياناً، ولكن هذه المرة من زوجته الثانية (ميادة).

وكلما تجاهلها (صفوت) ولم ينفذ طلبها بوضع مبلغ كبير في البنك باسم ابنتهما، زاد غضبها، إلى أن قررت أن تبلغ (صافيناز) أنه متزوج

منها منذ سنوات ولها ابنة، وبالفعل قامت بتفجير المفاجأة وحادثتها تليفونياً لتخبرها بهذه الأخبار وأن ميعاد عقد قرانهما كان في اليوم التالي لأول حفل أقامته في بيتها والذي كانت واحدة من الحضور والمدعوين للحفل.. ثم أغلقت الهاتف وتركت (صافيناز) في حالة هياج عصبي، ما بين مصدق ومكذب، حاولت أن تهدأ أو تفكر، لكن بلا جدوى، وعقدت العزم أن تكتنم خبر تلك المكالمة عن (صفوت) وأنها ستقوم بمراقبته، وبالفعل انتظرت خارج المكتب ليلاً، في الميعاد المعتاد الذي يغادر فيه إلى المكتب، قادت سيارتها خلفه إلى أن وصل إلى المبنى الذي به شقته مع (ميادة) صعدت خلفه ودقت جرس الباب..

أمضى (جيوشي) أصعب سنوات عمره بحثاً عن (دولت).. أهمل أعماله وصار يعيش بأقل القليل، كثف البحث في الإسكندرية، وكل فترة وأخرى يذهب إلى القرية لملاقة (سهام) ربما يكون لديها أي جديد أو أي معلومة تفيد، وكانت (سهام) دائماً تردد أنها لا تروح إلى (فتحي) وتشعر أن حل لغز اختفاء (دولت) في يده..

أجابها (جيوشي) أن ذلك مستحيل لأنه يبحث عنها مثلهم لدرجة أنه اتهمه في بلاغٍ رسمي باختطافها، لذا استبعد (جيوشي) ذلك الاحتمال.. ضعفت ووهنت وصارت حطاماً.. هذا كان حال (دولت) التي تعيش وسط القاذورات، وتأكل الخبز اليابس والجبن، بح صوتها من كثرة الصراخ بلا مجيب، وجفت دموعها من كثرة وطول البكاء، وكلما طال شعرها واستطال ونما، جاء (فتحي) بآلته الشيطانية التي يحلقون

بها وبر وشعر الحمير، ليقص بها شعرها ويعيد رأسها للحالة الملساء، ولكن مع وجود ثغور وندبات في فروة رأسها التي كانت تقطر دمًا أحيانًا..

ومما زاد الطين بلة، أن أصيبت بأمراضٍ جلدية حيث أنها لا تستحم إلا مرات قليلة في السنة، مما أصاب جسدها بالأمراض والتي لا تعالج منها، وقد أرهقتها الكلام وتوجيه اللوم لـ (فتحي).. وتذكيرها الدائم أنه الأخ الكبير الذي يجب أن يحافظ على أخته، كيف يرضى ضميره وقلبه عن إيذائها بهذا الشكل؟

بدأت تستسلم وتنتظر الموت، لم تعد تقوى على الكلام وليس لها رغبة في إيقاظ ضمير هذا الأخ الذي ازداد شرًا فوق شره، ولم يعد يتذكر أن له أختًا، سجينه محبوسة، ولولا خشية انكشاف أمره لأوكل لأحد صبياناه بأن يضع لها الطعام، ولكنه كان يفعل هذا بنفسه كي لا يفتضح أمره..

اجتمع (نادي) و(إسماعيل) مع بقية فريق العمل لمشروع التخرج، عرض (نادي) فكرة عمل واختراع إنسان أي (روبوت) يستطيع انتزاع الألغام وتدميرها ذاتيًا، وبدأ في شرح كل التفاصيل الذي ظل ثلاثة أيام يفكر بها، وافق الجميع بعد إعجابهم بالفكرة، وخصوصًا أن أحد هؤلاء الطلاب أخبرهم أن خاله ضابط جيش برتبة كبيرة في المنطقة الشمالية، وهي المنطقة المسؤولة عسكريًا عن شمال القطر المصري، وفي حال نجاح مشروعهم هذا ربما ساعدهم خاله في أن تتبنى القوات

المسلحة تصنيع هذا الإنسان الآلي والعمل به وأن يسجل كبراءة اختراع بأسمائهم.

اتفقوا على الذهاب للدكتور في الكلية الذي يشرف على مشروع تخرجهم، وعرض الفكرة عليه وأخذ موافقته، وبعدها يجتمعون لتحديد طريقة العمل ومهام كل واحد منهم، حيث عادةً يكون كل فرد مسؤول عن جزءٍ بأكمله في المشروع، فمنهم المسؤول عن الجزء الكهربائي وآخر مسؤول عن الجزء الميكانيكي، وثالث عن الجزء البرمجي والكمبيوتر، وهكذا..

وفي الليل، تقابل (نادي) مع (مشيرة) عندما حضرت إليه مع (ديوارس) الكلب، وأخبرها بما تم بينه وبين أصحابه، وكانت سعيدة أشد السعادة، فعرضت عليه أن تشارك معه بالمال لنجاح مشروعه، لكنه كعادته وعزة نفسه شكرها، وأخبرها أنه باحث عن دعمها المعنوي وعن وقوف قلبها الحنون ودعائها إلى جواره..

في هذه الليلة تحديداً حدثت مشاجرة بين (دنيا) وخطيبها (د. أدهم) الذي كان يجلس معها في حجرة المعيشة في الفيلا، تركته (دنيا) وخرجت غاضبة من الباب الخارجي، ركض خلفها محاولاً اللحاق بها، فراها تعبر الطريق متجهة إلى طريق الكورنيش ومنه إلى كوبري استانلي، حيث عربة حمص الشام وبجوارها عربة التين الشوكي حيث يعمل (نادي) وما أن اقتربت حتى تجمدت مكانها ولم تتقدم خطوة واحدة حيث شاهدت الكلب (ديوارس) يهز ذيله، وبجواره (مشيرة)

واقفة بجوار (نادي) بينما يبيع إلى الزبائن التين الشوكي الذي يقشره بيديه، استطاع (أدهم) اللحاق بها، وقف خلفها، ولم تشعر بوجوده..

فقال: مهندس يبيع التين الشوكي، يا لها من سخرية القدر! وبجواره فتاة محامية ابنة محامي شهير بكلبها! تترك بيتها الشيك لتمضي الليل بجوار بائع التين الشوكي، مع عربة التين الشوكي، أهذا معقول؟! هذا المختل يعجبك؟! تركيني من أجله، هو ليس لك، الصورة تتحدث عن نفسها، انظري بينهما انسجام لا يخفى على أحد.

بدأ (جيوشي) يستسلم ويقتنع برأي (سهام).. لم لا؟ لماذا لا يجرب فكرتها، لن يخسر شيئاً، فهو قد سار في كل الطرق وجرب جميع الوسائل، والاحتمال الوحيد هو أن يكون لـ (فتحي) دخل في اختفاء (دولت) أخته، نعم أخته، أحياناً القسوة والغباء يجعلان المرء ينسى الرحمة والعطف والحب تجاه أخته، إنه احتمال بعيد وأقرب إلى المستحيل، لكن ليرتاح قلبه، فليجرب..

وفي الصباح بدأ يتابع حركة (فتحي) مواعيد خروجه وعودته، إلى أين يذهب، أي المقاهي التي يجلس عليها! من يقابل! كانت حياة (فتحي) طبيعية للغاية حيث يقابل تجار (مواشي) لبيع لهم أو ليشتري منهم وكذلك تجار (علف المواشي) وأحياناً يتقابل مع البيطري المسؤول عن الماشية، وبين أن وآخر يمضي وقتاً على المقهى ليسهر مع أصحابه ويمضون الليل في الضحك والنكات..

ذهب (جيوشي) إلى (سهام) ليخبرها أن الأمور مع (فتحي) تبدو طبيعية وليس هناك ما يثير الريبة، وشرح لها أين يذهب، وماذا يفعل!

وأضاف أنه كل يوم يدخل إلى الكوخ، الذي ربما يضع فيه (علف الحيوانات) ربما للاطمئنان على الكمية وعمل جرد ليطلب (علف) أم ما زال هناك كمية تكفي!

استمعت إليه (سهام) ولم تجد كلمات تجيب بها، غير: استمر..
ربما!!

قضى (صفوت) يومين في المستشفى بعد أن انهالت عليه (صافيناز) بكعب حذاءها الذي يبلغ طوله سبعة سنتيمترات، ومدبب من الأسفل، ما أن فتح لها الباب، وكانت المفاجأة.. (صافيناز) تقف على باب شقته التي يعيش فيها مع (ميادة) زوجته الثانية وابنته، لم تقل ليلتها (صافيناز) غير جملة واحدة قبل أن تنهال بكعب الحذاء فوق رأسه لتحدث به جروحًا كثيرة: انكشفت حقيقتك يا خائن.

أخبر الطبيب المعالج، أنهم في المستشفى لا بد وأن يبلغوا الشرطة عن إصابته لكن (صفوت) استعطف ورجا الطبيب ألا يبلغ الشرطة، هو سقط من على السلم عندما كان يصلح الثريا في بيته، وبالطبع لم يقتنع الطبيب بخبرته وحنكته أن هذه قريبة من أي حقيقة، ولكن نزولاً لرغبة (صفوت) لم يبلغ الشرطة..

قامت (صافيناز) بعمل اتصالات بأفراد أسرتها وخصوصًا من منهم يعمل في مجال القضاء والمحاماة، لتسأل عن موقفها القانوني وأنها لن تقبل بغير الطلاق والحصول على جميع حقوقها كاملة، ثم قامت بتغيير أقفال الباب كي لا تسمح لـ (صفوت) بدخول البيت حيث أخذت قرارًا لن تعود ولن تحيد عنه.

“أنت يا (صفوت) مطرود من حياتي، لم يعد لك مكان بها.”

بدأ العمل الجاد والشاق بين الطلاب الستة في التفكير في كل التفاصيل لتصنيع إنسان آلي قادر على تنفيذ المهمة بكفاءة وبأقل الخسائر، وهي اكتشاف أماكن الألغام وتحديد عمقها ثم القيام بنزعها، وتحديد العمق مسألة هامة للغاية حيث لفت (إسماعيل) انتباه بقية مجموعة العمل، أن طبيعة الصحراء والرمال ليست ثابتة على حال حيث عوامل التعرية وظروف الطقس يجب أن تؤخذ في الاعتبار، الأمطار والرياح تحديداً، حيث أن اللغم الذي تم زرع ودفنه في الأرض في أوائل أربعينات القرن الماضي، بالتأكيد زاد عمقه الآن حيث حركة الرمال تتأثر بالرياح، ولا بد أن يكون انهال عليه كمية كبيرة من الرمال على مدار السنين الطويلة، لذا فالمهمة ليست سهلة، يجب أن يكون هذا (الروبوت) قادراً على اكتشاف ما تحت الرمال على عمق متر أو أكثر وهذا هو التحدي الأول، القدرة على اكتشاف وجود اللغم وتحديد مكانه، والتحدي الثاني؛ هو التعامل مع اللغم، هناك طريقتان؛ إما نزع اللغم من الأرض وإبعاده عن المكان والتعامل معه بإبطال مفعوله، أو تفجيره في مكانه، وبعد مناقشات طويلة وبحث في الموسوعات وتجارب الدول السابقة وسؤال أهل الخبرة من الخبراء في الجيش والشرطة ممن لهم العلم الكافي بمسألة المتفجرات والألغام والتعامل معها، استقر الرأي فيما بينهم أن مسألة استخراج اللغم ومحاولة إبطال مفعوله، مسألة في غاية الصعوبة وأيضاً في غاية الخطورة، فالهدف من المشروع وهذا الابتكار في الأساس هو عدم إحداث أي أذى للإنسان

وتوظيف الآلة بدلاً من الإنسان، واستقر الرأي على التركيز على تفجير اللغم في مكانه بعد اكتشاف وتحديد مكانه على أن يكون التعامل مع (الروبوت) على مسافة كبيرة تجعله في منطقة آمنة ولا يصاب بأذى، حيث أن محيط التفجير أحياناً يكون واسع المدى، وانهمك كل في تخصصه، بدءاً من عمل رسم هندسي كامل بكل صغيرة وكبيرة وتحديد الاحتياجات ثم تحديد الأماكن التي سيشترون منها قطع الغيار المطلوبة وتحديد الأسعار، وذلك لعمل ميزانية مبدئية وتصور أولي لتكلفة هذا المشروع وأيضاً تحديد الجدول الزمني الذي يستغرق مراحل تصنيعه، تفاصيل صغيرة كثيرة للغاية، لم يتوقف النقاش إلى أن اطمأن الجميع أنهم قادرون على تصنيع (الروبوت) الذي يؤدي وظيفتين؛ الأولى: الاكتشاف وتحديد المكان، الثانية: هي التفجير، وهل بعد التفجير سينجو هذا الروبوت من التحطيم، أم من الممكن تصنيعه من خامات تتحمل قوة التفجير ودفع الهواء؟ أسئلة كثيرة كان يجب عليهم أن يجيبوا عليها قبل شراء الخامات والقطع والدوائر الكهربائية وغيره، وبعدها قضاء الوقت في (الورش) في مرحلة التصنيع العملي، وآخر مرحلة هي إجراء التجارب، وبالطبع التعديل فيها في حالة أي إخفاق أو اكتشاف أي عيوب وإيجاد الحلول ومعالجتها والتغلب عليها..

تشعر أحياناً (ناهد) بالحنين إلى مصر، لكنها لا تريد العودة، ما زالت تخشى معاودة الذكريات في رأسها، هي الآن تسعى مع (باولو) الرائع الذي أصبح مسلماً على حق وليس على الورق، فتعلم أن الدين هو المعاملة، معاملة الناس للناس، ليس بحمل المسبحة أو ارتداء

الجلباب، أو إطلاق اللحية أو التحدث بألفاظ وكلمات معينة أو ادعاء العلم والفتوى والإجابة على أي سؤال، تعلم أن الدين أوجده الله لتنظيم حياة الناس بعد معرفتهم بالله، وأنه هو الإله الأوحد خالق هذا الكون بكل ما فيه، تعلم الإحسان، كيف يحسن إلى نفسه أو لآهله وأهل بيته، زوجته، ابنه، أقاربه، جيرانه، والإحسان للحيوان والزرع والطبيعة، تعلم أن ينطق لسانه الكلمة الطيبة ولا يخوض في سيرة الناس وخصوصاً من وراء ظهورهم، تعلم بشاشة الوجه والابتسامة التي لا تكلف الإنسان شيئاً، وتعلم عمل الخير وخدمة المجتمع بلا مقابل، وزيارة المريض الذي يعرفه والذي لا يعرفه، ومساعدة الفقير والمحتاج، وحسن معاملة الطفل وخصوصاً اليتيم منهم، وبين آنٍ وآخر كان يقوم بترتيب رحلة يخرج فيها مع (ناهد) و(عبد الله) لاكتشاف قدرة الله تعالى في خلق الجبال وجريان الأنهار وأنواع النباتات والزهور النادرة، فتجول معها في بلاد كثيرة في أمريكا الجنوبية، ومرة أخرى يتجهون شمالاً إلى كندا حيث الطقس البارد والثلوج، واللعب على البحيرات المتجمدة.

تعلمت (ناهد) منه الكثير، البساطة والعودة إلى الطبيعة، تعلمت التواضع وحسن الخلق، وتعلمت أن الله خلق لنا الأرض وعلينا اكتشافها والتعلم من المخلوقات الأخرى، فأصبح لها دراية كبيرة بحياة المعسكرات والإقامة في خيام لأيام طويلة، وطريقة ربط الجبال جيداً إذا استطاعت وأرادت أن تتسلق جبلاً صغيراً الارتفاع، وكذلك تعلمت إشعال النيران في الأخشاب واستخدامها في التدفئة أو طهي الطعام أو للإضاءة ليلاً، تعلمت أيضاً قيادة الدراجة، فالدراجة وسيلة انتقال

رائعة، تعطيك القوة والنشاط والصحة البدنية، هي خفيفة الحمل وأيضاً لا تحتاج لوقود أو بطاريات، وأيضاً هي صديقة للبيئة، فلا تحدث أي تلوث، تعلمت (ناهد) أن تعيش وتحيا بالقليل من الطعام، فالقليل يكفي وفيه صحة للإنسان، تعلمت أيضاً رياضات كثيرة، كان أهمها؛ التجديف، حيث أحياناً كانوا يستقلون قارباً صغيراً مصنوعاً من (الفاير جلاس) ويعمل بمجدافين، للتجول في أحد الأنهار، واكتشاف الغابات المنتشرة بكثافة على يمين ويسار النهر بطوله، تعلمت أيضاً كيف تربي ابنها على حب الخير وحب الطبيعة، وتحمل المسؤولية منذ الصغر، فكان (عبد الله) منذ أن كان في الرابعة من عمره ينظف حجرته ويرتب سريره وأحذيته وملابسه وأيضاً يقوم بالمساعدة في تنظيف المنزل وأن يأكل في طبق واحد ويغسله بعد أن يفرغ، وتعلم كيف يتسوق في متاجر البقالة والخضروات، وتعلم أن ينظر إلى السماء نهاراً فيحمد الله على سطوع الشمس ووجود السماء والرياح، ثم يضع رأسه ليلاً، ليحمد الله على هطول الليل والظلام وسطوع القمر وظهور النجوم، ثم ينظر حوله، إلى الطبيعة ليحمد الله على وجود الأنهار والأشجار والجبال والصخور والرمال، والأزهار والنحل، والنمل وسائر المخلوقات، عرف الله في خلقه ومخلوقاته، ورسخ هذا في قلبه وعقله منذ الصغر.

زاد تردد (أدهم) على (دنيا) لمحاولة التقرب منها أكثر وإزالة أي خلافٍ بينهما مع علمه وبقيته أن الخلاف الأساسي والذي يكاد يكون الأوحدهو، وجود هذا الإنسان (نادي) بينهما، كانا أحياناً يشاهدان

فيلمًا على التلفاز، وتقوم (دنيا) بالاتصال بمطعم (أيمن) لطلب شطيرة من البيتزا الإيطالية مع بعض أجنحة الدجاج المتبل الحار، وكان (أيمن) سعيدًا للغاية بهذا الطلب، أكثر مكالمة وطلب كان يحبه حين تقوم (دنيا) بطلب الطعام من عنده، وكان يحرص هو بنفسه على إيصال البيتزا إلى منزلها، لرؤيتها وسماع صوتها وإن أمكن الحديث معها ولو لبضع دقائق رغم أن (أيمن) ليس هو مسؤول الدليفري، وكانت (دنيا) تعتمد طلب البيتزا من مطعم (أيمن) تحديدًا رغم أنه هناك مطاعم أخرى ربما أفضل في الجودة وأقل في الأسعار وأسرع في التوصيل، لكنها تعلم أن (أيمن) شقيق (مشيرة) غريمته وسارقة (نادي) منها، لذا كانت تعتمد إهائته والتعامل معه بكل احتقار لتشعره أنه مجرد خادم لإيصال الطلبات وأخذ (البقشيش).. فكان (أيمن) بعد اتصال (دنيا) يوصي صانع البيتزا أن يتقنها، ويضع بها كل الإضافات ويسخاها، ثم بعد وضع البيتزا في الصندوق الكرتوني المخصص لها، يضع فوقها الفاتورة التي بها السعر، وبجانب السعر كان يرسم قلوبًا صغيرة ويكتب، عبارات مثل: (بالهنا والشفاء) أو (يا رب تعجبك) أو (أتمنى لك عشاءً ممتعًا).

وبعد دقائق يصل إلى الفيلا ويدق الجرس بينما يتمنى أن (دنيا) هي من تفتح الباب، ولكن في كل مرة كانت (عواطف) هي من تفتح، فتختفي الابتسامة من على وجهه ويصاب بالإحباط، ولا يعطي (عواطف) علبه البيتزا، بل يطلب أن يسلمها للآنسة (دنيا) ليشرح لها مواصفات البيتزا كما طلبتها، وتصديق (عواطف) كلامه الغير منطقي هذا، ثم تأتي (دنيا) التي تعامله بكل غرور واحتقار، وتصيح: "ماذا؟

لماذا لم تعط (الدادا) البيتزا وتأخذ نقودك؟ تريد أن تشرح أن بها جبن أكثر أو قطع لحم أشهى؟ إزعاج وسخافة!!

(أيمن) يقف أمامها مبتسمًا، فيفاجأ بردها العنيف الخشن للغاية، فيتحامل ولا يهتم، يظل واقفًا مبتسمًا، ثم يعطيها البيتزا، وباليد الأخرى يعطيها الفاتورة التي عليها السعر وبجانب السعر القلوب التي رسمها وعبارات وأمنيات بالاستمتاع بالطعام، لا تنظر (دنيا) إلى الورقة وتسأله: كم السعر؟

فيقول لها: في الفاتورة، انظري إلى الفاتورة، انظري جيدًا.

تنظر ولا تهتم إلا بالرقم والسعر المكتوب، تعطيه المال وفوقه (هذا بقشيشي لك) ثم تلقي بالفاتورة المليئة بالقلوب والعبارات الجميلة على الأرض أمام قدميه، وتغلق الباب بكل قوة، تكرر هذا الأمر كثيرًا وبدأ (أيمن) يشعر بإهانة، وأن (دنيا) هذه لا تقدر إعجابها بها، ولا بد من كسر أنفها كي لا تتعالى عليها وتحقره مرة أخرى، وأخبر شريكه (أكرم) بما حدث له، وأنه لن يهدأ إلا إذا لقنها درسًا وكسر غرورها وتعاليتها عليه لتصبح مثل الحذاء في قدمه.

جمعت (ميادة) أغراض (صفوت) بالكامل، ملابسه، أوراقه، أدواته الشخصية ووضعتها في حقيبتين كبيرتين.. وطلبت من (ساعي) المكتب أن يحضر إلى البيت.

فعندما حضر، أعطته الحقيبتين وطلبت منه أن يضعهما في المكتب، وأعطته مظروفًا ثم أخبرته أن يذهب بعدها إلى المستشفى حيث يعالج الأستاذ (صفوت) ويعطيه المظروف، وضع (الساعي) الحقيبتين في مكتب (أ. صفوت) المحامي، ثم توجه إليه في المستشفى، وعندما رآه (صفوت) ظن أنه أتى لزيارته، فقال: "أشكرك يا (سعيد).. أنت الوحيد الذي أتيت للسؤال عني، لم يزرنني أحد غيرك، فرحت كثيرًا يا (سعيد)".

لم ينطق (سعيد) سوى بجملة واحدة وانصرف بعدها: الأستاذة (ميادة) أرسلت لك هذا الظرف.

لم يصدق (صفوت) عينيه وقال: إذا أنت لم تأت لزيارتي، حتى أنت يا (سعيد) نسيت العيش والملح والعشرة، أنت في المكتب معي منذ عشر سنوات تقريبًا.

فتح (صفوت) الظرف، ليجد فيه جملتين.. (لا تحاول العودة إلى البيت، إلا بعد أن أتأكد أنك وضعت المبلغ الذي طلبته في الحساب البنكي، ملابسك في المكتب)..

يا إلهي! ماذا يحدث لي؟ أنام في المكتب، لقد كنت نسيت هذا الأمر منذ أن تزوجت (ميادة) كنت أفعلها كثيرًا أيام (صافيناز) السوداء.. الآن أنا مطرود من البيت الأول (صافيناز) والبيت الثاني (ميادة) وفي الوقت نفسه لا أملك المبلغ المالي الذي طلبته (ميادة) لإصلاح ما بيننا..

كانت (ميادة) في هذه الأثناء قد أحضرت عامل نجارة لتغيير أقفال الباب واتخذت قرارًا بعدم العمل في مكتب (صفوت) مرة أخرى حتى

وإن نفذ لها طلبها ووضع الأموال في البنك وعاد للحياة معها مرة أخرى، فهي لا تقل عن (صافيناز) في شيء..

جهاز (جيوشي) حقيقية يد بها بعض الأدوات (حبل - سكين وشريط لاصق وزجاجة نشادر) بعد أن عقد النية على التعامل المباشر مع (فتحي) وليكن ما يكون، قرر أن يدخل في صراعٍ معه وليجبره على الكلام وقول الحقيقة حتى وإن كان تحت التهديد، حتى وإن اضطر إلى ضربه أو إيذائه، وظل يراقبه وفي كل مرة يحاول فيها الانقضاض عليه، يجد أن (فتحي) ليس وحده، وسط تجار أو عمال، إلى أن حانت الفرصة.. (فتحي) وحده ينزل من العربة (الكارو) أو (الكارثة) التي يجرها حصانان، والعباءة على كتفه، وفي يده السوط وباليد الأخرى لفافة صغيرة، وضع (جيوشي) الحقيقية على ظهره وركض بأقصى سرعة، وفي اللحظة التي فتح فيها (فتحي) الباب الحديدي، الذي أحدث صوت صرير، دفعه (جيوشي) بقوة وأسقطه على الأرض ثم دفع الباب بقدمه فأغلقه، وانقض عليه ومعه الحبل وعصا غليظة، ضربه بالعصا على رأسه ضربة واحدة قوية، سمع معها صراخاً مكتوماً، لكن هذا الصراخ لم يصدر من (فتحي) الملقى على الأرض والذي قد فقد الوعي وراح في حالة إغماء، ربط يديه ورجليه ووضع شريطاً لاصقاً على فمه وتركه ملقى على الأرض بجوار الباب، ثم أنصت إلى الصوت الذي لم يتوقف عن الصراخ الضعيف، الواهن، بصوتٍ مبحوح، اقترب أكثر وأشعل عود ثقاب كان في جيبيه، شاهد إنساناً غريب الشكل، رأس

حليقة مليئة بالدمامل والندبات وبقع الدم.. ووجه وجسد نحيل للغاية مع وجود رائحة كريهة للغاية في المكان..

عندما أشعل (جيوشي) عود الثقاب، ظهر النور على وجهه وأصبحت ملامحه واضحة في الضوء الخافت، عرفته (دولت) بدأت تنفس بقوة وعلا صوتها المبحوح، ودبت فيها بعض القوة، ونطقت باسمه: (جيوشي).. أنا، أنا، أنا هنا، تعال، أنا (دولت).

ارتعدت فرائصه، وأمسكت الرهبة كل جزء في جسده، هل هذا عفريت أم شيطان؟ كيف عرف اسمي؟ ولكنه قال: "دولت!!!"

اقترب (جيوشي) أكثر يحمل عود الثقاب بيد ويضع يده الأخرى على أنفه، بعدها انطفأ عود الثقاب بعد أن كان يحرق يده، أشعل عوداً آخر ونظر بتفحص قائلاً: "هل أنت يا رجل تعرف أين (دولت)؟ ومن تكون أنت؟!"

دولت: أنا (دولت) يا (جيوشي).. معك حق، أكيد شكلي أصبح غريباً، خذني من هنا، أنا سأموت، حمداً لله أنني التقيت بـ (جيوشي) حبيبي.. كانت هذه هي آخر أمنياتي، والله حققها لي، لم يتبق إلا الموت، أمنيتي الأخيرة، فإذا استجاب الله لأمنيتي الأولى برؤياك، فلا بد أن الثانية ستتحقق الآن.

اقترب (جيوشي) أكثر وأكثر وهدق بوجهها، عرفها، إنها (دولت) حبيته، عشق عمره، توأم روحه، من عاش لأجلها وهجر الناس وأعماله لأجلها، ضرب (فتحي) وكاد أن يقتله لأجلها، ولن يتورع عن فعل أي شيء لأجلها، وضع (البطانية) القديمة البالية المهترئة فوق جسدها

النحيل المريض البالي، ولم يهتم بالرائحة الكريهة التي تنبعث من المكان، ولا من جسدها أو جلدها المليء بالأمراض التي ربما تكون معدية، وتحولت الرائحة في أنفه إلى رائحة المسك، رائحة الزهور، رائحة الفجر الجديد، أي رائحة تنبعث من (دولت) هي رائحة عطرية لا يعرف قدرها ولا قيمتها إلا هو، هو وحده.. (دولت) الوحيدة التي أحبته وعشقتها وحاربت من أجله، رغم دمامة شكله وقبح خلقته، الآن هو يشتم عبير ونسائم الزهور تخرج من جسدها الضعيف، حملها فوق كتفه وخرج بها، وهو في طريقه إلى الباب الحديدي، ارتطم بجسد (فتحي) المقيد بقدميه ويديه والشريط اللاصق فوق فمه، الملقى على الأرض في حالة إغماء، إنه يتنفس، ليس ميتاً، مال (جيوشي) على جسد (فتحي) وأخذ المفتاح الذي كان ملقى على الأرض بجوار جسده حيث سقط من يده بعد أن ضربه (جيوشي) بالعصا على رأسه.

فتح (جيوشي) الباب وخرج، أراد أن يغلق الباب بالمفتاح و(فتحي) بالداخل ليسجنه داخل سجنه، السجن الذي عذب فيه أخته (دولت) لسنوات لكنه سمع صوتاً ضعيفاً يصدر من (دولت) وهي محمولة على كتفه:

”كلا يا (جيوشي) اترك الباب مفتوحاً، دعه لمصيره، لا تقتله، إنه أخي، فلندع الله يقتص منه أو يسامحه.“

ترك له (جيوشي) الباب مفتوحاً فتحة صغيرة للغاية، ثم ذهب بـ (دولت) إلى المستشفى، أصاب الجميع الفزع والهلع، وهروا أطباء كثيرون لاستقبال تلك الحالة الغريبة التي لم تعرض عليهم من قبل،

فمنهم من سارع بالمساعدة للرحمة بهذه المريضة الغريبة التي تنبعث منها رائحة كريهة، ومنهم من كان مهتمًا، كي يضيف إلى سجل خبراته، خبرة جديدة، عن حالة غريبة ومرض جديد ربما لم يشترك في علاجه من قبل.. ظهرت (سهام) وشاهدت (جيوشي) خارج حجرة الطوارئ مستندًا على الحائط ولا تستطيع أن تفهم من تعبيرات وجهه!!

سهام: (جيوشي) ما الجديد الذي جاء بك إلى هنا؟ ما هذه الرائحة؟ تنبعث منك رائحة غير محببة، أين كنت؟ هل اشتركت في تنظيف الحظائر ومخلفات الماشية؟ ربما.. أنا أعلم كم حبك لمساعدة الناس. (جيوشي) أشار برأسه إلى باب حجرة الطوارئ، والدموع تنهمر من عينيه قائلاً: (دولت).. أخيرًا يا (سهام).. إنها (دولت).

سهام: ماذا تقصد؟ هل عرفت عنها أي شيء؟ ماذا وأين؟!
جيوشي: إنها بداخل حجرة الطوارئ.. (دولت) ستموت يا (سهام).
وأجهش بالبكاء بصوتٍ مسموعٍ للغاية رج به أركان المكان من حوله.

تورط (نادر) ببعض العمليات المشبوهة وقام بدفع بعض رشاوى لرجال الجمارك لتسهيل أعماله ودخول بضاعته بدون جمارك، ولكن أحدهم من رجال الجمارك الشرفاء، قام بتسجيل بعض الوقائع التي تدين (نادر).

وعندما عرف (نادر) من أحد مصادره الذين يتواجدون في أماكن حيوية كثيرة، ومنهم مبنى نيابة الأموال، حاول أن يجد مخرجاً، لكن بلا فائدة، فلم يجد طريقاً إلا اللجوء إلى المستشار القانوني، لمعرفة موقفه إذا تطورت الأحداث، عقد اجتماعاً مع (أ. صفوت) الذي كان في حالة غير طبيعية، ملابسه رثة، غير مهندم، لحيته طويلة، كأنه لم يحلقها منذ أيام، وشعره أشعث لم يعرف للفرشاة طريقاً، وشارد الذهن، يدخن السجائر بشراهة مع أنه حسب علم (نادر) إنسان غير مدخن، حيث دائماً يكون حريصاً ألا ينفق أمواله على التدخين..

أطلع (نادر) (صفوت) على الموقف وعلى التسجيل الذي في حوزة أحد رجال الجمارك، سمع (صفوت) باهتمام، عندما علم من (نادر) أن له مكافأة مجزية إذا استطاع الخروج به بسلام من هذه الورطة، لمعت عيناه، وقال: هناك حل، لكن ربما لن ترضى به، لكنه الحل الوحيد الآن، ولك أن تقرر.

نادر: وما هو؟!

صفوت: اضربه، نعم أرسل بعض رجال الحراسة العاملين لديك، يضربونه ضرباً مبرحاً دون قتله، وبالتالي يمكن في المستشفى لأسابيع، وهذا ما نحتاجه لتفتيش منزله والعثور على التسجيلات التي يدعى أنها بحوزته.

نادر: ماذا؟ أجننت؟ أنا إنسان محترم ورجل أعمال لي سمعة، لست (بلطجي) كيف لي أن أضرب أي منافس لي أو أي شخص يضايقني؟

قال (صفوت) ضاحكاً بتهكم وسخرية: وأين كان الإنسان المحترم حين حاول التهرب من الجمارك؟ إذاً لماذا أنت تستعين بي الآن، يا رجل الأعمال المحترم؟

نادر: أرجوك، الموقف لا يحتمل أي سخرية، حسنًا، موافق لكن بشرط أن أكون باسمي واسم المجموعة (N.F) بعيدًا تمامًا عن هذا التصرف، بمعنى تتولى أنت التعامل مع هذا الشخص، أن يكون من يضربه من طرفك، وسأجزل لك العطاء.

قال (صفوت) بعد أن لمعت عيناه وسال لعباه عند سماعه سيرة النقود، وهو في هذه الأيام في أشد الحاجة للمال الكثير، فالذي سيعيده إلى (ميادة) وابنته هو المال، أن يضع مبلغًا في حسابها بالبنك: حسنًا، سأقوم بكل شيء وتكون أنت بعيدًا تمامًا، ولكن المبلغ سيتضاعف خمس مرات، ما رأيك؟

نادر: ولكن ما تطلبه كثير، ربما يوازي هذا المبلغ، ثمن الجمارك التي رفضت سدادها، ربما كان الأفضل أن أسدد الجمارك.

صفوت: هذا قرار متأخر جدًا، الآن لا تستطيع أن تسدد أي شيء، أنت ستتهم في قضيتين؛ الأولى: قضية رشوة، والثانية: قضية التهرب من الجمارك، والأدهى من ذلك أن النيابة ستبدأ في مراجعة ملفاتك وكل المعاملات التجارية التي اشتركت فيها على مر عقود مضت، تتحمل كل هذا، هل أنت مستعد؟ ليس لك إلا أنا كي يخرجك مما أنت فيه، كل الطرق الآن تؤدي إلى السجن.

استطاع (صفوت) زرع الخوف داخل قلب (نادر) واستغل حالة الرعب التي انتابته حين سمع كلمة (السجن).

صفوت: آه، المبلغ خمسة أضعاف كما ذكرت لك، لكن هذا حسابي أنا فقط أما الرجال المنفذون فحسابهم من جيبيك أنت.

نادر: حسناً، موافق، افعل.. لا يعنيني أي شيء، المهم أن أخرج من هذه الورطة.

بعد عملٍ شاق ومتواصل ومواصلة الليل بالنهار، استطاع الطلاب الستة، مجموعة العمل، عمل (نموذج أولي) لروبوت، قاموا بتجربته داخل الكلية، حيث أخذوه إلى حديقة الكلية، وقاموا بدفن بعض قطع الحديد المعدنية المستديرة الشكل والذي تساوي في أبعادها ومقاساتها أبعاد اللغم الحقيقي القديم نفسه والذي كان يستخدم إبان الحرب العالمية الثانية.

دفنوا أربع قطع حديدية، على أماكن متباعدة بالأبعاد الموجودة نفسها في حقل الألغام الحقيقي، وبدأ العمل، تحرك الروبوت وأطلق أشعة ليزر وأنواع من حزم الأشعة الأخرى التي يمكنها اختراق طبقات الأرض الرملية والصخرية والحجر الجيري، بعد مروره بجوار الأربعة، تعرف على واحدة فقط وتوقف ثم أصدر صفيراً عالياً مع ضوءٍ أحمر قوي.

اجتمعت المجموعة، لمناقشة التجربة بحضور الدكتور المهندس المشرف على مشروع التخرج واستطاعوا أن يحددوا العيوب والأسباب التي جعلت (الروبوت) يتعرف على نموذج لغم واحد بدلاً من الأربعة، وكان عليهم أيضًا التأكد أن خاماته ستتحمل عند انفجار اللغم من تحته، وهنا قام (نادي) واقفًا، إنه غير مقتنع أنه سيتحمل قوة انفجار اللغم، وبالتالي سيدور المشروع في حلقة مفرغة دون الوصول إلى النتيجة المطلوبة.

انتبه إليه الجميع، وسأله الدكتور المشرف: "وهل لديك أي اقتراح أو بديل؟"

نادي: نعم، أعتقد أنه من الحكمة أن نقوم بتعديل الفكرة بالكامل، الآن (الروبوت) يسير على قدمين ببطء في حركة ميكانيكية، ويتم توجيهه بالريموت عن بعد، أعتقد أننا لسنا بحاجة إلى قدميه، فيمكن إلغاء هذا الجزء وتوفير الوقت والخامات وأيضًا الوزن الثقيل، أفكر أن تثبته بطائرة بدون طيار (درون) والطائرة يتحكم بها بالريموت أو عن طريق برمجتها مسبقًا، فيطير الروبوت لأعلى، ويقوم باكتشاف اللغم، ثم تسلط عليه أشعة حارقة للغاية وتدميره ولن يصل الانفجار لجسم الروبوت، بهذا نكون بغير حاجة للخامات التي تتحمل الانفجار وللسنا بحاجة لأن يسير على قدمين وأيضًا لسنا بحاجة لعمل وحدة روبوت داخلية لتوجيهه، كل ما نحتاجه هو التركيز على الأشعة المكتشفة للغم المعدني والأشعة التي ستدمره وتقوم بتفجيرها.

نظر الجميع إلى بعضهم، وقفزوا فرحًا، وكأنهم ربحوا الجائزة الكبرى، نظر الدكتور المشرف إلى (نادي) قائلاً: يا (نادي) أنت عبقرى، وتستحق أن تكون عميد كلية الهندسة وليس طالبًا بها.

ازداد المرض على (وداد) وزادت آلامها رغم التزامها بتعاطي الأدوية التي حددها الأطباء، ولم يكن يبدو على أحدهم أي تفاؤل، حيث أجمعوا أن (وداد) حضرت إليهم واستعانت بهم بعد أن تدهورت الحالة وتأخرت، وأصبح جدار المعدة تقريبًا بلا غشاء مبطن للجدار.. توجّهت إلى الطبيب بعد أن ألحت عليها (عواطف) و(ألفت) ابتها بأنها لا بد وأن تذهب معهما إلى الطبيب.

تم عمل أشعة على المعدة، ولم يكن الطبيب سعيدًا بنتيجة الأشعة، حيث أنها توضح أن الحالة تسوء أكثر وأكثر، وطلب منهم عمل منظار للمعدة وأخذ عينة من غشاء المعدة، أو الجزء المتبقي منه، ثم ترك (وداد) في حجرة الكشف وخرج، وأشار لـ (عواطف) و(ألفت) أن يتبعاه، وقف خارج الحجرة ليشرح لهما الحالة، فهو قلق للغاية، حيث رأى ثقبًا في جدار المعدة، وبعض أشكال لأورام، يخشى أن تكون أورامًا خبيثة، وهذا الثقب يعني أن عصارة المعدة الهاضمة، ستسبب مشاكل في باقي أعضاء الجهاز الهضمي، مما سيزيد الأمر سوءًا، وأيضًا سيحدث آلامًا مبرحة وخارقة في منطقة البطن، كان لا بد أن تبدأ (وداد) علاجها منذ سنين منذ أن شعرت أول مرة بالآلام في معدتها، كان وقتها يستطيع أي طبيب حتى ولو بخبرة غير واسعة، التعامل مع الموقف

والعلاج بأدوية بسيطة ونظام غذائي من السهل عليها اتباعه، أما الآن، فالأمر زاد سوءاً يوماً بعد يوم.

دب الخوف الحقيقي في صدر (ألفت).. ضمتها (عواطف) قائلة:
لا تقلقي يا (ميرفت) يا حبيبتي.

انتبهت إلى ما قالتها، فقالت: آسفة.. يا (ألفت) يا حبيبتي.. أنت مثل
(ميرفت) ابنتي رحمها الله.

بكت (ألفت) كثيراً بين ذراعيها، وصارت تدعو الله أن يبقى لها
أمها، فهي الوحيدة التي تنير حياتها، فلا يعلم أحد قيمة الأم لأي بنت
في أي مرحلة من مراحل حياتها حتى لو تزوجت وأصبحت أمًا، فأمرها
هي عالمها الحقيقي الذي تلجأ إليه وقت الشدائد والمحن وأيضاً
أوقات السعادة والفرح، تتذكر (ألفت) أنها بكل سنة تنجح بها في
المدرسة، تجرى إلى حضن أمها، وفي كل مرة الفصل يصفق لها، تعود
وتحكي لأمها، وفي أي موقف أو خلاف مع إحدى زميلاتهما، تحكي
لأمها وتطلب نصيحتها ودائمًا ما تكون نصيحة الأم في محلها، وهي
الصواب، آه يا أمي!

سألت (سهام) (جيوشي) بينما ينتظرها خارج حجرة الطوارئ وبعد
أن طمأنته أنها ستكون بخير لكن ستحتاج وقتاً طويلاً لتعود (دولت)
التي يعرفها.

سهام: أنا لا أفهم، تظل لسنوات تبحث عن (دولت) تهمل أعمالك
لدرجة أنني متأكدة أنك أوشكت على الإفلاس، وترتكب جريمة
ضرب (فتحي) كانت هذه الضربة يمكن أن تقتله، تجدها وهي على

شفا الموت، تحتضر وتلفظ أنفاسها، في حالة مزرية، رائحتها الكريهة ومنظرها المخيف البشع ثم الأمراض التي على جلدها والتي بالتأكيد انتقلت إليك الآن، تتحمل كل ذلك، وهي ليست خطيبتك أو زوجتك، أتتما على حسب علمي تقابلتما مرات قليلة للغاية، كيف هذا؟!!

جيوشي: أنت يا (سهام) لم تعلمي من قبل معنى كلمة أو اسم (دولت) في مخيلتي، هي نور ساطع، لا يضر العين، نعمة حانية تراح لها الأذن، عبير وعطر يتنقل عبر الرياح ليملاً الدنيا جمالاً، هي الألوان الزاهية، هي ابتسامة الطفل، نظرت إلى قلبي ووجداني ولم تلحظ أنفي الكبير وبشرتي السمراء وشعري المجعد الخشن، تخيلي في إحدى المرات.. قالت: "أنت يا جيوشي في عينيك حنان ونظرة طيبة تكفي العالم".

شاهدت عينيّ وروحي، كنا نجلس سوياً على أرض الحديدية فوق الحشائش الخضراء، أحاول أن ألمس يدها، فأجدي أسحب يدي بعيداً وأترجع، خوفاً على يدها الناعمة الرقيقة من خشونة يدي كي لا تلحق بها الأذى، وذات مرة وصل إلى مسمعا صوت المذياع (الراديو).. يشدو بأغنية لأم كلثوم، سمعنا الأغنية في صمت لكن شفاهنا كانت تتحرك مع كل كلمة وكأنني أحدثها وهي تحدثني، إن صممتها حب، أنفاسها حب، نظرة عينيها حب، صوتها عشق، ابتسامتها أمل، كلامها أمر، حركتها حياء، تنهدا راحة.. (دولت) هي الحنان، هي الأمس واليوم والغد، استمعنا لأغنية (هو صحيح الهوى غلاب) لم أكن أعرف شيئاً عن الشعر أو الموسيقى أو الأغاني الحالمة، أحببتها مع (دولت)

ولأجلها، وكأن الشاعر كتب كلمات الأغنية بعد أن عثر عليها داخلي، فمد يده وأخرجها من صدري، وتلقفها الملحن وعرف بتلك الكلمات على أوتار قلبي لتأتي المطربة وتشدو بها، وأهديها أنا إلى حبيبة العمر، إلى (دولت).. أبعد كل هذا، تسأليني؟!!

جففت (سهام) دموعها بيدها، وتنهدت تنهيدة عميقة أخرجت كل ما فيها من طاقات مكبوتة، ثم أجابته: نعم الآن، والآن فقط عرفت.

استأذنت (مشيرة) أمها (صافيناز) في الخروج للتمشية وشراء التين الشوكي، نظرت إليها (صافيناز) متعجبة من خروجها وحبها المفاجئ للتين الشوكي، فرح (نادي) لرؤيته (مشيرة) فقد كانت (مشيرة) لها طلة حانية تجعل قلب (نادي) يتراقص داخل تجويف قفصه الصدري، تحدثا في أمور كثيرة وأخبرها عن آخر تطورات مشروع التخرج، واقتراحه الذي نال استحسان الجميع، وأنهم بدأوا بالفعل وعلى وشك الانتهاء وقد قابلتهم مشكلة الطائرة بدون طيار، حيث هي باهظة الثمن، ومن الصعب عليهم شراؤها ولكنهم أخيراً استطاعوا الوصول لإحدى الشركات التي تقوم بتأجير تلك (الدرون) لشركات الإنتاج السينمائي، حيث تستخدم في تصوير أفلام الأكشن، قام (نادي) بتقشير ثمرة تين شوكي وقدمها إلى (مشيرة) فإذا بـ (ديوارس) يمد فمه ويأخذها من (نادي) قبل (مشيرة).. ضحك الاثنان بشدة، حيث كان (ديوارس) يحب كل ما تأكله (مشيرة) فكانت تطعمه من كل ما تأكله، وبينما (نادي) يقشر ثمرة تين شوكي أخرى لـ (مشيرة) إذا بها تقرب منه وتهمس في أذنه: "بحبك".

تم نقل (دولت) إلى أفضل حجرة في المستشفى، بالطبع بمساعدة (سهام) وبدأت تحب الحياة مرة أخرى، وبدأ شعرها ينبت بعض الشيء، اختفت معه كل الندبات والتئومات التي كانت في رأسها، وكان يقوم بالإشراف على علاجها، أطباء من تخصصات مختلفة، مخ وأعصاب، جلدية، باطني، قلب، تغذية، ثم طبيب نفسي، وبعد خروج الطبيب والممرضة من حجرتها بعد أن أعطى الطبيب تعليماته للممرضة، سمعت (دولت) طرقاً على الباب، وإذا بالباب يفتح، تدخل (سهام) و(جيوشي) ويده باقة ورد رائحة الجمال والرائحة، دخل بعدهما رجل يرتدي ملابس وزى الأزهر وعمامة بيضاء، وفي يده دفتر ضخم وخلفه اثنان من الأطباء المشرفين على علاج (دولت) وخلف كل هؤلاء دخلت الممرضة المسؤولة عن تقديم الطعام، تدفع أمامها طاولة بعجلات وفوقها (تورته) ضخمة عليها اسم (دولت) بخط كبير من الكريمة البيضاء، وشوكولا من النوع الفاخر، حول (التورته)..

وقف (جيوشي) أمام (دولت) في أدبٍ شديد وحياء وتواضع شديد، وأخرج من جيبه علبة قطيفة حمراء، قام بفتح العلبة أمامها، ثم سألها سؤالاً واحداً:

”تتجوزيني يا (دولت)؟“

أخيراً عرف الفرج طريقه إلى قلب (دولت) وكان الله (عز وجل) ادخر لها فرحاً كبيراً بعد معاناة وعذاب وضرب بالسياط وقهر وإهانة، ما بعدها إهانة، دخلت عليهم ممرضة أثناء عقد القران، وطلبت أن تتحدث مع (سهام) في عجالة خارج الحجرة، نهضت (سهام) ونهض

خلفها المأذون الذي أنهى إجراءاته وهنأتهم بإتمام الزواج، الآن (دولت) صارت (مدام دولت) حرم (جيوشي)..

عادت إليهما (سهام) بعد أن أنهت حديثها مع الممرضة وعلامات غير مفرحة على وجهها، نظرت إليها (دولت).. هي تعرفها جيداً وتعرف انفعالات وجهها.

دولت: ماذا هناك يا (سهام)؟ أراك على غير طبيعتك!

سهام: حسناً، أنا أعلم أن هذا ليس الوقت المناسب لكن لا بد أن تعلمي.

دولت: أعلم ماذا؟

سهام: خبر غير سار، لقد وجدوا جثة (فتحي) داخل الكوخ والباب مفتوح، وفي حالة تعفن والرائحة الكريهة ملأت المكان، لذا أبلغ الجيران الشرطة، كان الباب مفتوحاً لأيام طويلة لكن لم يكن أحد يجرؤ على دخول كوخ (المعلم فتحي) حتى لو كان الباب مفتوحاً، ولولا رائحة التعفن لما عرف أحد بموته مقيداً من يديه ورجليه ومكتملاً، وملقى على الأرض وسط القاذورات!

(يمهل ولا يهمل)

دخل (الروبوت) مراحلها الأخيرة في التصنيع ووضع اللمسات الأخيرة واختيار كفاءة عمل جميع الأجزاء، وتم عمل اختبارات أولية، داخل قطعة أرض فضاء كبيرة وتم الاختبار بنجاح، حيث استطاعت الطائرة بدون طيار (درون) حمل (الروبوت) المثبت أسفلها، الطيران به واستطاع الروبوت تحديد إحداثيات أماكن الألغام، وبعدها، تسليط

شعاع ليزر قوي لتدميره، وعند التدمير كانت قوة الانفجار بعيدة عن جسم الروبوت،

فرح فريق العمل، وعقدوا لقاءً بأحد المطاعم وتشاوروا في كل التفاصيل، وهنا اقترح عليهم الدكتور المشرف على المشروع أنه لا بد من التواصل مع القوات المسلحة بالمنطقة الشمالية وعرض عليهم أمر المشروع وطلب التعاون مع الهيئة الهندسية التابعة للقوات المسلحة واختبار المشروع على حقل ألغام طبيعي، فلا بد من التعاون بين طلبة كلية الهندسة والهيئة الهندسية بالقوات المسلحة، وبالفعل تم التواصل، وتم عقد عدة اجتماعات بين الطرفين وتدخل مهندسو الهيئة الهندسية في تفاصيل المشروع وأبدوا ملاحظاتهم وبعدها تم تحديد موعد لعمل اختبارات على الطبيعة في منطقة حقول ألغام بالصحراء الغربية جنوب العلمين، اتفق الجميع على موعد ومكان اللقاء حيث سيتجه الطلاب الستة من الإسكندرية معمل الاختبارات والعودة في اليوم نفسه ولقاء ممثلي القوات المسلحة، يمتلك أحد الطلاب الستة سيارة، لكنها لا تكفي ستة أفراد، فاتفقوا أن يذهب (نادي، وإسماعيل) في سيارة أجرة، على أن يتم اللقاء بين الجميع في المكان والميعاد المحدد، عندها اتفق (إسماعيل) مع (نادي) على السفر ليلاً، كي يتمكنوا من الوصول على موعد صلاة الفجر، ويتناولوا الأفكار في بيت أسرة (إسماعيل) وبعدها يتجها لمقابلة باقي المجموعة..

توجه اثنان من الرجال التابعين لـ (صفوت) المحامي، لمراقبة موظف الجمارك بينما يستعد للخروج إلى عمله في الصباح الباكر، وكان الاتفاق هو صدمه بسيارة من الخلف تحدث له كسر في ظهره أو كتفه..

خرج الموظف وسار تجاه موقف الحافلات كي يستقل الحافلة للذهاب إلى ميناء الإسكندرية حيث يعمل بالجمارك هناك، وبمجرد أن عبر الشارع إلى الرصيف الآخر، أتت سيارة مسرعة للغاية وصدمته، طار في الهواء بجسده من شدة الصدمة ثم سقط على الأرض بجوار الرصيف، فاصطدمت رأسه بحافة الرصيف المدببة، وكسرت الجمجمة وانهار شلال من الدماء في الشارع، وما هي إلا لحظات ولفظ الرجل أنفاسه الأخيرة، شاهد أحدهم السيارة واستطاع التقاط رقم اللوحة المعدنية بها، ذهب (نادي) إلى المستشفى لإحضار أمه إلى البيت والاطمئنان عليها، وفي الطريق أخبرها عن مشروعه وأنه في المساء سيتوجه إلى منطقة العلمين بصحبة صديقه (إسماعيل مساعد) وسيقضي جزءاً من الليل في الطريق ومع بداية النهار سيتواجد لمتابعة عمل الاختبارات للمشروع على الطبيعة، وفي المساء سيعود ويكون في البيت بوقت متأخر من الليل..

سمعت (وداد) باهتمام وبدأت في الدعاء له بقلبها ولسانها وأن يتم الله مشروعه على خير ليتخرج ويصير مهندساً وتحقق أهم أمنياتها، وثاني أمنياتها التي دعت الله بها، هي زواج ابنتها (ألفت) وأن تكون سعيدة هائلة على الدوام..

توجه (نادي) بعد ذلك لمواصلة عمله في بيع (التين الشوكي) بجوار
 عربية حمص الشام التي يعمل عليها أبوه (علي) وأخبر أباه أنه لن يسهر
 الليلة، سترك العمل في بداية الليل للسفر، وشرح له ما قاله لأمه (وداد)
 فأخبره (علي) أنه هو الآخر يشعر ببعض التعب وسيغلق عربية الحمص
 مبكرًا معه ويعود إلى البيت ليخلد للراحة، مرت عليه فترة، وإذا به يجد
 (ديوارس) بجواره، وبعده (مشيرة) .. شعر بالتفاؤل والسعادة، حيث أنه
 في كل مرة يراها يحدث له أمر جيد وأموره تسير على ما يرام، فشعر
 بتفاؤل أن المشروع سينجح في الاختبار، وسيقدم هو وزملاؤه، هدية
 لمصر، تستطيع بها التخلص من الألغام وتطهير الأرض من جرائم
 جيوش الألمان والإنجليز، وكذلك الحفاظ وحماية البدو القاطنين في
 هذه المناطق ..

ناول (نادي) ثمرة تين شوكي إلى (ديوارس) الذي كان منتظرًا
 ومتشوقًا لها على أحر من الجمر، والثانية ناولها لـ (مشيرة) التي
 صارت عاشقة للتين الشوكي، ولا بد من تناوله من يد (نادي) حبیبها
 كل ليلة.

تحدث كثيرًا عن مشروعه، وعن سفره بعد قليل إلى منطقة العلمين
 والصحراء الغربية وربما يعود في الغد في وقت متأخر من الليل،
 وبالتالي فإنه لن يعمل على عربية التين الشوكي في الغد.

عاد رجال (صفوت) بعد أن صدموا موظف الجمارك بسيارتهم
 (الجيب) رباعية الدفع، وطمأنوه أن كل شيء سار على ما يرام، إلا أن

كان هناك تجمهر كبير حول الرجل بعد أن انطلقوا بالسيارة مسرعين، وسألهم (صفوت) عما إن كان لمح أحد السيارة أو رقمها، فأخبروه أن هذا كان مستحيلاً حيث أسرعوا بسرعة كبيرة للغاية والوقت غير كافٍ لأي شخصٍ لملاحظتهم أو التقاط رقم لوحة السيارة، لم يطمئن قلب (صفوت) لكلامهم، أرسل أحد رجاله إلى مكان الحادث ليستفسر ويسأل عن الحادث الذي وقع في الصباح الباكر، انتابت (صفوت) حالة من الهياج مع الخوف والرعب بعد أن عرف من الرجل الذي أرسله إلى مكان الحادث، أن الموظف مات، لفظ أنفاسه في الحال بعد أن صدمته سيارة مسرعة للغاية، شعر برعدة تسري في جسده وشعر باختناق وكأن حبلاً سميكاً خشناً التف حول عنقه، لم يعد قادرًا على التفكير، كل ما كان يحتاجه في هذه اللحظة، هو الشعور بالحماية واستعادة قوته، فكر بـ (صافيناز) حيث هي الوحيدة، بروحها الجامدة وشخصيتها التي لا تهتز، كانت مصدر قوته، وطوال سنين زواجه منها، ورغم كل عيوبها إلا أن الذي جعله يستمر معها هي استبداها وروح السيطرة التي بداخلها، لم يأت عليه يوم، رآها خائفة أو مهتزة، أو قلقة من أي شيء، دائماً تواجه أي مشكلة بقوة شديدة ولا تهتم بالخسارة، أمام كبريائها ووضعها الاجتماعي، الآن هو في أشد الحاجة إلى هذه القوة، إلى جبروت (صافيناز)..

اتصل بها هاتفياً وهو على استعداد أن يرحبها ويستعطفها أن تصفح عنه وتعطيه فرصة أخرى، تسمح بالعودة إلى البيت، حتى وإن طلبت منه

أن يطلق (ميادة) الزوجة الثانية، فسيفعل، سيفعل وينفذ كل ما تطلبه منه، المهم يشعر بقوتها وحماتها، ردت (صافيناز) على الهاتف:

- ماذا تريد أيها الخائن الجبان؟

- لك حق في كل ما تقولين، لكنني أحتاج إليك، أنا يا (صافي) يا حبيبي، لا أستطيع العيش بدونك، البعد عنك لقنني درسًا لن أنساه، عرفت قيمتك في الفترة الماضية وأخذني الحنين والشوق إليك لسماع صوتك، أحيانًا البعد يجعلنا ندرك قيمة الآخرين.

استمعت (صافيناز) دون اكتراث ولم تهتز لهذا الكلام المعسول أو الشعور بالندم ومعرفة أهميتها، ولكنها فجأة، انتفضت من مكانها عند سماعه يقول:

- أنا يا (صافي) يا حبيبي كنت سأخبرك بكل شيء، إنه لم يكن زواجًا فقط كانت مجرد خطأ وكنت أنوي أن أصارحك بكل شيء لولا أن (مشيرة) تعجلت وأخبرتكم، رغم أنها عاهدتني أنها لن تخبرك وستحفظ السر، إلى أن أجد الوقت المناسب لأخبرك بنفسي، هل يمكن أن أعود إلى البيت الآن؟ أنا محتاج لك.

- ماذا؟ (مشيرة) كانت على علم بزواجك طوال هذه السنوات، وتعيش معي في بيت واحد وأنا أمها، وتخفي عني سر كهذا!! عموماً الذي أخبرني هو حرمك المصون (ميادة هانم).

وضعت (صافيناز) سماعة الهاتف وتحولت إلى شيطان، أو وحش، الشرر يتطاير من عينيها، والغضب يحيط بالمكان من كل جانب، صرخت بأعلى صوتها وسط البيت: ”(مشيرة).. أنت يا زفتة!!“

حضرت (مشيرة) مسرعة وخلفها (ديوارس) الكلب، ومن خلفهما (أيمن) حيث استيقظ من النوم لتوه على إثر صراخ أمه.

صافيناز: "هل كنت على علم بزواج أبيك ولم تخبريني؟ لسنوات طويلة، وأنت تعلمين أن له زوجة أخرى وبيت آخر وطفلة، وأنت تعيشين معي وتأكلين معي وتكتمين عني سرًا كهذا؟!!"

مشيرة: "لكن يا أمي، أنا، أنا وعدته، وهو أخبرني أنه يريد أن يخبرك بنفسه وحاولت ألا أتسبب في مشاكل أو خلافات بينكما."

صافيناز: "مشاكل وخلافات! كل شيءٍ انهار، أنا لن أعود إليه مرة أخرى، صرت أكرهه، فهو مطرود من حياتي، والآن أكرهك أنت الأخرى، وأيضًا أنت مطرودة من حياتي ومن البيت، ادخلي اجمعي أغراضك واتركي هذا البيت فورًا، وخذي هذا الحيوان عديم الفائدة معك."

وأشارت إلى (ديوارس)..

لملمت (مشيرة) حاجياتها باكية بشدة وخرجت من المنزل، ركض وراءها (أيمن) بينما تسير معها حقيبة ملابسها وبعوارها (ديوارس)..

أيمن: (مشيرة) انتظري.. نحن الآن في المساء، إلى أين تذهبين؟

مشيرة: لا أدري، لا أستطيع التفكير الآن، المفاجأة فقط أذهلتني ولم أتوقع أن تطردني أمي خارج البيت، أنا ابنتها الوحيدة، هي لها الحق أن تغضب لكن لست أنا الذي تزوجت عليها.

أيمن: انتظري.

وأخرج من جيبه، سلسلة مفاتيحه، أخرج منها مفتاحًا وقال: خذي.. هذا مفتاح شقتي، أنت تعلمين أن أمي اشترت شقة صغيرة لي كي أتزوج فيها في المستقبل، إنها مغلقة وأنا لا أستخدمها في شيء، يمكن أن تقيمي فيها، لكن عليك أن تنظفيها جيدًا، فهي مغلقة منذ سنوات. مشيرة: أشكرك يا (أيمن).. أنقذتني، فأنا لم أكن أعرف إلى أين أذهب!

أيمن: هل تذكرين العنوان؟

مشيرة: نعم، لقد ذهبت معك بأول يوم استلامها من المقاول. توجهت (مشيرة) و(ديوارس) بجوارها سعيد كالعادة، يظن أنه ذاهب لالتهام ثمرة تين شوكي كعادته في المساء.. عاد (أيمن) إلى داخل البيت وبدل ملابسه ثم استعد للخروج، وأخذ معه زجاجة الخمر الصغيرة التي اعتاد وجودها في جيبه في كل مكان، فصار يشرب الخمر بكثرة وفي كل الأوقات ظانًا منه أن هذا سيساعده على التفكير في (دنيا) والإهانات التي توجهها إليه والمعاملة الحقيرة التي تعامله بها، ويظن في الوقت ذاته أن الخمر ستساعده على الانتقام منها وتلقينها درسًا قويًا كي تعرف قيمته وتعرف من هو (أيمن) الذي تركته لأجل خطيئها هذا (أدهم) وفي الوقت نفسه هو يعلم أنها تميل إلى (نادي) المهندس (بائع التين الشوكي) يا لها من سخرية! وربما تكون وقعت في حبه، لكن الأكيد أن (نادي) لا يحبها..

دس زجاجة الخمر في جيبه ووضع زجاجة بخاخ صغيرة في الجيب الآخر، وانطلق خارجاً، مبتسماً ابتساماً يفوح منها الشر وكأنه قادم على زمالة الشيطان في أمرٍ غامض!

غادرت (دولت) المستشفى، فقد عادت كما كانت.. (دولت) الجميلة، ربما نحيلة وهزيلة بعض الشيء، وربما شعرها ما زال قصيراً، لكن السعادة والأمل، كانا يطلان من عينيها، وابتساماً (جيوشي) زوجها ولمسة يده الحنون وهي تمسك بها.

لم يعد يخشى (جيوشي) لمس يد (دولت) خوفاً عليها من جرحها، حيث كانت هي من تمسك يده وتقبض عليها بإحكام وكأنها تتعلق بها، ترجو منها الحماية والأمان بجانب الحب الذي غمر به (جيوشي) (دولت) في السر والعلن، فكان لا يخجل أن يعلن حبه وعشقه أمام الناس لـ (دولت) وكان يقوم بخدمتها أثناء ملازمتها الفراش، ويساعدها في كل شيء، كان ينحني على ركبتيه على الأرض ليضع الحذاء في قدميها، أمام الممرضات والأطباء، ينظر إليها بعطفٍ وحنانٍ وكأنه يقبلها بعينه، فالناس تعرف قبل الشفاه ولكن (جيوشي) كان يقبل (دولت) بروحه، وصوته، وعينه قبل شفثيه، خرجاً سوياً من المستشفى بصحبة (سهام) إلى بيت (دولت) الذي لم تدخله منذ أن اختطفها (فتحي) من سريرها، دخلت ترتجف، أمسكت (سهام) بيدها، ربتت عليها وطمأنتها حيث رفض (جيوشي) دخول البيت، وفضل الانتظار في الخارج، هذا كان أدبه وحيأؤه وأيضاً كان يخشى أن يتعرض إلى أي إهانة..

دخلت (دولت) ومعها (سهام) فكانت أمها تجلس على أريكة، وقد هزل جسدها، وآثار تقدم العمر ظهرت واضحة عليها، وأثناء ذلك اكتشفت أنها قد فقدت بصرها من البكاء الطويل عليها وعلى أبيها الذي مات في سريره وعلى (فتحي) الذي وجدوه ميتاً متعفنًا.

ولم تصدق الأم أن الله أمد في عمرها إلى أن قابلت (دولت) واطمأنت عليها، أخبرتها (دولت) فقط أنها تزوجت من (جيوشي) ولم تخبرها بما حدث لها في السنوات الماضية وعذابها على يد أخيها (فتحي) ثم جمعت حاجياتها وخرجت إلى الخارج لملاقة (جيوشي) وأخذها للسفر إلى الإسكندرية والعيش معها هناك..

دخل (أيمن) إلى مطعم البيتزا وانزوى جانبًا شاردًا، يشرب الخمر من زجاجته وفي يده الأخرى زجاجة صغيرة بها بخاخ، رآه (أكرم) شريكه..

أكرم: ما بك؟ عينك حمراوان للغاية، تبدو في حالة غير جيدة، يمكنك الذهاب إلى البيت إذا أردت الراحة.

أيمن: لا، ليس الليلة، الليلة تحديداً، ليلة الانتقام.

أكرم: الانتقام؟! ماذا تنوي فعله؟ وما هذه الزجاجة البيضاء الصغيرة

التي بيدك؟

أيمن: هذه الزجاجة، هي الحل، المنقذ، الزجاجة الساحرة التي ستعيد لي كبريائي وكرامتي، وتكسر أنف كل من أراد إهانتني، سنرى.. الليلة.“

وصل (إسماعيل مساعد) صديق (نادي) إلى عربة التين الشوكي حيث كان يقف (نادي) وأخبره أن الوقت قد حان للرحيل، يجب أن يتحركا الآن..

نادي: حسناً أنا جاهز، دعني فقط أعطي العربة وأشد حبالها جيداً، هل ممكن أن تساعدني؟

وبالفعل قام (نادي) بوضع غطاءً من القماش السميك فوق عربة التين الشوكي الخشبية وشد الغطاء بالحبال وكان الغطاء طويلاً، ملامساً للأرض، وساعده في ذلك (إسماعيل) صديقه، ثم أخبر (علي) أن يستعد هو الآخر للذهاب، وبالفعل سار ثلاثتهم، نادي، إسماعيل، الأب (علي)..

ثم افترقا بعد فترة حيث اتجه الأب إلى بيته، وأكمل (نادي)، وإسماعيل) طريقهما إلى حي (محرم بك) حيث يوجد موقف سيارات الأجرة المتجهة إلى مرسى مطروح، وعندما تمر السيارة من أمام العلمين، سياتر كان هذه السيارة ويستقلان سيارة أخرى تأخذهما إلى الجنوب عبر الصحراء الغربية متجهين إلى (سيدي براني) حيث تسكن عائلة (إسماعيل).

وبالفعل استقلا سيارة أجرة تحمل سبعة ركاب والسائق، متجهين غرباً عبر الطريق الساحلي إلى (العلمين) قبل مرسى مطروح، وظلا

(نادي) و(إسماعيل) يتناقشان في تفاصيل المشروع والتجربة التي ستم في الغد، وأصدقائهم الذين يحضرون بسيارتهم ومعهم الروبوت والدرون..

دخل (علي) البيت، ليسمع بكاء (ألفت).. انتابه القلق الشديد، دخل حجرة (وداد) كانت في حالة إعياءٍ شديد والآلام تعاودها بينما (ألفت) تجهز الحقنة لها، وقد تعلمت (ألفت) كيف تحقن أمها بالحقنة الدوائية، وبعد فترة من جلوس (علي) إلى جوار (وداد) وهو يربت على كتفها ويحاول مداعبتها، استعادت عافيتها قليلاً، فإذا به يقول لها:

- سأجهز لك أشهى عشاء يمكن أن تأكله، ولن تأكلي الطعام الملون، سأحضر لك سلطة فواكه بالكريمة، فلقد عرفت طريقته من زبونة تأتي لتأكل حمص الشام، وعرفت منها طريقته وأحضرت معي بعض الفاكهة.

- أي زبونة هذه؟ لم تخبرني عنها من قبل، أهي جميلة وصغيرة؟
- ما هذا؟ أتغارين يا (وداد)؟ أتغارين علي؟
وضمها بشدة ثم صاح على ابنته (ألفت): تعالي يا ألفت.. أمك تغار علي.

وداد: لا، ليست غيرة، فقط مكاتتك عندي لم تتغير، لكن، إني لي طلب آخر، ربما يكون الأخير! أريد الذهاب إلى السينما.. أريد أن أختتم حياتي بمشاهدة فيلم عاطفي رقيق، يذكرني بأبي وأمي، هل يمكن يا (علي)؟!!

علي: أكيد ممكن، أنا لم أذهب إلى السينما منذ سنوات طويلة، واشتقت كثيراً إلى الخروج معك للتنزه، هيا بنا.. استعدي.

نظرت (وداد) خارج نافذة السيارة الأخرى، إلى بحر الإسكندرية الذي تعشقه وإلى المارة على الكورنيش، ومرت السيارة أمام عربة حمص الشام، مظفأة الأنوار وبجوارها عربة التين الشوكي وعليها الغطاء السميك فوق كوبري أكتوبر، ابتسمت وهي فخورة بزوجها وابنها الذي أوشك على التخرج وسيصبح مهندساً، ولا يخجل أن يبيع التين الشوكي كي يدخر الجنيهات القليلة لعلاج أمه.

ظلت مبتسمة إلى أن دخلت إلى دار السينما، لم تكن تهتم بمتابعة الفيلم بل كانت في عالمٍ آخر، وهي تستعيد ذكريات وتفاصيل حياتها وكأنها تعرض على الشاشة الضخمة أمامها في القاعة المظلمة الممتلئة بالمشاهدين، لكنها وحدها هي من تستطيع رؤية تلك الأحداث، طفولتها بين أبيها وأمها، زواجها من (علي) حياتها معه بالقرية، تركهم للقرية، زيارتها للحسين وزيارة الضريح، إقامتها في الإسكندرية، صداقتها لـ (عواطف) أولادها.. (ألفت، ونادي) و(راشد) الذي صار شيئاً مهماً في القوات البحرية، رغم أنه ما زال برتبة (صول) إلا أنه يحكي لها عن مهام جليلة يكلف بها في خفر السواحل، (لنشات) القوات البحرية التي تجوب البحر المتوسط، لحماية الشواطئ من أي أفعال مخالفة ومطاردة المهربين.. وكان (وداد) كانت ترى بأم عينها ما يحدث في هذه اللحظة، حيث كان (راشد) بالفعل على رأس قوة في (لنش) بحري تابع للقوات البحرية يجوب شواطئ الإسكندرية، وفجأة وجدوا سفينة

صغيرة، تغرق وتطلق استغاثة، اقترب منها (النش) البحري، حاولوا إنقاذ طاقمها ومن عليها، فوجدوا أنها مركب قديمة متهاككة ولا تصلح للإبحار، وعليها عدد ٨٢ فرداً رغم أنها لا تتحمل أكثر من ٢٠ فرداً.

وكانت المفاجأة أنها كانت مركب للهجرة غير الشرعية، تم إنقاذهم جميعاً، وألقوا (الهلل) في قاع المركب التي كانت طافية على الماء بلا حركة خصوصاً بعد أن خف الحمل من عليها وإنقاذ جميع الركاب الذين كانوا من جنسيات مختلفة، وتم الإبحار بهم جميعاً إلى قاعدة القوات البحرية في قاعدة (رأس التين)..

لم تكن (وداد) تعلم ما حدث في اللحظة التي تذكرت فيها (راشد) وأنه أصبح إنساناً مسؤولاً بعد أن كانت حياته في السابق مليئة بالإخفاقات والفشل والإحباط.

تناولت (وداد) حبات (الفيشار) وهي سعيدة للغاية ولم تهتم بالأم معدتها، أمسكت بيد (علي) بقوة وضغطت عليها كأنها توجه له رسالة ما.

ادعى (أيمن) أنه يرد على الهاتف وعلى الطرف الآخر من الخط، فتاة تطلب شطيرة بيتزا بالخضروات، فطلب من (أكرم) أن يأتي معه لتوصيل ذلك، تعجب (أكرم) وتساءل: لم علينا الذهاب نحن الاثنان، فليكني واحد فقط، اذهب أنت أو أذهب أنا.

فأصر (أيمن) أن يذهبا سوياً..

توجهها بسيارة الدليفري إلى فيلا (نادر بك) وكان (أيمن) هو من يقود السيارة و(أكرم) إلى جواره، وما أن وصلا أمام باب الفيلا، حتى

نزل (أيمن) من السيارة وتوجه حيث كان يجلس (أكرم) إلى جواره ونظر إليه عبر النافذة المفتوحة قائلاً: "سامحني يا صاحبي".

ورش على وجهه بعض زخات من الزجاجة البيضاء التي كانت في يده، أفقدته الوعي على الفور، ثم أخذ البيتزا من الصندوق الخلفي للسيارة، وصعد بها إلى الباب الخارجي للفيلا، دق الجرس، فتحت (عواطف) الباب، أخبرها أنه هنا ومعها البيتزا التي طلبتها الأنسة (دنيا).. تعجبت (عواطف) للغاية، وأخبرته أن (الست دنيا) لم تطلب بيتزا حيث هي قد تناولت العشاء لتوها.. العشاء الذي أعدته (عواطف)..

أصر (أيمن) أنها طلبت البيتزا ويريد أن يسألها بنفسه، صعدت (عواطف) إلى الطابق الأعلى كي تخبر (دنيا) بوجود الدليفري على الباب، تعجبت (دنيا) وأخبرتها أنها لم تطلب شيئاً، ونزلت لترى ما يحدث.

أخبرها (أيمن) أنه عمل مسألة البيتزا حجة لطلب مساعدتها، حيث كان ذاهباً لتوصيل بيتزا إلى جار لهم في الشارع نفسه وحدث أن راح صديقه في حالة إغماء، ولا يدري ماذا يفعل! ففكر أن يستعين بها، طلب منها أن تحضر زجاجة عطر وقطعة قطن ليحاول استفاقة، أخبرته (دنيا) أن الأفضل الاتصال بطبيب أو الإسعاف، رد (أيمن) أن الأمر بسيط ولا يحتاج إلى كل هذا، فقط دقائق ويستفيق.. أحضرت (دنيا) العطر وقطعة القطن وخرجت معه للسيارة، وجدت فعلاً زميله (أكرم) في حالة إغماء، حاولت عبر النافذة التي بجواره استفاقة لكن (أيمن) أخبرها أنه من الأفضل أن تجلس على الكرسي الخلفي داخل السيارة لتتمكن

من وضع القطن المعطرة بالعطر على أنفه من الخلف، وبالفعل دخلت (دنيا) وجلست على المقعد الخلفي ثم استعدت لتضع بعض قطرات العطر على القطن، جاء (أيمن) بجوارها ورش على وجهها بعض زخات من الزجاجة البيضاء الصغيرة، الزجاجة نفسها التي خدر بها صديقه، فراحت في إغماءة، قاد (أيمن) السيارة وتوقف بها في شارع مظلم لا يمر منه المارة كثيراً، ثم جلس في الكرسي الخلفي بجوار (دنيا) وهي في حالة إغماء تام وفاقدة الوعي، اعتدى عليها واغتصبها بشدة إلى أن نرفت، استفاق حين رأى الدماء تسيل منها وتبلل بعض ملابسها.

قاد السيارة مرة أخرى وهو في حالة من الفرح والسعادة للانتقام منها، وذلتها وإهانتها، وحالة متضاربة من شعوره بالحقارة والدونية، توجه بالسيارة إلى طريق الكورنيش بجوار كوبري استانلي، وتوقف أمام عربة التين الشوكي، ثم أخرج (دنيا) من الباب الخلفي حيث صف السيارة بجوار العربة مباشرة، ووضع (دنيا) تحت الغطاء السميك الذي يغطي عربة التين الشوكي الخشبية، وبعض الدماء تسيل منها.

ثم توجه بالسيارة على الجانب الآخر من الطريق وصفها في شارع جانبي وعبر الشارع على قدميه، وكأنه يمشي على الكورنيش وإذا به يقف أمام عربة التين الشوكي وهو يرفع الغطاء القماشي السميك قائلاً: "يا إلهي! إنها دماء.. وجدت قتيلاً!!"

وصل (جيوشي) مع (دولت) وأمها بعد سفرٍ شاق، من أسبوط إلى القاهرة ومن القاهرة إلى الإسكندرية، كان ثلاثتهم في سيارة أجرة قادمة

من القاهرة واقتربت إلى الدخول إلى موقف سيارات الأجرة في محرم بك، شاهد (جيوشي) من النافذة (نادي) وهو يدخل إلى سيارة أجرة ويغلق الباب والسيارة تنطلق ببطء بينما (جيوشي) يفتح الباب للنزول، حاول اللحاق به لمصافحته لكن سيارة (نادي) وزميله (إسماعيل) كانت قد انطلقت متوجهة في طريقها إلى العلمين.

بعد أن فقد (صفوت) الأمل في الاحتماء بـ (صافيناز) توجه إلى (نادر بك) وشرح له ما حدث له والموظف، وأنه يخاف من أن يتم القبض على الرجلين اللذين قاما بتلك الفعلة وأن يشيا به وبالتالي سيزج باسم (نادر بك).. شعر (نادر) بالرهبة والغثيان، الأخبار السيئة تنهال عليه من كل جانب، قام بعمل عدة مكالمات هاتفية، ثم أخبر (صفوت) أنه عمل كل الترتيبات وعليه أن يخبر هذين الحارسين أن يتوجها إلى مزرعته في مدينة فايد بالإسماعيلية للاختباء هناك إلى أن تهدأ الأمور، وأعطاه ورقة فيها عنوان المزرعة ثم دق التليفون ليحجب، ويغلق الهاتف فاغراً فاه، وألوان الطيف ترسم على وجهه، وأخذ يردد بينما يضع أصابعه على فمه وكأنه يريد إسكات نفسه، يريد أن يتلاشى صوته ولا ينطق: "دنيا.. دنيا) حبييتي.. تعال معي يا (صفوت)."

توجه الاثنان إلى المستشفى، ترقد في قسم العناية المركزة والزيارة غير مسموح بها على الإطلاق، وكان بالخارج (أيمن بن صفوت).
والذي أخبرهما أنه وجدها ملقاة، غارقة في دماثها، تحت عربة تين شوكي مملوكة لهذا المخلوق الذي يدعى (نادي) الذي كان يساعدني في الدراسة عندما كنا أطفالاً..

فرح (صفوت) أن ابنه أسدى معروفًا لـ (نادر بك) وأنه هو من أبلغ وطلب الإسعاف لإنقاذ (دنيا).

بينما انهار (نادر) عندما علم أنها حالة اغتصاب واعتداء جنسي عنيف بلا رحمة، فلم تتحمل ونزفت الكثير من الدماء، وقد تم عمل نقل دم لها ومحاولة إنقاذها، شكر (نادر) (أيمن) بحرارة، ولم يكن يعلم أنه الجاني ويقف أمامه يرد الشكر لـ (نادر) وكأن الله أراد الانتقام من الجميع، فسלטهم على بعضهم البعض، حضر رجال من الشرطة والمباحث الجنائية والأمن العام، على أعلى مستوى وبدأ أخذ أقوال الجميع، فلم يكن هناك أقوال تحدد الجاني إلا (أيمن).

فتم اتخاذ القرار بسرعة ضبطه وإحضاره، توجهوا إلى منزله، ولم يكن هناك بالمنزل إلا (ألفت) التي انزعجت من أسلوب رجال المباحث الفظ الغليظ، فقد فثشوا كل مكان بالمنزل الصغير للغاية بعدما سألوا (ألفت) أكثر من مرة وهي تجيب الإجابة نفسها، أن أختها (نادي) سافر إلى العلمين، لعمل تجارب عملية على مشروع تخرجه هو ومجموعة العمل من طلاب كلية الهندسة، ثم سألوها: هل يمتلك عربية خشبية لبيع التين الشوكي بجوار كوبري ستانلي؟

أو مات بنعم..

علم (نادر) من الأطباء أن حالة (دنيا) لن تستقر قبل الصباح ويستطيع رؤيتها، فاستأذن (صفوت، وأيمن) للذهاب إلى بيته لأمر هام والعودة سريعًا، قاد سيارته بسرعة كبيرة، نسي بها كل مشاكله وصار كل تركيزه في هذا الحيوان الذي تجرأ لإيذاء ابنته وإيذائه هو شخصيًا، هذا الشاب

الحقير (نادي) والذي منذ أول يومٍ رآه عندما كان صبيًّا صغيرًا، حكم عليه أنه صعلوك، وعارضني الكثير، لأمني الكثير وقالوا بأنه ولد ممتاز، رأيي فيه منذ طفولته كان صحيحًا، رأيت الإجماع على وجهه والحقده على الأغنياء في عينيه ولكن قلبي الضعيف سامحه، وتمر السنوات ويريد الانتقام ليحقق ما أمرته به أحقاده الدفينة، وكأنه كان يصبر إلى أن يصير شابًا قويًا، فيستطيع أن يذلني كما أذلته وهو صبي، يحاول إهانتني، ووضع رأسي في الأرض.. لا، لن يحدث هذا ولن أتركه يتمتع بأنفاسه الدنيئة القذرة التي تدخل إلى رئتيه وتملأهما بالهواء الملوث ثم ينفث بوجوهنا، تزداد سرعة السيارة و(نادر) يحدث نفسه بصوتٍ مسموع داخل السيارة ويبدو عليه أفعال وتصرفات المجانين، جرح قلبه وأهينت روحه، نعم روحه.. (دنيا) هي روحه، حياته، كل الجمال والخير في دنياه، نعم هي دنياه وعالمه.. وصل إلى فيلته، وما أن فتح الباب حتى صرخ في أرجاء المكان: ”(عواطف).. (عواطف).. أنت يا زفتة يا (عواطف).“

أتت (عواطف) مهرولة وفي يدها سكين المطبخ، حيث كانت تقطع بعض الخضروات وتجهز لطعام الغد، نظر (نادر) إلى السكين في يدها، استشاط غضبًا وقال: ”اتركي هذا السكين واستعدي سنخرج سويًا، ونعود في الصباح أو المساء، أو الصباح الذي يليه، لا أعلم، لا أعلم.“

عواطف: ”لماذا؟ ماذا حدث؟ إلى أين نذهب؟ ومن سيهتم — (الست دنيا)؟ هل نتركها طوال الليل وحدها في الفيلا؟ هي خرجت وقالت أنها ستعود سريعًا لكنها تأخرت.“

دخل (نادر) حجرة مكتبه وفتح خزانة صغيرة، ثم أخرج منها مسدسين؛ واحد أسود اللون، والآخر لامع بلون ذهبي، وكأنه منحوت من الذهب الخالص، وضع ذخيرة من الرصاص في خزانة كل مسدس، وأحضر معه بعض النقود ثم خرج ليجد (عواطف) تنتظره عند الباب، لم تتوقف (عواطف) عن البكاء المتواصل طوال الطريق، صورة ابنتها (ميرفت) أمام عينيها بجوار صورة (دنيا) المعتدى عليها، المغتصبة جسدياً وروحياً، ومع كل صوت نههة وبكاء يتعالى صوت (نادر): سأقتله، لن أتركه يهنأ بلحظة واحدة، سأقتله.. سترى يا (نادي).. أيها الحقيقير.

سمعت (عواطف) اسم (نادي).. توقفت عن البكاء ولم تنطق بكلمة واحدة، شعرت أنها ستقتل إن قالت ما حدث منذ أن جاء (أيمن) بالبيتزا زاعماً أن (دنيا) طلبتها، وخرجت معه بملابس البيت، لكنها لم تكن تتخيل ما حدث لـ (دنيا)!!

وصل (نادي) و(إسماعيل) قرب حلول الفجر، وكان في استقبالهما الشيخ (مسعود) والد (إسماعيل).. استقبل (نادي) بحرارة شديدة حيث طالما تحدث (إسماعيل) مع والده عن صداقته لـ (نادي) وأنه يعتمد عليه كثيراً في الكلية لمساعدته في الدراسة، وكم هو شاب على خلقٍ عالٍ وإنسان مكافح يعمل بائعاً متجولاً كي يساعد أمه المريضة! وأنه صاحب فكرة اختراع الإنسان الآلي.. صائد الألغام!

قضى (نادي) وقتاً طيباً للغاية واستمتع بحديث الشيخ (مساعد) وتناول معهما طعاماً شهياً وصحياً للغاية، يعتمد في مكوناته على الخيرات الطبيعية، حليب الماعز والجبن والخبز البيتي، وكذلك عسل النحل الطبيعي وزيت الزيتون الصافي النقي، مع حبات الزيتون المصفاة بطريقة طبيعية دون أي إضافات، مر الوقت سريعاً كعادة الأوقات الحلوة، دائماً ما تمر بسرعة، ومع ضوء النهار، انطلقا لملاقاة أصدقائهما ورجال الهيئة الهندسية التابعة للقوات المسلحة.

وبالفعل، تجمع الرجال في المكان والميعاد المحدد وكان معهم الشيخ (مساعد) وعدد من رجال القبائل البدوية، بدأ التحضير وتحديد مكان انطلاق التجربة، وكان بصحبة رجال القوات المسلحة وحدة للتصوير المرئي (الفيديو).

وبالفعل انطلق (الروبوت) في اتجاه طولي على ارتفاع ١٨ متراً وبعد لحظات توقف في الهواء ثم أطلق أشعة ليزر حارقة، ففجر أول لغم، فرح الجميع، وكان أكثرهم فرحاً بعد (نادي) الشيخ (مساعد) فلظالما عانت قبيلته وأسرتة من تلك الألغام التي حصدت أرواح الكثيرين وأعاقت آخرين إعاقات جسدية بالغة ثم واصل الروبوت المشتب تحت طائرة دون طيار (درون) انطلاقه، وبعد لحظات أخرى توقف مرة ثانية مرسلًا أشعة أخرى، فدمرت وفجرت لغماً آخر، وثالثاً ورابعاً، وهكذا مضت نصف ساعة من العمل الناجح لهذا الاختراع العظيم، وتم تصوير الوقت كاملاً وتوثيقه، تمت التجربة بنجاح، وتواعد الجميع على اللقاء في مكتب قائد القوات الشمالية بعد ثلاثة أيام للاحتفال بالنجاح وللحديث

عن تفاصيل تحويل هذا الاختراع إلى نموذج تصنيعي، يرى النور ويتم تصنيع عدد كبير منه لإزالة الألغام في مصر.

في الصباح، علمت (مشيرة) بما حدث من أيها (صفوت) وأن أخاها قد شاهد (نادي) يعتدي على (دنيا) جسدياً، وأنه أبلغ الإسعاف وأنقذ (دنيا) وكان يتحدث بفخرٍ شديد عن (أيمن) ويسبق اسمه بوصفه البطل (أيمن).. لم يستطع عقل (مشيرة) ولا قلبها ولا أي عضو فيها تصديق ما حدث، أنه حدث من (نادي) لا من قريب ولا من بعيد، ودخلت في مشادة حامية مع أيها المحامي (صفوت) بينما تدافع عن (نادي) بشدة وثقة غير عادية، و(صفوت) يتهمه بكل ثقة وإيمان ويتحدث عن بطولة ابنه (أيمن).. زادت المشادة إلى أن وصلت لطرده (صفوت) لـ (مشيرة) من مكتبه بعد أن طلبت منه أن يتولى الدفاع عن (نادي).

سقطت دموع (مشيرة) ونهضت قائلة: "أمي تطردني من البيت منذ أيام، وأبي يطردني الآن من العمل."

ثم عزمت على أنها لن تترك (نادي) يواجه أعتى الرجال وحده، يواجه (نادر) بنفوذه وعلاقاته وأمواله ويواجه أباهَا ذا الخبرة القانونية وأخاها الذي ليس لديه ما يخسره سوى أن كرهه لـ (نادي) غيره بطاقة غريبة يستطيع معها إيذاءه بأي شكل..

توجهت (مشيرة) إلى المستشفى حيث ترقد (دنيا) وهناك التقت بـ (نادر، وعواطف) وكان الحديث بينهم متأثراً.. أرادت (مشيرة) أن تسمع من (دنيا) ما حدث وتطلب منها أن تبرى (نادي) وتعلن الحقيقة، فهي المجني عليها وهي الوحيدة بكلمة حق قادرة على إنقاذ (نادي)

من غيبوبة قاسية في انتظاره، لكنها وجدت (دنيا) في حالة إغماء وغير مسموح بزيارتها أو الحديث معها بأي حالٍ من الأحوال..

انزوت بـ (عواطف) جانباً وأخبرتها أنها في صف (نادي) ويجب أن تذهب إلى أسرته للاطمئنان عليهم وإبلاغهم أنها لن تقف مكتوفة الأيدي، ثم توجهت إلى مكتب الأستاذ (هاشم محمود) المحامي، وهو حاصل على دكتوراة في القانون، وكان أستاذها في الكلية، استعانت (مشيرة) به نظراً لخبراته القانونية، والسبب الآخر أنها لا تستطيع مواولة المهنة ولا الترافع في القضية بمفردها دون إنهاء فترة التدريب.

دق جرس الهاتف عدة مرات في فيلا (نادر بك) حيث اعتادت (ناهد) على الاتصال مرة أسبوعياً للحديث مع (دنيا) والاطمئنان عليها.. دق كثيراً، لكن دون أي جدوى من الرد، انتاب (ناهد) شعور بالقلق، فهي غير معتادة على غياب (دنيا) أو (عواطف) فترة طويلة بعيداً عن البيت، فكرت في الاتصال بـ (نادر) لكن تراجعت عن الفكرة، فهي تكره سماع صوته، ظل (أيمن) قابلاً خارج غرفة (دنيا) وما أن شعر أن الغرفة خالية إلا من (دنيا) المستلقية على سريرها، تسلل إليها ووجدها تحاول فتح عينيها، وعندما رآته كانت تصرخ، لكنه وضع يده على فمها وأعاد أنبوب الأكسجين إلى أنفها بعد أن أزاله..

أيمن: "اسمعي، أنا معترف أنني كنت مثل الحيوان معك، لكنك لا تدريين مدى حبي لك، أنا أصلح لك من خطيئك الأبله هذا (أدهم) سأصلح كل خطأ وأتزوجك، لكن عليك أن تقولي بأن (نادي) هو من فعل بك هذا، وإن لم تفعلني، فاستعدي لما سأقوم به، سأفصح أمرك

أمام الجميع، وأخبرهم أنك تحبين (نادي) وحاولت خيانة خطيبك،
وثانيًا: سأقتل أباك (نادر).. نعم، أنا مستعد لعمل أي شيء.. تذكرني أن
(نادي) هو من فعل بك هذا وتركك بجوار عربة التين الشوكي.“

نظرت إليه (دنيا) برعب وأومات برأسها أنها ستلتزم بأوامره.. ثم
خرج (أيمن) من الغرفة ليرى (نادر) يتحدث إلى الطبيب وبجوارهم
(أدهم).. خرج دون أن يراه أحد وانضم إليهم في الحديث وكأنه لم
يفعل شيئًا، وادعى أنه لا يستطيع أن ينسى مشهد (دنيا) وهي مهددة
تحت غطاء العربة الخشبية، ولولا وجوده بالصدفة لربما قد ماتت..

أمضت (وداد) أسوأ ليلة في حياتها بعد أن عادت إلى البيت فرحة
سعيدة من الذهاب إلى السينما وقضاء وقتٍ جميل بصحبة زوجها
(علي).. لم يعد البكاء كافيًا لإزالة الآلام وتخفيف توابع ضربات القدر
المتتالية لهم، لكن (نادي) له مكانة خاصة في قلوبهم!

كاد عقل (علي) أن يجن عندما علم أن ابنه متهم في جريمة، لا
يعرف التفاصيل، لكن كل ما يعرفه أنه لن يقف مكتوف الأيدي، دخل
إلى حجرة نومه وأخرج صندوق أحذية فارغًا، به بعض الأوراق، رفع
الغطاء وبحث باضطرابٍ ويدها ترتعشان، بين الأوراق إلى أن وجده،
وجد بطاقة صغيرة مكتوب عليها (الأستاذ. صفوت المحامي) كان قد
أخذها منه منذ أكثر من اثني عشر عامًا عندما تقابلا لأول مرة في القطار
القادم من أسيوط والمنتجه إلى القاهرة، ويذكر (علي) أن (صفوت) في
هذا اليوم كان معجبًا أشد الإعجاب بذكاء (نادي) وقدرته الغير معتادة

على الحساب، وأوصاه أن يهتم به وإن أراد أي استشارة قانونية أن يستعين به، وأعطاه هذا الكارت الشخصي..

توجه (علي) على الفور، إلى حيث العنوان المدون على البطاقة، فكر في الاتصال هاتفياً لأخذ ميعاد، لكنه قرر التوجه دون أي اتصال، شعر (علي) بانفراجة عند علم بوجود (أ. صفوت) في مكتبه، دخل عليه وحاول تذكيره بلقائهم في القطار، تذكره (صفوت) على الفور لكنه ادعى أنه لا يتذكره مطلقاً، ثم سأله: ما الأمر؟

شرح له (علي) ما يعرف عن الأمر، معلومات قليلة للغاية، فهو لا يعرف التهمة الموجهة إلى ابنه (نادي).. من طريقة تفتيش المباحث والشرطة يبدو أن الأمر خطيراً، فطلب من (صفوت) التوجه إلى قسم الشرطة معه لمعرفة حقيقة الأمر والدفاع عن ابنه إذا لزم الأمر.

انفعل عليه (صفوت) وتحدث معه بطريقة مليئة بالاحتقار والإهانة، وأخبره أنه لم يكن من الصواب الحضور إليه، إنه محام كبير ويتقاضى (أتعاب) لا يقدر عليها، وأنه محام لصفوة المجتمع ورجال الأعمال فقط ثم استدار (صفوت) وأدار ظهره إليه وبحث في بعض ملفات وأوراق كانت في يده..

خرج (علي) وشعوره بالإهانة يكاد يقتله أو يسحب روحه من داخل جسده الذي كان في حالة غليان شديد، لكن حبه لـ (نادي) وخوفه على مستقبله، جعله يتناسى كل الإهانات والسباب ليفكر من جديد بمن يستعين، قرر العودة إلى المنزل أولاً للاطمئنان على (وداد) التي أخبرته

أن (عواطف) حضرت برسالةٍ من (مشيرة) أنها مسؤولة عن الدفاع عن (نادي) ولن تتركه إلا بعد أن يعود الحق إلى أصحابه.

اتخذ فريق العمل (طلاب كلية الهندسة) طريق عودتهم بطريقة الذهاب نفسها بعد نجاح التجربة بامتياز.. (نادي، ومساعد) يعودان بسيارة أجرة من (سيدي براني) إلى (العلمين) ثم سيارة أجرة أخرى إلى (محرم بك) وبعدها يتجه كل واحدٍ منهما إلى بيته، رحلة شاقة، وصلا حين هطول الظلام، وعند وصول السيارة إلى موقف (محرم بك) وكان رجال المباحث يحيطون بالعربة، وتم القبض على (نادي) وسط ذهول السائق والركاب، وأكثرهم ذهولاً ودهشة (إسماعيل مساعد) الذي حاول أن يفهم ما حدث، لم يجبه أحد، واقتادوا (نادي) إلى سيارة الشرطة وهو ذاهل لا يفهم ما قد حدث!!

في قسم الشرطة، تم عمل المحضر والإجراءات اللازمة، ثم تم وضعه في حجز القسم، سار (نادي) بخطواتٍ بطيئةً مكبلاً بالأساور المعدنية التي تلتف حول معصميه في طرقات القسم بصحبة أمين الشرطة.. غير مصدق ما سمعه، هو متهم.. (نادي) متهم! فكرة مرعبة للغاية! ومتهم بماذا؟ سب وقذف، سرقة، شجار، رشوة، تزوير.. لا، لا، إنه اغتصاب فتاة بكر! أنا اغتصب فتاة! ومن؟ (دنيا)!! التي كنا أدرس معها في الطفولة، هي أخت لي، نعم، دائماً أراها أختي المدللة المرفهة ابنة رجل الأعمال المشهور، اغتصاب! هتك عرض! تحرش! إيذاء بدني! اعتداء جسدي! كل هذا أنا؟! أنا في مهمة لإزالة ألغام

الصحراء الغربية، إزالة ظلم وعدوان جيوش الألمان والإنجليز في حرب مر عليها أكثر من سبعين عامًا، اتهم بدلاً من تكريمي، في الصباح أقف إلى جوار ضباط الجيش لمشاهدة التجربة وفي المساء أنا مغتصب وهاتك عرض !!!

والآن أدخل إلى هذا المكان وسط المجرمين، اللصوص، بائعي ومروجي المخدرات، إهانة، أساور!! اتهام! ومطلوب أن أدافع عن نفسي، الله مطلع على السر والعلن ولا أحتاج للدفاع عن نفسي أمامه، لكن أمي، أبي، مشيرة، إخوتي، يا رب، أنت العدل، يا رب أنت الحق، يا رب أنت القادر، أنا في محنة، وأحتاج لمعجزة للخروج منها.

وجدوا (دنيا) تحت قماش عربة التين الشوكي، كيف هذا؟ والدماء تسيل منها وتم الاعتداء عليها!!

أنا لست أفضل من نبي الله (يوسف) حينما سجن، ولا أفضل من نبي الله (إبراهيم) حين حرق بالنار، ولا أفضل من سيدنا (محمد) حين ترك مكة وهاجر منها.

تفرغت (مشيرة) لـ (نادي) وتحركت في كل اتجاه، حصلت على صورة من محضر الشرطة وقدمته للأستاذ (هاشم المحامي) الذي استمع لـ (مشيرة) بعناية، وبعد قراءة المحضر، أخبرها أنه سيقبل القضية لكن الأمر في غاية الصعوبة..

تشكل فريق من البحث الجنائي بقيادة العقيد (صبري) والرائد (كريم) ومعهم مجموعة عمل كبيرة، وبدأت الاجتماعات بينهم وتحديد المهام، للبحث والتحري عن (نادي) وأسرتة وتحركاته في محيط سكنه من الجامعة والعمل على عربة التين الشوكي، وكذلك معلومات عن (دنيا) وأسرتها، وبعد فترة من التحري، و(نادي) ما زال محبوسًا في حجز القسم، بدأت الأمور تتضح قليلاً لفريق العمل.

وفي الوقت ذاته كون المحامي (هاشم) مع (مشيرة) وبعض المساعدين، فريقًا آخر للعمل، حيث طلب (هاشم) من (مشيرة) معلومات عن تحركات (نادي) في ذلك اليوم من الصباح وحتى وقت متأخر من الليل، مع أسماء وتوقيتات السائقين الذين نقلوا (نادي) في كل مكان توجه إليه بالمواعيد المحددة، كذلك طلب أن يلتقي بـ (عواطف الداود) والخادمة لـ (دنيا).

قامت (مشيرة) بزيارة (نادي) في قسم الشرطة، أرسلت زيارتها إليه برسالة أمان وطمأنينة كبيرة، كم كان في حاجة إليها! ازداد الحب بينهما صلابة في الأزمة الشديدة، مرت عدة أيام على البحث والتحري من الجانبين، رجال الشرطة والمباحث الجنائية، ومن جانب آخر محامي (نادي) .. (أ. هاشم) و(مشيرة).

وكانت (عواطف) بين البيت والمستشفى تعيش حالة من الرعب والخوف من (نادر) و(ببين (ضميرها) الذي يخاف أن يستفيق، فهي أضعف من أن تواجه تهديدات (نادر) خصوصًا بعدما شاهدت مسدسين في يده وحالته الجنونية، وفي إحدى مرات ذهابها إلى البيت لإحضار

بعض الأغراض، دق جرس الهاتف، كانت (ناهد) على الطرف الآخر من المكسيك، وبلهفة شديدة سألت (عواطف) عشرات الأسئلة عما يحدث حيث اتصلت مئات المرات ولا أحد يجيب الهاتف، بدأت (عواطف) في البكاء مع شرح ما حدث ولكنها شرحت منذ أن دخلت (دنيا) المستشفى ولم تجرؤ على الإفصاح عن الجزء الأول منذ قدوم (أيمن) زاعماً أن (دنيا) طلبت عشاء (بيتزا) إلى أن خرجت معه بملابس البيت، ومن بعدها لم تعد وما زالت في المستشفى.

بدأت حالة (دنيا) في التحسن وسمح لها الأطباء بمغادرة المستشفى مع إصرار أبيها (نادر) خصوصاً بعد أن ازدادت حالته سوءاً ودخل في نوبة صياح حينما علم أن أطباء الطب الشرعي كشفوا على ابنته بناءً على طلب من النيابة، وبحضور رجال المباحث.

هاج وماج، وأخبرهم بأعلى صوته أن ابنة (نادر فخري) لا يمكن أن يتم توقيع الكشف عليها من قبل أطباء مصلحة الطب الشرعي، إنها مهانة وهو لن يسكت، سيتصل بأعلى رجال الدولة، سيتصل بالنائب العام، بوزير العدل شخصياً، ظل على هذا الحال ولا يلتفت إليه أحد، إلى أن انتهى الكشف، غادرت (دنيا) المستشفى، وها هي صامتة بلا كلام أو أي رد فعل سلبي أو إيجابي، وجهها شاحب للغاية، هزيلة، متعبة، وكل ما تطلبه هو أن تكون وحدها وتخلد إلى النوم، رفضت الكلام مع كل الناس حتى أمها (ناهد) رفضت الرد على الهاتف والحديث معها، مما اضطر (ناهد) أن تقرر السفر والعودة إلى مصر بصحبة زوجها (باولو) وابنها (عبد الله) والذي كانت هذه أول زيارة له لمصر، ولكن الظروف

كانت ضده في أن يقضي إجازة ممتعة، حيث أن أمه كانت منهارة تمامًا وأن له أختًا غير شقيقة (دنيا) ويتشوق لرؤيتها، لكن الوضع غير مناسب، لم يقتنع الرجل الثاني من رجال المباحث (الرائد كريم) أن (نادي) فعل أي شيء، وكان يرى كل المعلومات تصب في صالحه وأن الجاني الحقيقي حر طليق، لكن كل الأمور تم استيفاؤها ولم يتبق إلا إجراء واحد فقط لحسم الأمر؛ هل (نادي) هو الجاني الذي فعل فعلته بذلك؟ ثم هرب إلى العلمين لإثبات أنه كان بعيدًا أم أن هناك شخصًا آخر فعلها وأراد أن يلصقها بـ (نادي) والفيصل في هذا الأمر هو شهادة المجني عليها نفسها (دنيا).

قام رجال المباحث باستدعاء (دنيا) بصحبة أبيها (نادر) ووجود المحامي (أ. صفوت) و(الدادا عواطف) وكذلك وجود محامي المدعى عليه (أ. هاشم) ومعه بالطبع (مشيرة) وكان لقاءً خاصًا وغريبًا.. نادر، دنيا، صفوت، في جانب.. هاشم، مشيرة، في الجانب الآخر!

وبدأ الإعداد لعمل صف مكون من ثمانية رجال في عمر وجسم (نادي) نفسه و(نادي) يقف وسطهم، وعلى المجني عليها (دنيا) التعرف على الفاعل، إن كان (نادي) هو الفاعل، فلسوف تتعرف عليه بالطبع، كان (نادي) في حالة تعبٍ وإرهاقٍ شديدٍ من قلة أو انعدام النوم، لحيته وشاربه لم يتم حلاقتها منذ أيام، فاستطالا، تغير شكله قليلاً، طلب (المقدم. صبري) و(الرائد كريم) أن يبدأ طابور العرض في وجود الجميع، وكانت (دنيا) تنوي الاعتراف بكل شيءٍ وقول الحقيقة؛ أن (أيمن) هو الجاني المجرم الظالم المغتصب، لكن ما أن رأت (مشيرة)

في المكان حتى غلى الدم في عروقها واتجه ضميرها ناحية الانتقام من (نادي) الذي لم يحترم إعجابها به ورفضها وفضل عليها (مشيرة) التي من وجهة نظرها تقل عنها جمالاً وجاهاً.

بدأ العرض ولم تنظر (دنيا) في كل الوجوه تفصيلاً ولكن توجهت صوب (نادي) وأشارت بإصبعها إليه قائلة: "هو". ثم خرجت من الغرفة..

تعجب ضابط المباحث.. هل هي متأكدة أنه (نادي)؟ فشكله تغير قليلاً منذ يوم القضية، لحيته أطول وله شارب، عرفته بهذه السهولة، ولم تنظر إلى بقية الحاضرين في الطابور! كان هذا أمر مثير ويستحق التعجب، انهارت (مشيرة) باكياً، ومرت (دنيا) بجوارها وشعرت بالراحة بعد أن شاهدت انهيار وبكاء (مشيرة) ولم يأخذها أي ندم بكذبها وتغيير الحقيقة وظلم إنسان بريء طالما قدم لها مساعدات دون مقابل، ولولا مساعدتها أيام الطفولة لربما ازدادت في تأخرها الدراسي، وحالة العنف التي انتابتها، لكنها في لحظة الغل والتشفي والحقد، تولد داخلها كره لـ (مشيرة) نتيجة الغيرة المدمرة والتي أدت إلى إثبات التهمة عليه، لم يكن هناك أمام رجال المباحث بعد عمل الخطوة الأخيرة، وهي تعرف المجني عليها على الجاني المتهم (نادي) إلا أن يتم ترحيله بعدها إلى السجن الاحتياطي لحين تحديد جلسة المحاكمة والتي يستطيع فيها (أ. هاشم) عرض دفاعه ومحاولة تفنيد ادعاءات المدعي وعرض تفاصيل تساهم في براءة (نادي)..

هاتف (أيمن) شريكه (أكرم) وأخبره أنه لن يستطيع الحضور للعمل كثيراً وعليه محاولة الاهتمام بكل شيء بنفسه وعدم الاعتماد عليه في الفترة المقبلة، سمعت (صافيناز) أمه المكالمة دون أن يشعر ولم تغير الأمر اهتماماً، إلى أن سمعت (أيمن) يقول: "إيه رأيك؟ انتقمت منها، وعملت اللي أنا عاوزه ولزقتها في العيب (نادي) وأخذتها ووضعتها تحت غطاء عربة التين الشوكي، وكم انهددتها أنها لازم تقول أنه هو اللي عمل كده، وتبعد عن سيرتي واسمي تمامًا، وهي نفذت كلامي وادعت أنه هو من فعلها، إيه رأيك؟ أنا أعملها وهو يلبسها."

وضعت (صافيناز) يدها فوق فمها وعيناها مفتوحتان للغاية، لم تصدق ما سمعت، ابنها (أيمن) اغتصب (دنيا) ابنة (نادر) وألصق التهمة بـ (نادي).. صحيح أنها لا تترتاح لكل من هم من أوساط متوسطة أو أقل، لذا هي لا تحب (نادي) لكن ليس معنى هذا أن يوضع بالسجن، لكن (أيمن) ابنها، تربيتها، يفعل هذا، وأبوه (صفوت) يصفه بالبطل (أيمن).

تحددت ميعاد جلسة المحاكمة بعد عدة أيام، وازدادت تحركات المحامي (هاشم) وحدد أسماء شهود النفي الذي طلبهم لحضور المحاكمة للإدلاء بأقوالهم وظلت (مشيرة) متمسكة بـ (نادي) إلى أبعد الحدود، و(عواطف) لم تتحمل تأنيب الضمير، هربت من بيت (نادر) لم تطق العيش في بيت الظالم (نادر).. في السابق كان بيت الظالم (نادر) والضحية المسكينة (دنيا) ولكن الآن أصبح بيت الظالم (نادر) والظالمة الكاذبة (دنيا).. لم تستطع البقاء ومواجهة (ناهد) والعيش

وسط الظلمة وبيت الظالمين، طلبت أن تقيم مع (وداد) لخدمتها والتي ساءت حالتها للغاية بسبب الظلم الواقع على (نادي).

في المحاكمة.. تحدث (أ. صفوت) محامي المدعي محامي (دنيا).. صال وجال بينما يشير إلى (نادي) الواقف في قفص الاتهام، صامتاً بلا حراك وينعته بأسوأ الكلمات، استعان بشهود الإثبات ولم يحضر أهم شاهد (أيمن) حيث خاف وانتظر على مقهى مقابل لمبنى المحكمة، حيث أن (أيمن) هو من أبلغ عن الحادث، واستعان بتقرير الطب الشرعي الذي أثبت واقعة الاغتصاب، وكذلك استعان بتعرف المجني عليها، بتعرفها على الجاني (نادي) في طابور العرض، بعدها حان الدور على (أ. هاشم) محامي المدعى عليه (نادي).. استعان بشهود الإثبات وكان هذا وحده كافياً، بصديقه (إسماعيل مساعد) وسائق الأجرة الذي أقلهما إلى موقف محرم بك بالساعة والدقيقة، ثم سائق السيارة الأخرى من محرم بك إلى العلمين أيضاً بالساعة والدقيقة، ثم إثبات وجوده في عرض تجربة مشروع التخرج لإزالة الألغام، كل هذا يثبت أن (نادي) لم يكن متواجداً في الإسكندرية وقت حدوث الجريمة، كان في طريقه إلى العلمين، ثم شهامة (جيوشي) الذي شاهده بينما كان يستقل سيارة الأجرة قبل وقت حدوث الحادث بقليل في محرم بك، والحادث وقع بمنطقة (ستانلي) والمسافة بينهما ٤٠ دقيقة على الأقل، وأثناء النقاش والجدال بين الأربعة، القاضي، صفوت، هاشم، النيابة، انطلقت كالسهم وطلبت أن تدلي بشهادتها، إنها (صافيناز) شهدت بما سمعته

من (أيمن) ابنها، وأنه الجاني الحقيقي ثم اتبعت بقولها: ”نعم، إنه ابني، نعم أنا كنت لا أحب (نادي) هذا..“

وأشارت إليه في القفص، ثم أكملت: لكن الضمير والعدل هو أهم شيء نشأت عليه في بيت والدي المستشار (نبيل سلام) وهذه شهادة حق، وليكن ما يكون.

بعدها تشجع (أكرم) الذي حضر المحاكمة بطلب من (أيمن) حيث طلب منه أن يحضر الجلسة ويحكي له بعدها وهو في الخارج كل ما حدث، بعد سماع أم (أيمن) تشهد عليه وتقول الحقيقة، حكى أمام القاضي والحاضرين كل ما حدث بالتفصيل وأن (أيمن) هو الجاني الفعلي، وليس هذا الشخص الواقف في القفص، بعد كل هذا لم يكن أمام القاضي، إلا الحكم بالبراءة وإخلاء سبيل المتهم من سراي النيابة، فرحت (مشيرة) ولا مست أصابع (نادي) بينما يفصل بينهما السلك الحديدي والقضبان، لكن هانت، بعد ساعات بسيطة سيكون حراً طليقاً..

شعر (صفوت) بخيبة أمل كبيرة، عن يمينه ابنته، تعلن حبها لـ (نادي) وانضمامها إليه، وعن يساره (صافيناز) التي شهدت على ابنها وألقت به في التهلكة، وهذا (نادر) خلفه والذي بالتأكيد سيطرده ويغضب عليه، ابنه اغتصب ابنة (نادر)..

خرج الجميع من قاعة المحكمة، وهبط (صفوت) سلالم مبنى المحكمة وإذا به محاطاً برجال الأمن ويضع أحدهم الأساور الحديدية

في يده وأخبروه أنه تم إصدار أمر بالقبض عليه بتهمة التحريض على قتل موظف بجمارك الإسكندرية..

مرت (صافيناز) بجواره هابطة من فوق الدرج، شاهدت لحظة القبض عليه، ابتسمت في سخرية ونظرت إليه من الأسفل إلى الأعلى ثم رفعت رأسها في شموخ وعظمة وواصلت سيرها..

ركضت (مشيرة) إلى (صفوت) باكية وقالت: "أبي، لا تتخف، أنا معك سأدافع عنك."

توجه (د. أدهم) خطيب (دنيا) إلى حيث كان (أيمن) منتظرًا على الرصيف المقابل للمحكمة وأطلعته على ما حدث وأنه الآن في خطر.. (نادي) حصل على البراءة من أول جلسة، وأصابع الاتهام تشير إليه بعد أن شهدت ضده أمه (صافيناز) ووشى به واعترف عليه صاحبه وشريكه (أكرم).. أما (صفوت) فتم القبض عليه من فوق سلالم المحكمة بتهمة التحريض على القتل..

جاء (نادر) وبدأ (أيمن) في القسم بالله وبالقرآن وبالرسول أنه على حق وأن (نادي) هو من فعلها ولا يحق لـ (نادر بك) التأثير بكلام وشهادة أمه في المحكمة، فهي فعلت هذا نكايه في أبيه، نكايه في زوجها، فضحت به كل التضحية، أما شريكه، فهو يريد أن يزيه من شراكة المطعم ليصبح هو المالك الوحيد، خصوصًا بعد أن بدأ المطعم يحقق أرباحًا..

(نادر): لا تقلق يا (أيمن) أنا أصدقك أو بالأحرى أصدق ابنتي (دنيا) هي تعرفت على الجاني في طابور العرض، تعرفت على المجرم

(نادي) ومهما حدث في المحكمة، فلن يغير من قناعاتي أن (نادي) هو المجرم أمامي، وإن كان استطاع أن يفلت من عقاب القاضي، فلن يستطيع خداعي بادعائه البراءة الزائفة، إليكم الآتي، اسمعوني جيداً.. شرح لهما (نادر) ما سيفعله في الساعات القادمة..

أجرى اتصالاً هاتفياً، حضر على إثره بعد وقتٍ قليل، ثلاثة من رجال الحراسة الخاصة بمجموعة (N.F) يقودون سيارة فان، توقفت السيارة أمام سراي النيابة، وما أن خرج (نادي) من باب النيابة ووقف يبحث عن أبيه وأخته و(جيوشي) و(إسماعيل) وكل أصدقائه خارج مبنى النيابة، حتى فتح باب السيارة الفان، وسحبه الرجال إلى داخل السيارة وتم غلق الباب وانطلقت مسرعة للغاية، نظر الجميع في دهشة، ما هذا؟! هل تم اختطاف (نادي)؟ ومن هؤلاء الرجال؟ وإلى من ينتمون؟ يعملون لحساب من؟ وكيف ومن أين أت لهم هذه الجرأة لاختطاف إنسان من أمام مبنى النيابة؟ ألهذا الحد هؤلاء القوم لا يخشون الأمان.. النيابة، الحكومة؟! هل هم فوق القانون؟ هل لهم هذا النفوذ ليختطفوا إنساناً في وضح النهار على مرأى من أهله وفي شارع مزدحم وأمام مبنى أمني حكومي؟

حاول (إسماعيل) الركض بسرعة كبيرة وظل يركض خلف السيارة إلى أن ابتعدت، وابتعدت أكثر وأكثر إلى أن فقدتها تماماً، وكانت عيناه مثبتتين على مؤخرة العربة أثناء ركضه خلفها ليحاول التقاط أرقام اللوحة المعدنية، لكنها كانت بلا لوحات معدنية..

قامت (مشيرة) والمحامي (أ. هاشم) و(علي الساکت) والد (نادي) بإبلاغ الشرطة وعمل محضر بالواقعة، تم إبلاغ (راشد) بالاستعداد للتحرك في قوة على متن قاطرة بحرية إلى المركب المتوقفة والمعلقة في المياه، والتي كان عليها ٨٢ فردًا في محاولة للهجرة غير الشرعية، عليه أن يسحب تلك الباخرة المتهالكة بالقاطرة البحرية، ويصل بها إلى القاعدة البحرية في رأس التين، وأن يتم ذلك بعد غروب الشمس، بعدما علم (راشد) من خلال اتصالٍ تليفوني أن أخاه (نادي) قد حصل على البراءة من أول جلسة، فدبت الفرحة في أوصاله، اشترى علبة من الحلوى الكبيرة ووزعها على زملائه في القوات البحرية، ابتهاجًا وفرحًا ببراءة أخيه (نادي) ولم يكن يعلم أن (نادي) تم اختطافه لحظة خروجه من سراي النيابة بعد إنهاء الإجراءات القانونية للبراءة، اتجهت السيارة الفان إلى شوارع الإسكندرية بلا توقف، تم حقن (نادي) بحقنة مخدرة بينما كان جالسًا في المعقد الخلفي للفان، فراح في إغماء، توقفت السيارة أمام مرسى يخوت بالميناء الشرقي، هبط الرجال حاملين (نادي) وهو في حالة إغماء وكان في استقبالهم (نادر بك) و(أيمن) و(د. أدهم).

أشعل (نادر) سيجار كوبيا، ضخماً، مبتسمًا لأول مرة منذ حادث الاعتداء على (دنيا).. لا يبالي بأي عواقب، لا يرى أمامه إلا حق (دنيا) وثأرها يجب أن يعود.. سمعته، كيف يترك الجاني الحقيق حرًا طليقًا؟

أجرى مكالمة هاتفية بـ (دنيا) في البيت وأخبرها أنها قريباً سترفع رأسها وتسمع أخباراً تسعد قلبها الجريح، حاولت معرفة ما سيفعله، أجاب أنها ستسمع وتعلم قريباً جداً..

وضع الرجال (نادي) في (لنش) خاص بـ (نادر) بعدما وثقوا يديه بالأحبال وهو لا يزال في حالة إغماء، واقتربت الشمس من وقت الغروب ومغادرة نصف الكرة والتوجه لإضاءة نصف الكرة الأرضية الآخر، غادرت الشمس من خلف مياه البحر المتوسط، بينما أبحر (نادر) بـ (اللانش) وعلى متنه، أيمن، أدهم، ونادي، موثق في حالة إغماء، وكانت الخطة أن يتم إلقاء (نادي) نائمًا من الإغماء ويده موثقتان في البحر وتركه ليموت والسماك يأكله، على حسب تعبير (نادر)..

لكن أثناء الإبحار بعيداً لمسافة كبيرة عن شاطئ الإسكندرية، شاهد (نادر) مركباً متوقفاً في المياه، في حالة قديمة ومتهاكة، مركباً مهجوراً، توقف بجواره بـ (اللانش) وخطرت له فكرة.. طلب من (د. أدهم) إحضار كانيولا من حقيبته الطبية، وتركيبها في يد (نادي).

وضع (أدهم) وثبت الكانيولا بيد (نادي) ثم حملوه إلى المركب المهجور بمساعدة (أيمن، وأدهم) وربطوه بإحكام في (صاري) المركب المهجور، العمود الطويل، فصار (نادي) مربوطاً وفي يده الكانيولا، طلب (نادر) من (أدهم) أن يحقن (نادي) بحقنة استفاقة، ووضعها خلال الكانيولا، بدأ بعدها (نادي) أن يستفيق ليجد نفسه مربوطاً في (صاري) فوق مركب مهجور وسط البحر ومعه (نادر) و(أيمن) و(أدهم)!!

لم يتحدث (نادر) مع (نادي) إلا بجملة واحدة: ”هذا جزء من يعتدي على ابنة (نادر فخري) يا كلب.“

ثم أشار إلى (د. أدهم) والذي قام بتركيب أنبوب رفيع للغاية في الكانيولا وأدار زر التحكم، فبدأ نزول وخروج دم (نادي) عبر هذا الأنبوب ليقطر ببطءٍ وتهبط نقاط الدم في المياه نقطة تلو الأخرى، غادر بعدها الرجال الثلاثة إلى (اللانز) تاركين (نادي) معلقاً بـ (الصاري) على ارتفاع ويده تقطر دمًا بطيء الحركة، ليستقط الدم في البحر والذي بدأ يتجمع حوله بعض الأسماك، ثم بعدها طيور النورس، انطلق (لانز) (نادر، أيمن، أدهم) بعيداً، وظل (نادي) على حاله، إلى أن بدأ يشعر بالإعياء من نقص الدماء في جسده، اقترب (راشد) ورجاله على متن القاطرة البحرية لنقل المركب القديم إلى الميناء، ومن بعيد شاهدوا أغرب منظر، تجمع كبير لطيور النورس البيضاء وهناك جسد مثبت على (صاري) المركب، مع اقترابهم بدأ (نادي) في الشعور بانسحاب روحه من جسده، تقيأت (وداد) دمًا، وبدأت تشعر بالنهاية وانبسحاب الروح من جسدها، وحولها (ألفت) و(علي).. اقتربت قاطرة (راشد) وتوقفت بجوار المركب، نظر إلى الجسد المعلق على (الصاري) إنه (نادي) الذي فارقت روحه جسده، مات.. ظلت (وداد) تتقيأ دمًا..

- أخي، أخي.. نادي!!!

”أخويا (نادي) مات يا أمي، أمي، نادي.. ابنك مات.“

صرخت (ألفت): ”أمي، أمي، لا تتركيني.. (نادي) أين أنت؟ أمي وأمك ماتت يا (نادي).“

عاد المجرمون الثلاثة: (نادر، أيمن، أدهم) إلى مرسى اليخوت، وعند استقلال السيارة أخبرهم (نادر) أن هناك أمراً آخر لا بد أن يقوم به كي يرتاح بالفعل، فلن يترك أي إنسان أذاه أو اشترك في إلحاق الأذى به دون عقاب ودون انتقام، قرر التوجه إلى شقة (مشيرة) حيث تقيم بشقة (أيمن) وحدها بصحبة الكلب (ديوارس)..

خرجت روح (نادي) بعد عذاب الموت البطيء وخروج دمه من جسده نقطة نقطة.

تبع روح المجرمين الثلاثة تاركةً جسده معلقاً فوق (الصاري) ورجال البحرية ينزلون، وسط بكاء (راشد) الذي لا يفهم كيف أتى أخوه إلى هنا بعد أن حصل على البراءة في المحكمة!

تبع روح (نادي) سيارة المجرمين الثلاثة، حيث أخبر (أيمن) (نادر بك) بعنوان الشقة بعد أن طمأنه (نادر) أنه سيهددها فقط بالابتعاد عنه وعن ابنته..

صعد (نادر) و(أدهم) إلى الشقة وظل (أيمن) جالساً في السيارة حسب طلب (نادر).. دخلت روح (نادي) إلى الشقة حيث كانت (مشيرة) جالسة تقرأ كتاباً وبجوارها الكلب (ديوارس)..

طرق (نادر) الباب، انتبه الكلب، وانتبه أكثر لوجود روح (نادي) داخل الشقة، فراح يحرك رأسه بين الباب الذي خلفه (نادر) ويطرقه بشدة، وبين روح (نادي) الموجودة في المكان.

قامت (مشيرة) بفتح الباب، وما أن رأت (نادر) أمامها، حتى أسرع بالدخول إلى حجرتها، حجرة النوم وأغلقت الباب، تبعها (نادر) مشهراً مسدسه محاولاً قتلها، وإذا بالروح تشكل ناراً حامية أمام باب حجرة النوم وفي أركان المنزل، هرب (نادر) خارجاً من الباب بعد أن رأى النيران في كل مكان، تبعه (ديوارس) الكلب، وقفز عليه وبدأ يعقر يده، أطلق (نادر) من مسدسه طلقة استقرت في قلب (ديوارس) الذي أطلق صرخة ونام على الأرض، هرب (نادر) مسرعاً إلى السيارة وخلفه (أدهم).. هدأت النيران واختفت تمامًا.. فتحت (مشيرة) باب حجرة النوم، لتجد (ديوارس) ملقى على الأرض بينما يحتضر ويلفظ أنفاسه الأخيرة، احتضنته والدماء تخرج من جسده، وصرخت بعمق، وإذا بها تسمع صوتاً يشبه صوت (نادي)..

الروح: "لا تحزني، أنا معك، أحميك وأحفظك."

قالت (مشيرة) ناظرة حولها في كل اتجاه: من هنا؟ (نادي).. أهذا أنت؟
الروح: لا، أنا روح (نادي) خرجت من جسده لحمايتك والانتقام ممن قتله.

مشيرة: قتله!!! هل قتل (نادي)!!؟

الروح: نعم.. (نادي) قتل والآن (ديوارس) وأنت كنت على وشك القتل، أنا سأذهب وأعود إليك سريعاً، اتركي (ديوارس) مكانه ولا تفعلني شيئاً لحين عودتي.

انتشر الخبر أن (نادي) قد قتل، توجه (راشد) ومعه مجموعة من أصدقائه من رجال البحرية، ومن ناحية أخرى؛ توجه (إسماعيل) مع أبيه الشيخ (مساعد) الذي أحب (نادي) كثيرًا، ومن ناحية الثالثة؛ حضر (جيوشي) مع (علي الساکت).. الجميع تجمعوا عند بيت (نادر بك).. وفي الداخل كان الأربعة (نادر، أيمن، أدهم، دنيا).. اقتربوا ناحية الباب للهجوم على الفيلا والانتقام لـ (نادي) فإذا بهم يشاهدون نارًا تتدلع حول البيت وفي داخله والدخان والأبخرة السوداء تتصاعد في المكان، النيران الشديدة الحامية، تمنع أي رجل من الاقتراب، وبعد لحظات حضرت قوة من أربع سيارات إطفاء وسيارتان للإسعاف وسيارة شرطة، بدأ رجال الإطفاء في إخراج وإعداد خراطيم المياه، وما أن حاولوا الاقتراب، حتى توقفت النيران واختفى اللهب، وتلاشى الدخان الأسود الكثيف الذي غطى المكان، وكأن لم يكن هناك أثر لحريق أو أي نيران.. الهدوء يخيم على المكان، تقدم رجال الشرطة ووجدوا باب الفيلا مفتوحًا، وسار خلفهم (راشد) و(جيوشي) و(علي) و(إسماعيل) و(مساعد).. وما أن دخلوا إلى الباب، حتى توقف الجميع من هول المفاجأة، لا نيران على الإطلاق، كل شيء نظيف وفي مكانه، لكن المفاجأة أنه كان متدليًا من السقف أربعة أحبال معلقًا بها (نادر، دنيا، أيمن، أدهم) جميعهم مشنوقين وأجسامهم تتدلى!!

سمعت (مشيرة) صوت (نادي) حولها مرة أخرى..

الروح: "لا تحزني، أنا هنا لأجلك."

مشيرة: "كيف لي أن أعيش بلا حبيب؟ بلا (نادي)!!؟"

الروح: "أنا هنا مكانه، أنا خالفت جميع الطقوس والنواميس ومسار اتجاه الأرواح، لأكون معك، معك أنت فقط."

مشيرة: "و(ديوارس) خسرت حبيبي، وخسرت صديقي.. (ديوارس) أيضًا مات، القاتل نفسه قد قتل حبيبي وكلبي."

الروح: "لا تقلقي، الله لا يغفل ولا ينام، حصدوا جزء إجرامهم، والآن أنا سأعيش معك طوال العمر، وأعيد إليك (ديوارس).. لن أستطيع إعادة (نادي) لأنه خارج قدراتي، هي أمور خالصة لله سبحانه وتعالى، لكنني سأعيد إليك (ديوارس)."

ابتسمت (مشيرة) دون فهم وغير مصدقة كيف يحدث هذا!! وبعد لحظات وجدت آثار الجرح والدماء من جسد (ديوارس) قد اختفت وكأنها لم تكن، وصوت (نادي) يقول: "هذه آخر مرة تسمعيني أتحدث إليك، لن أستطيع التحدث بعد الآن، سأسمعك وأكون طوع أمرك لكنني لن أستطيع التحدث، استعدي، سأدخل جسد (ديوارس) وأعيش به."

رفع (ديوارس) رأسه من على الأرض، وحرك ذيله ببطء ثم نهض من مكانه وارتمى بين ذراعي (مشيرة) التي طبعت عشرات القبلات على جسده، وضحكت فرحة غير مصدقة، الله أعاد إليها روح (نادي) في جسد (ديوارس) الاثنان بصحبتها الآن؛ الحبيب، والصديق الوفي.. (روح نادي في جسد ديوارس)

في الصباح توجهت (مشيرة) إلى المقابر لحضور مراسم دفن جسد (نادي) وأمه (وداد) حيث أصر (علي) و(راشد) و(ألفت) على دفن

جثمانهما في قبرٍ واحد، ماتا في يومٍ واحد وفي لحظةٍ واحدة، والآن يغادرا العالم العلوي إلى العالم السفلي في حفرةٍ واحدة،
بكى الجميع وأكثرهم كانت (ألفت).

أما (مشيرة) فكانت تعيش إحساسًا متناقضًا، دموعها تنهمر، وتبكي في هدوءٍ ومن داخلها تتحرك الابتسامة في كل مكان بينما تمسك بيدها الحزام المربوط به (ديوارس) وهي تربت عليه.. تحرك (ديوارس) ولامس جسده (ألفت) ولعقتها بلسانه وفعل الشيء نفسه مع (راشد) و(علي) وأيضًا (عواطف).. التصق بهم جميعًا ولعقهم بلسانه..

احترار رجال الشرطة فيما حدث في بيت (نادر).. نيران مؤججة ولهب متصاعد ودخان أسود كثيف، ثم لا أثر للنيران في لحظات، الستائر والمفروشات والسجاد كله سليم تمامًا!!

وقام رجال وأطباء الطب الشرعي ببدء تشريح الجثث الأربع (نادر، أيمن، دنيا، أدهم)..
وكانت المفاجأة..

وجدوا في كل جثة، حبة من التين الشوكي كاملة بقشرها داخل تجويف المعدة، أربع حبات من التين الشوكي داخل معدة الأربع جثث، والغريب أن القشرة الخارجية للتين الشوكي بها أشواك، لم تصب البلعوم أو المريء أو الفم أو اللسان بأي أذى، كيف دخلت تلك الحبة الكبيرة من التين الشوكي في كل معدة!!

كيف مرت عبر الفم والبلعوم والمريء دون إحداث أي تهتك أو جروح!!؟

احترار أطباء الطب الشرعي وكان حديث الجميع في مصلحة الطب الشرعي، وكتبوا كل هذا في التقرير الذي أرسل إلى المباحث..
 أول حالة تمر عليهم بهذه الظروف والملابسات!
 نظر رجال المباحث إلى بعضهم البعض متسائلين:
 هل من تفسير لوجود النيران، ووجود الجثث الأربعة معلقة ومشنوقة،
 ومتدلية من السقف دون أثر لمقاومة أو عنف أو آثار شجار؟!
 والآن، حبة التين الشوكي داخل معدة كل منهم، حبة قاتلة بدون
 مضغ أو هضم، تساءل أحدهم: أليس التين الشوكي هذا هو ما كان يبيعه
 (نادي) فوق عربة خشبية صغيرة، بجوار كوبري ستانلي، لمساعدة أمه
 على العلاج؟!
 تبادلوا النظرات، وكان لسان حالهم يقول: "سبحان الله! له في
 خلقه شؤون!"
 بعد مرور عشرات السنين، انحنى جسد (مشيرة) ونالت التجاعيد
 من جمال بشرتها وفعل الزمن بها وبصوتها وشعرها وجمالها ما فعله،
 سارت ببطءٍ كعادتها كل مساء وقت غروب الشمس، بصحبة (نادي
 ديوارس) حيث صار اسم الكلب منذ ذلك الوقت (نادي ديوارس)..
 لتجلس على الرمال أمام البحر، وفي يدها طبق صغير يحتوي على
 حبتين من التين الشوكي، تعطي واحدة إلى (نادي ديوارس) الكلب،
 ليلتئمها في سعادة، وتتناول هي الأخرى في بطءٍ شديد لتستمتع بكل
 قطعة فيها وتتذوق حلاوتها، ومع آخر قضمة، تعود روحها إلى بارئها،
 ويموت بجوارها الكلب (نادي ديوارس).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وَيَسِّرْنَا لَكَ مِنْهُ الْوُجُوهَ قَدْ أَلْبَسْنَا مِنْهُ رِيَابًا وَمِنَّا
أَوْ تَتَّبِعْتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا]

(سورة الإسراء: آية ٨٥)

مَشَى